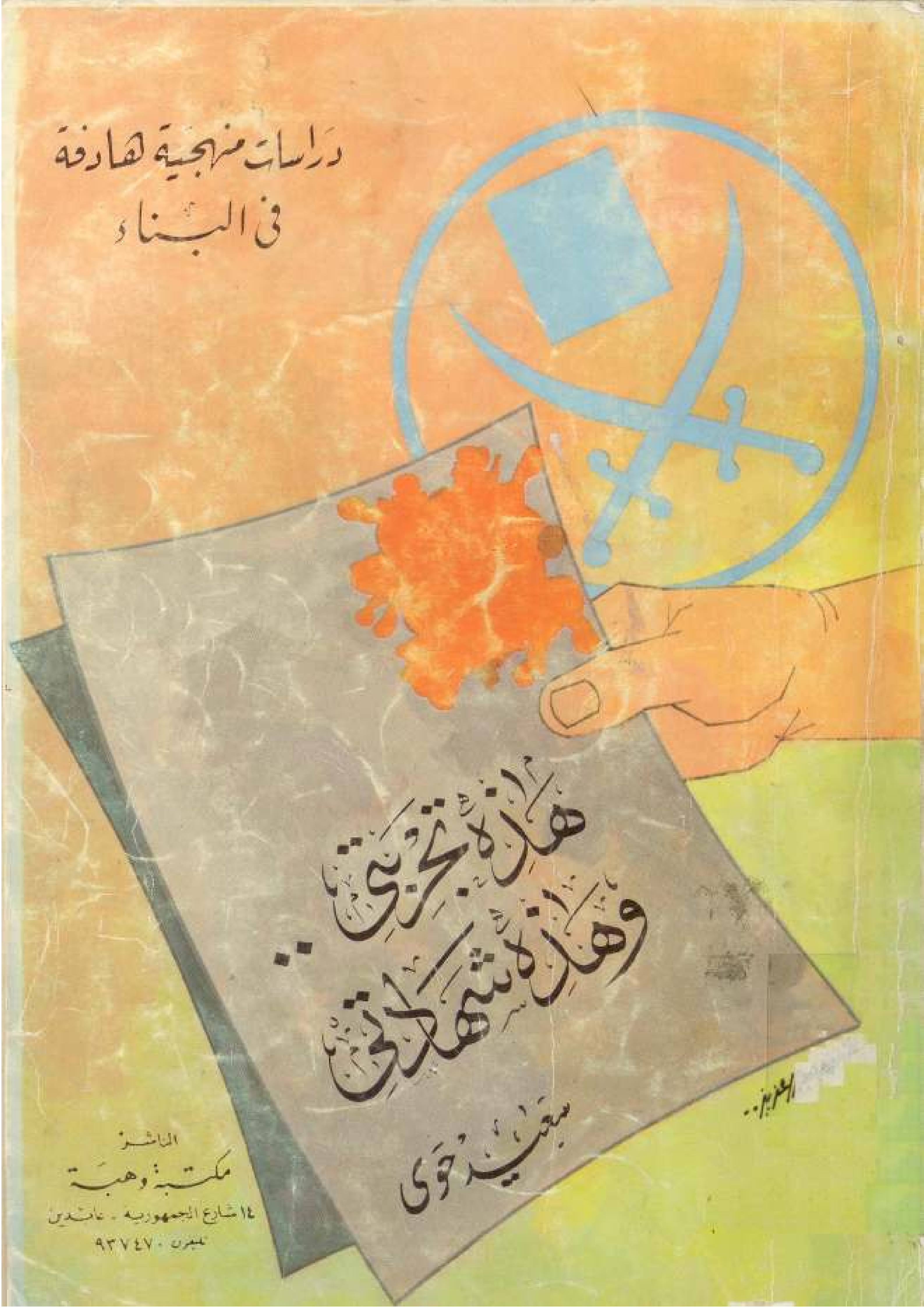

دراسات منهجية هادفة
في البناء
هذه تجربتي
وهذه شهادتي
سعيد حوى
الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
تليفون ٩٣٧٤٧٠

الطبعـــة الأولى

١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر: ٣ درب عتمان الموصلي
بجوار جامع الدعاة

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

« صدق الله العظيم »

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله .. والصلاة والسلام على رسول الله وآله ..

ليس هناك من شيء أهمنى فى حياتى كحال الأمة الاسلامية ، بل مرت على اطوار غلب على التفكير فى شان الأمة فى قيامى وقعودى حتى خشيت ان تصبح الأمة الاسلامية شاغلا لى عن الله عز وجل .

وشاركت فى انواع من العمل الاسلامى المتاح ، وانخرطت فى اكثر من بيئة اسلامية ، واندفعت حيث ظننت ان الحق ثمة ، وكتبت حيث وجدت حاجة للكتابة فى موضوع ، وحيثما وصلت الى نهاية مرحلة كنت أراجع نفسى كثيرا ، واعيش اثناء المراجعة فترات من القلق والحيرة والاضطراب اتكتم عليها لكنى ابقى ابدا فى عملية مراجعة حتى اطمئن لما انا عليه : هل هو محل رضوان الله عز وجل ؟ وهل ما انا فيه هو الطريق الصحيح لخدمة هذه الأمة ؟ .

وكنت على استعداد دائم اذا تبين لى الخطا ان اعترف به مهما كلفنى ذلك بل اننى اعتبر من الخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين ان اكتم عن المسلمين خطئى اذا كان فى ذلك تغرير بالمسلمين .

***

ابدا كتابة هذه المذكرات وقد قاربت الخمسين ، وقد انتهى القرن الرابع عشر الهجرى وبدا القرن الخامس عشر ، ونرجو ان نكون على ابواب مرحلة جديدة قد خدمها ما سبقها .

ولقد فكرت كثيرا فى أن التزم الصمت بقية حياتى ، وان الزم نفسى بالعزلة التى اجبرنى عليها المرض تاركا لتجربة القرن الرابع عشر ان تاخذ مداها ، ولكن غلب على اننى وجدت مصلحة فى كتابة هذه المذكرات فآثرت الكتابة .

ولئن أصبح أدب المذكرات جزءا رئيسيا من آداب عصرنا ، فقليلة هى المذكرات التى تستأهل النشر أو القراءة ، ولولا أننى أعتبر هذه المذكرات مفيدة ولو لبعض الناس ما نشرتها ، أسأل الله أن تكون خالصة لوجهه الكريم وألا يكون فيها حظ لنفسى ، وأسأله أن يجعلها نفعا خالصا لا ضرر فيها لأحد . والله الموفق .. وهو المستعان .

سعيد حوى

❊ ❊ ❊

الباب الأول

من السنة الأولى حتى الثالثة عشرة
(١٩٣٥ ـ ١٩٤٨ م)

ولدت فى حماة سنة ١٩٣٥ فى حى فيها يسمى العليليات يقع على يمين الداخل الى حماة من جهة دمشق ، اسم الوالد محمد ديب حوا واسم الوالدة عربية الطيش ، يشتق اسم اسرتى من الفعل حوى يحوى فهو حوا وللاشعار بهذا الاشتقاق ، فقد تعمدت أن اختم اسم الأسرة بالألف المقصورة وقد نبهنى بعضهم الى ان هذا غلط املائى فلا يصلح ههنا الا الألف الممدودة ، وبعض شيوخنا اجاز الوجهين ، وهو الذى أخذت به .

تصل أسرتى بنسب الى اسرة أخرى فى الحى هى أسرة برى ورواية الأسرتين تتضافر على ان ثلاثة اخوة اصولهم عربية وفدوا الى حماة وقطنوا فيها ومنهم تفرعت الأسرتان .

تتضافر روايتا كبار الأسرتين على اننا من آل بيت رسول الله ﷺ وقد حدثنى حاج محمود برى ـ ولا زال حيا اثناء كتابة هذه السطور ـ انه ورث فى أوراق أسرته شجرة النسب وان نسب الأسرة ينتهى الى رسول الله ﷺ وتلك رواية أسرتنا والجميع مجمعون على ان نسبينا واحد .

وقد حدثنى الوالد أننا ننتسب الى قبيلة النعيم المشهورة وهى قبيلة ينتهى نسبها الى رسول الله ﷺ كما هو مشهور ، ولم تتح لى فرص التحقق من هذه الروايات والناس مصدقون بأنسابهم . وأما أسرة والدتى فتنتسب الى عشيرة الموالى ، وهى عشيرة مشهورة تسكن بادية الشام ، كما حدثنى بذلك ابن خالة لى نقلا عن والده .

توفيت والدتى وأنا فى السنة الثانية من عمرى ، ثم تزوج والدى من أسرتنا ثم اضطر لمغادرة البلد وأنا صغير بسبب شجار حدث فى الحى توفى أحدهم رحمه الله ،وقد اتهم به والدى الذى يضع دم القتيل فى

عنق طبيب متآمر ، وقد لوحق الوالد ففر الى الجزيرة السورية وبقى هناك حوالى اربع سنوات ، تقمص خلالها شخصية تاجر ، وعاش فى أحـواء قبيلة عنزة ، ثم سلم نفسه للسلطة بعد مصالحة مع اسرة القتيل ، بقى بعد ذلك فى السـجن حوالى سنة ثم أطلق سراحه ، وعشت خلال هذه الفترة فى كنف عمى وجدتى رحمهما الله .

* * *

كانت جدتى حازمة صارمة ، لم تكن تسمح ان اغيب عنها وكانت حريصة على تعليمى فادخلتنى مدرسة ابتدائية ، ولكن الفقر لم يكن يسمح بلباس مناسب فلا اعرف انه كان ارث من ثيابى فى المدرسة ، حتى احتج المدير على رثاثتى وهدد بطردى فاستطاع احد اقربائنا ان يأتينى بثوب عتيق ولكن لا بأس به فانقذنى ذلك من الطرد ، كانت الايام وقتذاك ايام حرب ، فالحرب العالمية الثانية كانت فى اوجها .

خرج الوالد من السجن وانا فى الثامنة تقريبا ، فاخرجنى من المدرسة لأنه لا يستطيع الانفاق على ثم انه كان بحاجة ان اساعده على صغرى فى عمله فى سوق الخضار كبائع بالجملة .

ذكرياتى عما قبل الثامنة قليلة ، حينا حى منعزل وجدتى كانت تفرض على عزلة كاملة فلا خلطة مع أحد ، كنت افر كثيرا من المدرسة وارفض الذهاب اليها احيانا وكم شاهد الناس جدتى وهى تجرنى الى المدرسـة غصبا عنى ، كنا فقراء نأكل خبز الشعير فى الغالب ، ولا نذوق الرز الا فى الأعياد ، وكانت فقيرات الحى ومنهم زوجة والدى يعملن اثناء موسـم الحصاد اما بالحصاد ليكسبن اجرا او يلتقطن ما يهمله الحصادون وكانت سنة معتادة ان ما يتركه الحاصد يكون مباحا لمن يلتقطه .

لا اتذكر اننى زرت والدى فى السجن الا مرة واحدة فجدتى كانت تجنبنى هذه المواقف .

اتذكر زيارة واحدة زرنا فيها والدى اثناء هروبه فى الجزيرة ، اخذنى عمى ، ويبدو أن ترتيبه مع الوالد ان ابقى عند الوالد لكنى أحسست بالأمر وكنت متعلقا بعمى وجدتى فبكيت ولحقت بعمى فارجعنى عمى معه ، لا زلت اتذكر اسم القرية ، كان اسمها « عين عيسى » ولا زلت اتذكر منظـر السمك وهو يسبح فى عينها .

رجعنا من قرية عين عيسى فى الجزيرة فى سيارة شحن تحمل حبوبا وكنا نائمين على ظهرها ، وعبرنا الفرات على زورق خشبى ، ولقد اضعت حذائى اثناء النوم فغدوت بلا حذاء .

مررنا فى عودتنا بحلب ودخلنا بعض اسواقها وعرفت وقتذاك وانا صغير كيف يحاول بعض التجار ان يغرروا بالمشترين فيدفعوا ناسا للتظاهر بالشراء ولا يريدونه .

كنت ارى كل شىء عجيبا .

عدنا الى الجدة التى كانت تصبر على كثيرا وتحبنى كثيرا ، ومع ذلك كانت تضربنى كثيرا وخاصة من اجل المدرسة ، ومن اجل اسكات صوت بكائى اذا رفضت ان تعطينى ما اريد .

كنت كثير الطمع بها ، كثير الحب لها ، ـ رحمها الله ـ .

عندما خرج الوالد من السجن واخرجنى من المدرسة بدات اساعده فى عمله كاتبا ومحاسبا ووزانا وحمالا ، ومن قبل كنت اساعد عمى وكان خضريا وفاكهانيا .

***

كان والدى يبيع بالجملة ينزل عنده أصحاب البساتين والحقول انتاج بساتينهم وحقولهم فيبيعه لهم ، كان دوره دور الوسيط بين المزارع وبائع المفرق وبسبب من ذلك تقوم دوائر من الأعمال والمحاسبات ، ودفعنى الوالد على صغر سنى لاتقان ذلك كله محاسبة وجباية وتصرف فى المال مع رقابة شديدة واتقنت ذلك ، لقد ركز على تعليمى الخط والحساب حتى صرت مضرب المثل فى سرعة الحساب .

وعودنى الوالد على المطالعة حتى ولعت بها وكانت بداية ذلك عندما جاءنى بقصة عنترة ثم بقصة سيف بن ذى يزن وبقية القصص الشعبية فولعت بالمطالعة ولعا شديدا ، وكان استيعابى رفيعا حتى اننى فى يوم من الأيام قرات فى كتاب المستطرف فحدثت عمى الأكبر عن بعض ما فيه فعجب من استيعابى ورغب الى ان اقص امام بعض الناس فقصصت ، فعلق احدهم :

ان هذا الغلام سياكل الفالوذج على موائد الملوك ، ولم ترقنى هذه الكلمة فلقد كانت همتى وقتذاك اكبر من ذلك ، فلقد نما عندى بسبب

مطالعاتي نوع من الاحساسات الطموحة ندر ان توجد في بيئة كبيئتنا وبقيت هذه الاحساسات تنمو وتستفحل حتى دخلت جماعة الاخوان المسلمين بعد سنين ، وعندئذ تحول طموحي الى رغبة ان انجز الكثير دون ان يعرف احد عني شيئا .

لقد كنت استشعر انني استطيع ان افعل كل شيء وان اتغلب على كل شي وان احقق كل شيء ، شهدت في السنة العاشرة ما حدث في حماة من صراعها مع الفرنسيين وما ترتب على ذلك من جلاء ، شهدت الآلام وشهدت الأفراح واتذكر ذلك جيدا . واتذكر كيف نهب الناس بيوت الفرنسيين بعد هزيمتهم في حماة وكيف ان بعض اقاربي نهب صناديق ثقيلة وبعد جهد فتحها فوجد فيها سردينا ، فكانت نكتة ضحك الناس منها لأنه لم يكن مالوفا في بيئتنا اكل السردين .

واتذكر كيف انتهب الناس سلاح الحملات التي وجهها الفرنسيون الى حماة بعد انكسار هذه الحملات .

واتذكر الاستعراضات التي سبقت ولحقت الحملات ، وكيف ان الناس جميعا نسوا خلافاتهم واتذكر ان والدي شارك في المعركة مشاركة فعالة .

كانت بيئتنا بيئة جاهلة لكنها تهتم كثيرا بقضايا الشرف ، وكانت فقيرة لكنها عفيفة ، وكان اكثر حينا يعمل اما في البساتين واما في بيع الخضار وكان يقع على هؤلاء وهؤلاء ظلامات من الملاكين وحواشيهم والمتعاملين معهم وكان والدي وعمي يمثلان فتوة جيلهما ، ولذلك وجدا انفسهما في حلبة صراع كان من آثاره ما ذكرته من استشهاد احد ابناء الحي على اثر ضربة من والدي وتواطيء طبيب مع الخصوم غفر الله للجميع ، وكان من آثار ذلك الوضع سقوط الكثيرين من ابناء الحي قتلى وكانت بعض الظلامات سببا في استجابة اهل حينا للحزب العربي الاشتراكي الذي اسسه اكرم الحوراني وكان والدي وعمي ممن شاركوا ابتداءا في التمكين لهذا الحزب في حينا .

❋ ❋ ❋

كانت أوضاع حينا تستدعي المنازعات والخصومات ، ولقد سجن والدي ثلاث مرات بسبب هذه الأوضاع ، سجن والدي سجنه الأول وانا في السنة الثانية من عمري وتوفيت والدتي وهو سجين ، وعمري سنة واربعة اشهر ، وسجن سجنه الثاني وانا في السابعة من عمري ، وسجن سجنه

الثالث وانا فى العاشرة من عمرى ، وكان ذلك كله بسبب مواقف يعتبرها الناس عندنا شريفة وبطولية ، والله يغفر لنا وله وللناس .

خرج الوالد من سجنه الثانى وانا فى أواخر الثامنة وقد خرج من السجن وهو فقير ، واتذكر بعض الحديث الذى دار امامى حول عمله ، ثم حدث ان توجه نحو بيع الجملة « سوق الهـال » ، وبدا عدد من اصحـاب البساتين ينزلون عنده خضارهم وفاكهتهم ، وبيع الجملة يحتاج الى حاسبة قوية وكتابة واضحة والى حركة صباحية نشطة والى جمع ثمن الخضار مساءا ، ولذلك ركز على والدى ان يعنمنى جدول الضرب وان يحسن خطى ، فمهرت بالضرب مهارة عجيبة مذهلة بحيث كنت استطيع بسرعة دون الاستعانة بالكتابة ان اجمع أو اضرب اى رقم يحتاجه عملنا ، ومع ان اهل مهنتنا كانوا مهرة فى ذلك لكن لا اعرف ان احدا كان يفوقنى فى سرعة استخراج اى نتيجة ، وتحسن خطى فاصبح واضحا مقروءا حتى ان ابى صار يفاخر بى ، وكنا نستيقظ مبكرين فنصلى ونقبل على استقبال الخضار والفواكه فنبيعها ونزينها ونسلمها لأهلها ، وقد نساعدهم على تحميلها وينتهى عملنا هذا كله مبكرا حتى انه نادرا ما يتجاوز عملنـا الثـامنة صبـاحا ، وكان افطارنا فى الصيف الخبز والفليفلة والطماطم والبقدونس ، وكانت كمية الخبز التى آكلها كبيرة بعد ساعتين من العمل المجهد ، وبعد الظهر كان والدى يرسلنى لجمع الديون ولا اعرف اننى كنت اتاخر عن البيت الى ما بعد المغرب ، فذلك شيء محظور على ، وعندما تاخرت يوما الى ما بعد المغرب فلم يحاسبنى شعرت اننى اصبحت رجـلا .

❋ ❋ ❋

أعتبر والدى مربيا ناجحا فهو يمتلك قدرة عجيبة على غرس المعانى التى يريدها فى نفوس ابنائه ، كما انه قادر على ان يحملهم على ما يريد .

وحرص فى هذه الفترة على امور ، اولا : ان ينمى عندى الحميـة على العرض حتى اذا وجـدت وانـا ابن العاشرة واحدة من اخـواتى الصغيرات تلعب خارج البيت وكلهن اصـغر منى كنت اضربهن تنفيـذا لوصايا الوالد ، وكان يقص على من حوادث السجناء فهذا قتل اخته بسبب فضيحة ، وهذا قتل امه ، لقد ربانى على ان اهم شيء فى الوجود هو المحافظة على العرض والشرف .

ثانيا : نمى عندى عدم التفكير فى المظاهر (الهندام لا قيمة له ـ اللباس الفاخر لا يساوى شيئا ـ العبرة فى المخبر) وقد اثر هذا فى حياتى ولا يزال يؤثر رغم قناعاتى بعد ذلك أن هذا يخضع للظروف .

ثالثا : نمى عندى العفة عن اموال الناس ، وهذا مهم لما انا فيه فعندما ينزل اهل البساتين فواكههم يزوقونها فاذا ما اكل احد الناس منها ساءهم ذلك فعودنى الا امد يدى على شىء ، كما غرس فى نفسى حفظ الأمانة والعفة عن المال العام واطلق لى ان انفق ما اشاء على اى شىء اشاء لكن لا بد ان يكون ذلك وفق حساب دقيق ، فلا بد ان اقدم كشف حساب وان تكون حساباتى دقيقة ، ولقد ضربنى اكثر من مرة ضربا مبرحا لأنه وجد الخارج والداخل غير متطابقين على قلة الفوارق ، لقد سلمنى على صغر سنى محاسبة اصحاب البساتين وان اجمع الديون وان انفق على البيت وكان ذلك كبيرا على صغير فى السن مثلى ، ومع حرصى اليومى والاسبوعى على مطابقةالوارد للصادر كان يحدث عندى خلل بسبب بعض المصروفات التى لا اسجلها ، ومع أن الأموال كثيرة والمعاملات كبيرة ، فالفوارق تبقى دائما قليلة ، ولكن مهما كانت قليلة فذلك يكلفنى ضربا مبرحا .

***

مما اتذكره فى هذه المرحلة دخول الاشتراكية الى حينا ، وكان رائدها عندنا فى حماة اكرم الحورانى .

وحماة بلد متدين وهى على صلة فى البادية السورية فهى محتكة بالقبائل العربية ثم هى عريقة فى حضارتها فقد تكون من اقدم بلدان العالم ولذلك تجد هذا الاسم يذكر كثيرا فى كتب انعهد القديم ، وحفريات حماة أوصلت الى أزمنة سحيقة فى القدم .

ليس فى حماة يهودى واحد مع ان فى حماة قبرا يزعم انه لداوود عليه السلام ، وعندما حدث الفتح الاسلامى لم تقاوم حماة الفتح ، وعلى مدى التاريخ الاسلامى كان لحماة وقفات صامدة سواء فى الحروب الصليبية أو فى مرحلة الاستعمار .

توطنت حماة ، عند الفتح الاسلامى القبائل القيسية حتى اصبحت كلمة قيسى ترادف كلمة الحموى واشار الى ذلك الحريرى فى مقاماته .

الهجرة الى حماة من القبائل والقرى والبلدان مستمرة لذلك تجد فيها

اصولا عربية واصولا اخرى وخاصة الأكراد فبعض اسر حماة الشهيرة اصولها كردية .

استمرت النصرانية فى حماة بعد الفتح الاسلامى وفيها اكثر من مذهب مسيحى والصلات بين نصارى حماة ومسلميها قوية ، وقد تاصلت فى المدينة آداب فى التعامل الاسلامى المسيحى ، ويضرب نصارى حماة مثلا رفيعا على مراعاة مشاعر جيرانهم المسلمين ، ويقابل المسلمون الأريحية بمثلها .

ومن هذا كله وجدت لهذه المدينة خصائص وغلب على أهلها طابع واصبحت هناك اخلاقية واحدة ينصهر فيها كل فرد فى المدينة ..

فالتدين فى البلد ظاهرة لا تتجاهل على تساهل فى بعض السلوكيات ، والمحافظة على العرض والشرف ، والشجاعة والانفة والنخوة ، والتعلق بالأخلاق العربية .

هذه الخصائص العامة جعلت حماة تستعصى على كثير من الأفكار السياسية ولذلك كان تاثر الحمويين بالفكر الشيوعى وبفكر الحزب القومى السورى الاجتماعى ضعيفا لبعد الأول عن الدين ، ولبعد الثانى عن الدين والعروبة .

قبلت حماة فكرة الكتلة الوطنية والتفت حولها لأنها اصبحت رمز الصراع مع الفرنسيين ولكن بعد انتهاء الصراع لم يبق لحماة تعلق بالحزبين الرئيسيين اللذين تمخضت عنهما الكتلة الوطنية : حزب الشعب والحزب الوطنى ، وان كان قد بقى لبعض الحمويين تعلق بالشخص الذى ورث الكتلة الوطنية وهو رئيف الملقى نائب حماة وهو ممن كان له تاثيره فى بعض المراحل فى السياسة السورية من خلال بعض الوزرات التى استلمها .

تاثر اكرم الحورانى فى ابتداء حياته بفكر الحزب القومى السورى ثم رفضه وخرج عليه ، وتبنى بعد ذلك الفكر القومى المطالب بالعدالة الاجتماعية وانبثق عن ذلك حزب الشباب الذى نادى بمحاربة الظلم المتمثل عندهم بسيطرة الأسر الغنية التى اطلقوا عليها اسم الاقطاعيين ، وتمخض ذلك كله عن قيام الحزب العربى الاشتراكى الذى تميز بحركية قوية وبدهاء عريض ، فرفع فى الأوساط الفقيرة شعارات محببة واستعمل عددا من الأساليب الناجعة فسيطر على حماة وريفها وامتد نفوذه خارج حماة بقوة

كبيرة ، واصبح لزعيمه من الشعبية ما لم يعرف فى سورية الا لعبد الناصر فى مرحلة لاحقة .

كان الشعار الذى طرحه هذا الحزب فى حينا هو احياء العدالة العمرية ورفع الظلم ومحاربة الظالمين المعتدين فدخلت الاشتراكية الى حينا باسم الدين حتى ان صلاة الجماعة كانت تقام فى مركز جمعيتهم وكان هناك ظلم يقع على اصناف من الناس فى حينا من قبل بعض الأسر ومن قبل بعض ملاك البساتين .

فرفع الحزب شعار الدفاع عن المظلومين وتبنى قضية المزارعين بالا يخرج المزارع من ارضه ، والا يؤخذ منه ما يزيد عن الأجر العادل وجمع اهل الفتوة فى الحى لدفع اى اعتداء .

وبعدد من التصرفات الجريئة ، وبسبب من قوة الحركة والخدمة سيطر الحزب على حينا ـ وهو اكبر حى فى حماة ـ سيطرة تامة ، وكان لذلك دوره المؤثر على نجاحات الحزب السياسية .

* * *

وكان والدى وعمى ممن تحمسوا لهذا الحزب ، واصبح والدى مع مجموعة من فتوة الحى يشكلون قوة ضاربة ضاغطة للحزب فى الحى كان لها دورها فى حماية المستضعفين ، وفى الوقت نفسه دخلت فى مشكلات متعددة .

وفى هذا الجو دخل الصراع مع فرنسا مرحلته الأخيرة وكانت معارك حماة سنة ١٩٤٥ بمثابة جولة الختام التى انتهت بجلاء الفرنسيين عن حماة .

لا زلت اتذكر بقوة تلك الأحداث ودور والدى الفعال فيها وحماية الله له ـ كما ذكرت من قبل ـ فقد القت طائرة فرنسية قنبلة اصابت الجانب الأسفل من جلابية الوالد ولم تجرحه ، وفى آخر معركة بين الحمويين والفرنسيين رجع الوالد والجزء بين الثدى والكتف اصفر نتيجة لدفع البندقية عندما تطلق النار وقد ظنه جيرانه فى المعركة انه قد استشهد لانصباب عدد من قنابل المدفعية على المكان الذى يقاتل فيه .

ولا زلت اتذكر دعوات جدتى الحارة وامرها اياى ان اكرر قراءة آية الكرسى من المصحف وقد حفظتها يومذاك من كثرة تكرارها مع اننى لم اتكلف حفظها .

ولا زلت اتذكر ان المدينة سيطر على اهلها تلاحم عجيب وحب غريب فلم تبق عداوة بين اثنين وضاعت نغمة انا اشتراكى وانت اقطاعى ، وهكذا يوحد الجهاد الناس ضد المحتل الا عميلا او خائنا .

واذكر ان الناس يومذاك قتلوا من تيقنوا انه جاسوس للعدو ، جلت فرنسا عن سورية وعاد الصراع السياسى الى حماة ، وعاد الى حينا .

وحدثت حادثة قتل بها احد شجعان الحى على يد آخر من الحى نفسه ولكن ممن يعادون الحزب العربى الاشتراكى ، ودخل على اثر ذلك والدى سجنه الثالث واذا بى فجاة مسئول مع عامل عند الوالد عن ادارة اعمال الوالد ، وانا وقتذاك فى سن الحادية عشرة .

وبسبب من غياب رقابة الوالد قصرت فى جمع الديون وتوسعت فى الانفاق على نفسى واسرتى وبعض رفاقى فخفت السيولة المالية ظهر ذلك من تقصيرى فى الدفع الى الزبائن ، فتدارك الأمر عامل الوالد وهو قريب لنا واصبح بعد ذلك شريكا للوالد ، وتولى هو بنفسه جمع الديون ومحاسبة اصحاب العلاقة فانقذ الوضع بسرعة ، وبقى العمل قائما وجيدا ولم يؤثر سجن الوالد عليه ، ودام سجن الوالد تسعة اشهر ثم خرج من السجن .

نصح بعض الناس والدى واقنعوه ان يدخلنى فى مدرسة ليلية لمتابعة دراستى فلعلى آخذ الشهادة الابتدائية ، وكان عندنا فى حماة مدرسة ليلية تقيمها جمعية سلفية تسمى دار الأنصار فالحقنى الوالد بها ، ولم يؤثر ذلك على خدمتى اياه واستمرارى فى متابعة اعماله .

كنت انا الصغير الوحيد بين الدارسين فالجميع كانوا كبارا ، وكان يغلب على الخجل والخوف فلم اكن اشارك اى مشاركة اثناء الدرس . فكان الزملاء الكبار وبعضهم من اصدقاء الوالد وان كانوا دونه فى السن يعطون الوالد صورة قاتمة عن امكانياتى ، وجاء الامتحان فاديته واذا بى من الناجحين والزملاء الكبار كانوا فى الغالب من الراسبين .

* * *

عشقت المطالعة عشقا منقطع النظير على صغر سنى ـ كما ذكرت من قبل ـ وكان الفضل فى ذلك للوالد ، فقد دفعنى الى المطالعة بأسلوب غير مباشر ، وضع بين يدى وريقات من سيرة عنترة فقراتها بشغف ، اتانى

بقصة سيف بن ذى يزن الشعبية فقراتها بشغف ، وكانت هذه البداية التى جعلتنى اعشق المطالعة حتى لا استطيع الصبر عنها فكنت اقرا وانا جالس وانا سائر تعلقت ابتداءا بالروايات البوليسية وبالروايات عامة ، فاعطانى هذا قوة فى الفهم وقوة فى الانشاء ، وكان لذلك دوره فى نجاحى فى الشهادة الابتدائية رغم انقطاعى عن الدراسة ثلاث سنين .

لكن المطالعة من ناحية وتعب الوالد على فى الخط والحساب وتلاوة القرآن الكريم كل ذلك ساعدنى .

***

ولتلاوتى للقرآن قصة .

فقد كان عندنا فى الحى « شيخة » من قريباتنا كفيفة لكنها تحفظ القرآن وكان بعض اهل الحى يرسلون لها ابناءهم لتعلمهم القرآن ، وقد ارسلتنى جدتى لذلك ، وبسرعة كبيرة تلوت عليها القرآن من اوله الى آخره ، ويوم ختمت القرآن كان ذلك يوم فرحة وسرور وابتهاج وكانت هناك آداب وعادات تقام عند الشيخة بهذه المناسبة .

وذلك كله قبل ان ادرس الدراسة الابتدائية ، لكنى بعد ذلك اهملت قراءة القرآن فلما خرج والدى من السجن بعد تغربه اقرانى القرآن فتلعثمت فشدد على حتى قويت قراءتى ، وكان ذلك عاملا مساعدا .

***

(فصل) فى دروس سياسية من المرحلة

كان العامل الحاسم فى الصراع ضد الاستعمار هو الروح الدينية ، ووحدة الكلمة فى المواقف الحاسمة ، ولم يكن القائمون على امر الدين يفطنون بسرعة الى ما يجب ان تعالج به المشكلات الاجتماعية والاقتصادية .

وكان اكرم الحورانى ومن حوله سباقا الى ادراك المشكلات الاجتماعية والاقتصادية ، وطرح حلول لها ، وتعبئة الناس حولها ، وحسن مخاطبة الناس من خلال ما يعرفون ويفهمون .

والعمل السياسى يتطلب البحث عن مصلحة الانسان والعمل من اجلها ، فاذا تخلف القائمون على امر الدين عن التعرف على مشكلات الناس محاولين حلها وتقدم السياسيون ، لذلك تراجع الدين وتقدم العمل

السياسى ، فاذا كان العمل السياسى غير مترابط فى الدين ادى ذلك الى نشوء صراع مستقبلى بين السياسة والدين ، وهذا الذى حصل فى سورية ، وكانت بدايات ذلك فى مرحلة مبكرة ، فهذه السنوات التى ذكرتها كان العامل فى احداثها هو ما ذكرته .

وقد نبت الحزب العربى الاشتراكى على انغام مصالح بعض الناس .

ومن ههنا تاصل عندى اهمية الخدمة العامة ، ومراعاة المصلحة العامة ، وان ذانك شرطان لنجاح العمل السياسى الاسلامى .

ومن خلال صلة الوالد بالحزب العربى الاشتراكى فى هذه المرحلة رايت الحركية والتخطيط ، فقد كان اعضاء الحزب متحركين حركة هائلة على كل مستوى ، وهذا اعطاهم تفوقا سيطروا فيه على حماة من خلال سهرهم على بعضهم وسهرهم على امنهم ، فكان من افكارى الثابتة فيما بعد ان القيادة يجب ان تكون من خلال الحركة .

ولقد شهدت من مظاهر التخطيط الحزبى فى تلك المرحلة كيف ان اعضاء الحزب يقولون للوالد : ان ابنك سعيد هذا يجب ان يدخل فى الكلية الحربية على صغر سنى .

ولقد رايت من مظاهر التخطيط الحزبى المدارسات المستمرة التى كانت تعقد عندنا فى البيت لدراسة امر الاصدقاء والخصوم .

كما شهدت طرق التخطيط للسيطرة على الشارع وهى مقولة تقول : (من سيطر على الشارع سيطر على الحكم) ، وهذا صادق ، ولكن عندما يقتل الشارع كله فكيف تتم السيطرة على الشارع .

ونتيجة لمشاهداتى القليلة فى وقت مبكر فى حياتى عن اهمية رسم الخطط فى الشئون الصغيرة والكبيرة ، كان لذلك تاثيره فى مستقبل حياتى ، اذ اصبحت فيما بعد لا اومن بعمل عام لا ينبثق عن خطة محكمة وليس لتنفيذه تخطيط سليم .

ان الادراك المبكر لعمل حزبى يحقق تطلعات ومصالح ويمتلك فاعلية كبيرة ، وخدمات كثيرة ، وحسن خطاب ، وحسن تخطيط سبقت فيه بعض الاحزاب العلمانية ، فلما اراد الاسلاميون ان يفعلوا شيئا وجدوا قوى داخلية تعاكس ، ووجدوا قوى خارجية تخطط ضدهم ، وقد تتفق بعض مخططات الداخل مع بعض مخططات الخارج .

والحقيقة ان العمل الحزبى الاسلامى المكافىء الايجابى قد تأخر ظهوره فى سورية ولم تستطع الأصوات المفردة ، او المجموعات القليلة او الجمعيات المحلية ان تفعل شيئا كثيرا ، ولم تستطع الاحزاب الوطنية الديمقراطية ان تشكل الطموح لدى الشباب ولا الفاعلية ، ولم تمتلك التخطيط المناسب مع انها كانت تمتلك أكثرية برلمانية فاندحرت اخيرا .

***

(فصل) فى أول دستور لسورية بعد الاستقلال

لم ازل اتذكر خطبة نارية لأحد خطباء الجمعة يتحدث فيها عن الدستور وماذا يريد الاسلاميون فيه ، وقد هيج الناس لدرجة اننى وانا الصغير حدثت نفسى أن على أن احقق ذلك .

فقد كان قد تمت انتخابات لهيئة تأسيسية فى سورية مهمتها وضع الدستور ، وقامت داخل الهيئة التأسيسية معركة هائلة كان لها انعكاساتها على الشعب كله بين تيارين : تيار يقوده الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله وهو التيار الاسلامى الذى كان يطالب بان يكون دين الدولة الاسلام وان يكون الاسلام المصدر الأساسى فى التشريع ، وكان التيار الآخر هو التيار الذى تدعمه قوى خارجية لا يريد ذلك ، ولقد ادار الدكتور السباعى واخوانه المعركة بكل كفاءة .

واخيرا تدخل شكرى القوتلى وكان رئيسا للجمهورية للوصول الى حل وسط ، فجعل التشريع الاسلامى مصدرا من مصادر التشريع فى الدستور وجعل دين رئيس الدولة الاسلام ، وجعل هدف التعليم اخراج جيل مؤمن بالله ، ووجد الدكتور السباعى نفسه عاجزا عن تحقيق اكثر من ذلك فقبل به فغضب لذلك علماء البلاد .

ولم يزل الاسلاميون فى سورية يصارعون من اجل تعديل دستورى يتضمن تلكما المادتين ، ولم يصلوا الى ذلك بعد حتى كتابة هذه السطور .

ويعتقد الاسلاميون فى سورية ان الدستور الأول لسورية لو اضيفت اليه هاتان المادتان لكان دستورا صالحا للبقاء ، ولكنه بحجة أن فى سورية اقليات تستبعد هاتان المادتان مع انه فى زمن فرنسا نفسها سجلت الجريدة الرسمية موقف كل نصارى سورية فى البرلمان ، وكانوا جميعا موافقين على ان يكون دين الدولة الاسلام ، والاسلاميون يعلقون اهمية كبيرة على

ادخال هاتين المادتين ، لأن ادخالهما فى الدستور اذا لم يوجد ناقض لهما بمثابة اعلان الانسان الشهادتين ، فهما ينفعانه ولو كان فاسقا .

وادخال هاتين المادتين فى الدستور ينقل الحكم من دائرة الكفر البواح الى غيره ، ولكن الكتابات الكثيرة التى ظهرت عن الفكر الغربى وعن رجالاته المرتبطين به فى سورية تدل على ان هناك اتفاقا بين كثير من الدوائر على ان تبقى سورية دولة علمانيه ، وان يساعد العلمانيون ضد الاسلاميين ولا زال الاسلاميون مغلوبين على امرهم ، مع ان اى تصويت حر فى سورية سيكون لصالح تلك المادتين .

وان كثيرا من الشواهد لتدل على ذلك ، ويكفى ان نعرف انه فى اشد الظروف قسوة عندما صوت على ما سمى بالدستور الدائم سنة ١٩٧٣ صوت اكثر من خمسين بالمئة من بعض القطاعات العسكرية ضد الدستور الحالى لأنه لا توجد فيه هاتان المادتان .

انه لابد ان ياتى يوم تقتنع بـه القوى الكبرى ان عليها ألا تحارب الاسلام فى بلاده .

صحيح أن هذه الحرب مستمرة وهى تعلل للكثير مما يجرى ، ولكن سيستطيع المسلمون ايقافه باذن الله .

❋ ❋ ❋

(فصل) فى حرب فلسطين

شهدت فى آخريات هذه المرحلة الحماس الشديد الذى استقبل به الشعب السورى فكرة الاستيلاء على فلسطين وطرد اليهود منها ، فقد شهدت بعض الخضب والهياج الشعبى وتطوع الناس فى جيش انقاذ فلسطين ، وكنت اتابع الأخبار عن كثب ، واسمع نشرات الأخبار التى تتحدث عن سير المعارك على ارض فلسطين ، كنت اعرف بعض من تطوع للجهاد فى فلسطين وكان بعضهم اصدقاء للوالد ، فكانوا اذا رجعوا فى اجازة اسمع منهم ما يجرى هناك ، واسمع منهم عن البطولات الهائلة لبعض المتطوعين ، وعرفت عن قرب قصص جيش الانقاذ والعثرات التى كانت تعترض سبيله ، وكان ممن تطوع فى جيش الانقاذ عدد من زعماء الأحزاب والعسكريين ، وكان مصطفى السباعى رحمه الله واكرم الحورانى واديب الشيشكلى وعبد الحميد السراج بعض من تطوع فى جيش الانقاذ ،

وكان على راس هذا الجيش مجاهد قديم معروف هو فوزى القاوقجى ، وانتهت هذه الحرب بالهدنة ، وعاد الناس الى اوطانهم وكانت هــذه الحرب علامة على ان ارادة الشعوب الصغيرة محكومة بارادة الشــعوب الاقوى .

فقد دخلت الجيوش العربية حرب فلسطين واكثر البلدان العربية لا زال مستعمرا ، والبلاد التى تحررت حديثا كسورية لم تكن قد وقفت على رجليها بعد ، لقد كان التفوق العسكرى والسياسى لصالح اليهود بنسبة هى اكبر بكثير مما حاولت الشعوب ان تصوره . ومع ذلك فقد ظهـرت بطولات هائلة سجلها المتدينون فاستطاع الاسلاميون بقيــادة الدكتــور السباعى ـ رحمه الله ـ ان يحافظوا على القدس القديمة ، واستطاع الاسلاميون ان يقهروا اليهود فى معارك عديدة ، ونحن نعتقد ان حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان لها أثران كبيران فى السياسات الصهيونيـــة والصليبية والعالمية ، وقد استخلص هؤلاء منها العبر وكان من اعظم آثارها السياسية على المنطقة :

١ ـ الحرب العنيفة ضد الحركة الاسلامية واعطاء ذلك اولوية ، وقد خدم هذا الاتجاهات السياسية الأخرى وقد ظهر بجلاء ان الروح المعنوية الهـائلة التى يمكن ان يفجـرها الاســلام تحــول دون تحقيق المخططات .

٢ ـ ظهور فكرة الانقلاب كوسيلة يفرض بها على الشعوب ما لا يمكن فرضه بالوسائل الأخرى . ومن ثم لم تكن كارثة المسلمين فى فلسطين كارثة محلية ، بل تعدت فلسطين لتؤثر على وضع الأمة الاسلامية كلها ، ومن ههنا كان حل المشكلة الفلسطينية منوطا الى حد كبير بوضع الاســلام والمسلمين فى العالم .

***

(فصل) فى الانقــلاب

شهدت فى اواخر هذه المرحلة انقلاب حسنى الزعيم والانقلاب عليه ، وكانت اول مرة نسمع بها بفكرة الانقلاب ، وقد يكون هذا الانقلاب الأول فى العالم الاسلامى ، وقد اصبحت اسرار انقلاب حسنى الزعيم

معروفة الى حد كبير فقد اعلنت المخابرات الأمريكية ـ فى اكثر من كتاب ـ انها كانت وراء الانقلاب .

وهكذا اغتيلت اول تجربة ديمقراطية فى سورية بعد الاستقلال .

ومن العجيب أن كثيرا من الغوغاء استقبلوا اعدام الديمقراطية فى سورية واستقبلوا فكرة الانقلاب بحماس زائد ، وكان قليلون من النـاس يعرفون ماذا وراء ذلك من اخطار .

كان الانقلاب هو الحل لقضايا سريعة ، فقد سلمت مستعمرة مشمار هايردن لليهود ووقع اتفاق مد خطوط أنابيب التابلاين كما ارادتها الشركة الأمريكية . والغيت مجلة الأحكام العدلية وهى لقانون المدنى الاسـلامى لسورية ليحل محلها القانون المدنى الفرنسى المترجم وهو شىء لم تفعله فرنسا نفسها ، ولكن التدميس الذى طرأ على سورية نتيجة لفكرة الانقـلاب كان اخطر فى ذلك كله . فلقد كانت سورية تمتلك روحا وطنية عارمة .

وكانت تؤمن بالوحدة العربية حتى ان كثيرين كانوا يعتبرونهـا بروسيا العرب ، وكانت سورية تمتلك اقتصادا قويـا وعقولا اقتصادية تستطيع أن تنهض بسورية وبالعالمين العربى والاسلامى .

وكانت سورية تمتلك جيشا ذا شعور قوى بالكرامة وكان جيشها مؤهلا لأن يطور قوته ، واهم من ذلك كله ان الروح الاسلامية فى سورية كانت تتنامى بقوة هائلة ، فاريد تحطيم ذلك كله ولم يكن ذلك متاحا من خـلال التجربة الديمقراطية ، فكانت الانقلابات هى الوسيلة لذلك كله وكان اول هذه الانقلابات انقلاب حسنى الزعيم .

صحيح ان الديمقراطية الناشئة فى سورية كان لها عيوبها ، وكان للقائمين عليها عيوب ، ولكن كل الدلائل تشير الى ان امكانية تطوير الديمقراطية فى سورية كانت موجودة ، ولكن من كان عليه ان يحمـى الديمقراطية كان اول الخائنين لها .

وتوالت الانقلابات على سورية فنقلها هذا من ضعف الى ضعف .

وقد صارعنا ولا زلنا نصارع من اجل ايجاد وضع نموذجى فى سورية يرتاح به جميع المواطنين .

* * *

الباب الثانى

من الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة

(١٩٤٨ ـ ١٩٥٢ م)

كانت هذه المرحلة على قصرها وعلى صغرى فيها اغنى مراحل حياتى فى المطالعة على كثرة مطالعاتى فيما بعد ، فقد طالعت فى هذه المرحلة كتبا عالمية كثيرة وقرات عن شخصيات عالمية كثيرة .

لقد لخصت كتاب ارسطو « الاخلاق الى نيقوماخاس » وهو كتاب ضخم وانا فى الثالث الاعدادى وقرات عن شوبنهور وافلاطون ونيتشة وهى سلسلة كان يصدرها عبد الرحمن بدوى ، وعن الثورة الفرنسية ونابليون ، وفى التصوف ، وفى الاخلاق ، وسلسلة جرجى زيدان القصصية التاريخية . كانت هناك مكتبة كبيرة عامة فى مسجد يسمى مسجد المدفن فى حماة وكانت تفتح ابوابها يوميا بعد العصر ما عدا يوم الجمعة .

وكان منظر الصغير الذى يلبس جلابية سوداء ويحلق راسه ويجلس يوميا فيها يلفت النظر ، كما ان نوع الكتب التى كان يطلبها تلفت النظر فهو كثير النظر فى الاحياء ، ويطلب كل كتاب غريب لينظر فيه بما فى ذلك كتاب « الانسان الكامل » لعبد الكريم الجيلى ، كنت اقرا ولو لم افهم ، واقرا بسرعة كبيرة كان معدل قراءتى فى الساعة ستين صفحة ،وقد اعطتنى هذه المطالعة قوة على الكتابة الانشائية تتجاوز سنى كما اعطتنى القدرة على الاستيعاب السريع وعلى استيعاب الفكرة الكلية بسرعة ، وكان لهذا تاثيره على كل ما كتبت فيما بعد .

* * *

انتسبت فى هذه المرحلة للمدارس الاعدادية ، فانتسبت ابتداءا لثانوية ابن رشد ثم انتقلت لفرع اعدادية ابى الفداء فى السنة الاولى ثم عدت الى ثانوية ابن رشد لاقضى فيها السنتين الثانية والثالثة اعدادى .

نجحت فى السنوات الثلاث ، لم اكن الفت نظر اساتذتى الا بقدرتى الكتابية ، كان بعض المدرسين يقرا لزملائه ما اكتب فيعجبون .

كان الصراع الحزبى على اشده فى الحياة الطلابية ، كانت هناك احزاب ثلاثة يحس بها الطالب : الحزب الشيوعى والحزب القومى السورى والحزب العربى الاشتراكى ، وكان الحزب الاشتراكى هو المسيطر على ثانوية ابن رشد وكان الاشتراكيون يعتبروننى منهم بحكم النشاة ، لكننى كنت حريصا ان اعرف كل شىء .

دعانى احد طلاب صفنا ـ وهو مسيحى ـ ان أحضر لقاءا مع بعض الشيوعيين فحضرت ، اعطونى نشرات ، تكلموا فى أسلوب الدعوة الى الشيوعية ، تحدثوا عن الشعور واللاشعور وكيف أن الشعور ابتداءا يرفض الجديد الغريب لكن الكلام عنه يستقر فى اللاشعور ، وشيئا فشيئا يتحول اللاشعور الى شعور فيقبل الناس الفكرة الجديدة الغريبة ، لا اتذكر اننى حضرت أكثر من جلستين ثم لم اتابع .

دعانى الشيوعيون مرة للمشاركة فى مظاهرة ضد اديب الشيشكلى لكن المظاهرة لم تتم .

كنت أسمع باسم الاخوان المسلمين ، سالت مرة احد المتدينين عن الاخوان المسلمين فتظاهر انه لا يعرفهم (لكنى بعد ان دخلت فى الاخوان عرفت انه منهم) .

كنت أصلى واصوم بحكم النشاة .

وكانت قراءاتى فى الاحياء تدعونى الى نوع من التقشف الشديد لكن كان اهم المؤثرات فى تدينى أن الشيخ محمد الحامد كان هو مدرس التربية فى ثانوية ابن رشد ، وهذا اوصلنى الى حلقته العلمية فى جامع السلطان وكانت ابتداءا حلقة صغيرة يحضرها كبار السن وبعض الشباب وكنت واحدا منهم وكان لهذه التلمذة اكبر الأثر فى حياتى .

* * *

كان الشاب الناشىء يتعجب كيف يعيش الناس دون هدف كبير يسعون لتحقيقه ، وكيف ينصرفون عما يورث الأمجاد ، وكان يعجب كيف يعجز الناس عن التغلب على اى مشكلة تعترض سبيلهم .

كانت هذه بعض احاديث النفس فى تلك المرحلة المبكرة .

لم انقطع عن العمل مع والدى فى سوق الخضار فى مهنته كبائع جملة .

اصبح لى عدد من الاخوة والأخوات .

لا زلت اتذكر انه أصبح على الوالد ديون في تلك الفترة فقررت الا نطبخ فى بيتنا اى طعام مشترى حتى نفى ديوننا ،وافقنى الوالد والأهل وفعلا لم ندخل بيتنا شيئا يذكر حتى تم سداد الدين ، وكان الدين شديد الوطاة على منذ صغرى ، ولقد كبرت ولا زلت استصعب الدين وندر الا لضرورات قاهرة ان استدنت .

* * *

الباب الثالث

من الثامنة عشرة حتى العشرين

(١٩٥٢ ـ ١٩٥٥ م)

المرحلة الثانوية

فى هذه الفترة دخل فى عملى الحياتى مهنة اخرى وهى الزراعة وهكذا اصبحت اشارك فى عملين حياتيين مع الوالد : حرفته فى سوق الهال اى فى سوق البيع بالجملة ، وحرفته فى الزراعة ، فقد ارتفع سعر القطن فى سورية ارتفاعا اغرى الكثيرين بالزراعة عامة وبزراعة القطن خاصة ، وقد علل الناس بعد هبوط اسعار القطن فيما بعد لارتفاع الأسعار تعليلات اقتصادية سياسية ، المهم ان الوالد اندفع فى هذا الموضوع واستأجر ارضا قريبة من حماة تصل اليها ماء ساقية الرى الممتدة بين حماة وحمص ، وشاركت فى العمل على مدى سنتين وكان لذلك فائدته الكبيرة .

بقيت مطالعتى فى هذه المرحلة كثيرة ، ولكن المعلم الضخم فى حياتى هو دخولى فى الاخوان المسلمين أواخر العام الدراسى وانا فى الصف الأول الثانوى .

كان ذلك انقلابا هائلا فى حياتى فمع اننى من بيئة متدينة وكنت احضر دروس الشيخ محمد الحامد لكن دخولى فى الاخوان المسلمين كان فى الحقيقة نوعا من العثور على « الأنا الجماعى » لنفسى ولذلك فقد دخلت مباشرة فى اضطراب قلبى هو الأول من نوعه فى حياتى فقد انصبت على قلبى وساوس كثيرة بعد ان حددت وجهتى نحو الله جل جلاله ثم نحو العمل من اجله ومن خلال ربط المصير بالعاملين للاسلام ومن اجل امة اسلامية تؤدى دورا راشدا فى العالم ، هذه المعانى جعلت قلبى يفكر فى اصل الايمان ، اصبحت اثناءها كثير التأمل مستغرق الهم والتفكير فى ليلى ونهارى وذهابى وايابى وممشاى وجلوسى ، وكنت كثيرا ما افتح القرآن واتأمله ، واتطلع الى السماء وافكر فيها ، وادعو الله واتضرع اليه

ان يكشف عنى هذه الحالة ، ولم البث كثيرا الا وانقشعت عنى هذه الحالة ، لكنها تكررت مرة ثانية عندما استغرقت فى التصوف كما ساذكر فيما بعد ، وقد عرفت فيما بعد معنى هذه الحالة ومحلها فى الارتقاء والنقصان .

جرت عادة الاخوان المسلمين ان يدخلوا العضو الجديد فى اسرة يتلقى فيها التعليم والتوجيه ، وكان موجهى الرئيسى فى تلك الفترة هو الأستاذ مصطفى الصيرفى ابرز شخصيات الاخوان المسلمين وقتذاك فى حماة ، وهو احد ثلاثة كانوا يعتبرون وقتذاك اقوى الاخوان المسلمين ثقافيا ودعويا ، وكان شباب الاخوان ينظرون اليهم على انهم زعماء الحركة بصرف النظر عن محلهم فى سلم الاداريات ، هؤلاء الثلاثة هم الأستاذ مصطفى الصيرفى والدكتور عبد الكريم عثمان وعدنان سعد الدين ، كان الثلاثة محدثين ومحاضرين وخطباء من الدرجة الأولى مع نضج فى الفكر السياسى والحركى .

وتاكدت تلمذتى على الشيخ محمد الحامد فى هذه المرحلة واصبحت اشعر اكثر من ذى قبل اننى تربطنى به رابطة روحية قوية لدرجة انه كان عندى استعداد لأن افتديه بحياتى وقلما احسست مثل هذا الاحساس مع احد غيره ، وكان لتلمذتى على الشيخ آثار كبيرة فى نفسى ، فقد نما حبى للفقهاء وللعلماء ، وزاد تمسكى بالحكم الشرعى وبالنصوص لدرجة اننى انقطعت عن زيارة شخصية محببة لنفسى من كبار الاخوان وقتذاك لأنه يتبنى آراء شاذة فى شان المسيح عليه السلام وفى شان الدجال .

اندفعت انا ومجموعة من الاخوان نحو الثقافة الاسلامية المتوارثة فاخذنا علم ترتيل القرآن عن الشيخ سعيد العبد الله وتعاقدت مع اكثر من مقرىء فى البلد من اجل حفظ القرآن او مدارسته اخص بالذكر الشيخ محمد القواس والشيخ قدور الموسى والشيخ ابراهيم الشراباتى والشيخ احمد الحامد رحمهم الله وعندما انهيت الدراسة الثانوية كنت احفظ اكثر القرآن الكريم .

وفى هذه المرحلة وقع فى قلبى اصل النظرية التى بنيت عليها تفسيرى فيما بعد والمتعلقة بالوحدة القرآنية .

ومن ابتداء دخولى فى الاخوان ظهرت عندى ملامح ملكة خطابية فى اكثر من مناسبة اما فى خطبى فى المظاهرات الطلابية او فى خطب دعوية فى المساجد فى الريف او فى المدينة .

تدرجت فى العمل الاخوانى من عضو اسرة الى نقيب اسرة ونائب عن مسئول فى ثانوية ابن رشد وهى اكبر ثانوية فى البلد الى ان اصبحت مسئولا عن الطلاب فى مدينة حماة .

كانت فكرة الجهاد والسلاح تستهوينا ، وكانت قيادة الجماعة فى حماة تخشى من هذا التوجه ، ومع ذلك فقد اعتمدنا على اذن ضعيف واوجدنا تشكيلا مسلحا ، ولقد قام هذا التشكيل بتعطيل اكثر من حفلة غنائية راقصة وكان لذلك اثره فى بقاء حماة معافاة من المراقص والملاهى الى فترة طويلة .

ولقد اخذنا فى اجواء هذا التشكيل شيئا من التدريب لا باس به .

وفجاة حاول بعض افراد التشكيل ان يرجح كفة بعض القياديين على بعض مما لم ينشا التشكيل من اجله فاحبطت الفكرة وانتهى التشكيل ، كان عقلى الاخوانى يرفض مثل هذه التوجهات داخل الجماعة ، كان لى دور رئيسى ـ فى تلك المرحلة ـ فى ثلاث مظاهرات طلابية : مظاهرة بمناسبة دعوة الاخوان المسلمين الى ادخال نظام الفتوة فى المدارس الثانوية وقد نجحت الفكرة ، ومظاهرة بمناسبة اعدام قادة الاخوان المسلمين فى مصر ، ومظاهرة احتجاجية على وعد بلفور وكنت المتحدث الرسمى فى هذه المظاهرات عن الاخوان المسلمين .

كان حينا حى العليليات فى حماة هو اكبر احيائها ، وكان قلعة حصينة للاشتراكيين من اتباع اكرم الحورانى وقد قتل اكثر من انسان فى حينا حتى تمت السيطرة على الحى لهذا الحزب ، لذلك كانت غضبة الحزبيين كبيرة لدخول الاخوان المسلمين الى حينا عن طريقى ، وقد عرض على اكثر من عرض لترك الاخوان المسلمين والمساهمة فى تشكيل جناح متدين فى الحزب ، وعقدوا مرة اجتماعا دعونى اليه مع والدى من اجل ترك الاخوان فكان كلامى شديدا : اننى ما دمت على الحق فلن يثنينى عن موقفى شىء ، ثم خرجت مغضبا ولولا مراعاتهم لوالدى واسرتى لكان وضعى فى غاية الخطورة ولكن الله سلم .

كان الصراع الحزبى داخل المدارس على اشده وكانت سيطرة الاشتراكيين على المدارس والطبقة المثقفة كاملة . وكانت مفاجاة لهم ان ظهرت قوة اخرى هى قوة الاخوان المسلمين التى اكتشفوها لاول مرة يوم سقوط اديب الشيشكلى فقد ظهرنا يومها كاقوى قوة طلابية واستطعنا ان نحتفظ بهذا التفوق فيما بعد .

كان ذلك شيئا كبيرا وعجيبا فقد انتهى التدين من صفوف الطلاب حتى ان الجيل الذى سبقنا فى ثانوية ابن رشد حدثنا انه لم يكن فى ثانوية ابن رشد من بين الف طالب الا طالبان يصليان مستخفيين ، لكن الوضع قد تغير فمن صف الرياضيات من طلاب الشهادة الثانوية كان هناك سبعة وعشرون ينتسبون للاخوان من اصل واحد وثلاثين طالبا فى ثانوية أبى الفداء ، لذلك حاول الاشتراكيون اكثر من مرة ان يصادمونا لعلهم يوقفون هذا المد عن طريق الارهاب محتمين بالسلطة التى كانوا اصحاب نفوذ فيها لكن ذلك كله لم يفد .

كان شيخنا الشيخ محمد الحامد يبين لنا خطورة المستقبل ويذكران حزب البعث بقيادة ميشيل عفلق تغلغل فى وزارة التربية وسيطر على الحياة الثقافية ، وان اكرم الحورانى وحزبه تغلغل فى الجيش وسيطر على الحياة العسكرية ، وكان يطالبنا بالتوجه نحو الجيش لكنا لم نكن على مستوى العمل السياسى وقتذاك . كان الحماس هو زادنا الوحيد ، بينما كان اكرم الحورانى يعمل بحس سياسى مرهف ندر من امتلكه فى سورية ، وكانت بقية الأحزاب تتضاءل امامه لفقدانها الحس التنظيمى والقدرة على مخاطبة الجماهير واستقطاب الأجيال الجديدة ، ومع ان الأجيال الانتخابية كانت يسيطر عليها حزبا الشعب والوطن ولكن هذه الأحزاب كانت تمتلك الحاضر فقط ، ومن يومها فقدت المستقبل .

لم نستطع أن ندخل الجيش لأن الاشتراكيين امسكوا بمفاتيح الدخول الى الكليات العسكرية وكانوا يستبعدون اصنافا من الناس وخاصة ابناء الأسر المتدينة او المتدينين او ابناء الأسر الغنية ولا يخلو ان تمر بعض الأسماء اما ذرا للرماد فى العيون واما لنوع من التقييم خاص ، او لتدخل جهات ما او مراعاة للحياة الديمقراطية او تطمينا لبعض الجهات ، المهم اننا لم ندخل الجيش مع انه كان حلما لنا فى يوم من الأيام ، ولقد رأيت رؤيا يومها وجهتنى لدراسة الشريعة . وكانت تلك هى رغبتى .

كان حزب البعث والحزب العربى الاشتراكى قبل اندماجهما يراهنان على الأقليات الدينية والطائفية ، وكان المفروض ان نقابل ذلك بالعمل فى الأقليات العرقية المسلمة كالأكراد والشركس . وقد غلطنا اذ لم نفعل وغلط الحزبان اذ فعلا لأنهما ضربا من حيث ارادا النصرة .

استهوتنى بعد ان دخلت الاخوان فكرة التفرغ للدراسة الاسلامية

البحتة ووجدت مسابقة لانتقاء المعلمين للتعليم الابتدائي فشاركت بها حالما بما ذكرت ، وقد نجحت فى المسابقة وعينت فى مدينة الحسكة فاخذت مجموعة من الكتب وتوجهت الى هناك ، عينت فى قرية تابعة لتل كوجك فى اراضى قبيلة شمر ووصلت الى تل كوجك وسألت عن الطريق الى القرية فوجدت واحدا من ابناء دهام الهادى شيخ شمر فأخذنى معه حتى اوصلنى الى القرية وعلى الطريق أصطاد ارنبا وقف جامدا امام انوار السيارة فاطلق عليه النار ، وفى هذه الفترة التي قضيتها مع هذا الأمير لحظت أنه يصدر أوامره الى أصحابه ويكتفى بذلك، ورأيتهم يختلفون مع بعضهم في تنفيذ الأمر ولكنه لا يتدخل ما دامت اوامره نافذة فشعرت باحترام لـه بسبب ذلك .

وصلت الى القرية ليلا ، نمت فى بيت المختار ، دللت صباحا على المدرسة ، جاء الطلاب ودرستهم وبعد الظهر فكرت فى شانى ؛ ووجدت ان ما انا فيه ليس هو وظيفتى فى الحياة ، وحزمت اغراضي مباشرة ورجعت الى حماة ، كانت مفاجأة للوالد لكنه لم يعلق عليها ، عدت الى ثانويتي للدراسة وللعمل الاسلامى فى صفوف الطلاب .

كان قلمى سيالا فى هذه المرحلة وكانت قدرتى على نظم الشـعر جيدة حتى انني نظمت قصيدة حوالى خمسين بيتا فى يوم او يومين .

اثناء اختبار الشهادة الثانوية كتبت فى موضوع الانشاء صفحات كثيرة لفتت انظار المراقبين .

حصلت على الشهادة الثانوية من غير تفوق فقد كان عملى الاخوانى ومطالعاتى الخاصة وانشغالى مع والدى فى سوق الهال وفى المزرعـة لا يعطى فرصا لنجاح متفوق ، توجهت بعد نجاحى فى الثانوية نحو الجيش ثم انسحبت من المسابقة بسبب أن انواعا من الكشف لم ترق لى ، توجهت بعد ذلك لكلية الشريعة فى دمشق وكان ذلك بعد تاسيسها وافتتاحها بعام واحد ، حضرت خلال ذلك محاضرة للدكتور السـباعى المراقب العـام للاخوان المسلمين فى سورية القاها فى مدرج جامعة دمشق كانت رائعة شعرت اثناءها وكانى منوم مغناطيسيا .

زرت الشيخ محمد الهاشمى ـ الجزائرى الأصل ـ وهو شيخ الطريقة الدرقاوية فى دمشق ، واحد اقدر المتكلمين فى العقائد ، اسرنى علمـه وحـاله ، أخذت منه ورد الطريقة الدرقاوية وهو ورد مأثور قد ذكره

الاستاذ البنا فى آخر رسالة المأثورات تحت عنوان « ورد الدعاء » وهو استغفار وصلاة على رسول الله ﷺ ولا اله الا الله وحده لا شريك له . له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير .

ذكرت للشيخ أن شيخنا الشيخ محمد الحامد يوصينا بالذكر على الطريقة النقشبندية ويحضنا على التلمذة على شيخ ابراهيم الغلاييني فشجعنى الشيخ على ذلك ، وهكذا خرجت الى «قطنا» من أجل مفتيها ومرشدها فلم اجده ، قيل لنا انه فى قرية أخرى ، توجهنا الى هذه القرية مع من معى سيرا على الاقدام فعثرنا عليه ، أخذنا منه الطريق وأوصانى بالعزلة ، وكان هذا خلاف رأى الشيخ محمد الحامد الذى كان يشجعنى على العمل مع الاخوان المسلمين ، كان ذلك فى الصيف الذى أخذت فيه شهادة الثانوية .

غلب على قلبى حب الشيخ الهاشمى وتعلق قلبى به فكان هو والشيخ محمد الحامد أكثر اثنين تأثيرا فى حياتى .

كنت طالب حق حريصا عليه تواقا الى المعرفة ابحث عما هو الأكثر رضا لله لا يهمنى ما سوى ذلك .

لقد حدث انقلاب هائل فى حياتى فبعد أن كان زملائى الطلاب يروننى عاكفا على كتب الفلسفة أحفظ أشعار المعرى وأماحك المتدينين أصبحت وليس لى هم سوى الله عز وجـل .

كان مجموع ما أخذته فى أسر الاخوان المسلمين بعض آيات قرآنيـة حفظا وتفسيرا وقد كلفنا مرة بدراسة احدى الرسائل الثلاث وكلفنا مـرة بحفظ رسالة الوظيفة الكبرى ولم يتابع ذلك .

وكان شيخنا محمدالحامد يؤكد علينا : أيها الاخوان عليكم بالعلم ، ولم يكن واضحا لدينا ماذا تعنى كلمة العلم الا اننا كنا نحضر دروسه وطالبناه بأن يقيم لنا درسا فى مركز الاخوان المسلمين فأقـام درسـا للتفقه ، وطالبنا مرة أن يكون الشيخ هو رئيس الاخوان فاهتمت قيـادة مركز حماة لهذا الطلب ثم لم يكن شىء .

وتحت تأثيرات فكرةالجهاد فكرنا كشباب فى السلاح واشترينا بعض أنواعه وفكرنا فى التدريب والمعسكرات وكان هناك أحد الاخوة المصريين من الجهاز الخاص قد استقر فى حماة فحصلنا على شىء بسيط من التدريـب

واقمنا أكثر من معسكر تدريبى ، كنا نفكر فيما ينبغى فعله ولكن فى اطار ضيق وكانت الصراعات الحزبية فى سورية على أشدها .

كانت الثورة المصرية فى هذه المرحلة قائمة وكنا نتابع انباء الصراع فى مصر وسقط اديب الشيشكلى فى سورية ، وكانت عواطفنا السياسية تخضع للعفوية لكنى بنيت اهمية التركيب النفسى الذى يحدثه الانتماء لحزب او جماعة فمجرد الانتماء الصادق يجعل عواطف الانسان محددة مع حزبه .

كان التنافس الادارى داخل الاخوان شديدا وكان هذا التنافس يقذف الى سدة رئاسة الجماعة بمرشحى الوسط ولقد وصل الى رئاسة الاخوان فى حماة فى تلك المرحلة من لا يعتبر هو الأنضج اسلاميا واخوانيا بسبب ذلك وقد اصبح فيما بعد من كبار الناصريين .

كان الاخوان المسلمون اقوى الفئات طلابيا بسبب تحرك الاخوة واصبحت لهم قوة شعبية لا بأس بها بسبب دروس الأستاذ مصطفى الصيرفى فى جامع المسعود فى حماة .

اصطدمنا أكثر من مرة مع جماعة أكرم الحورانى واستعملت احيانا الأسواط والعصى واطلقت النار احيانا .

انهينا كل محاولة لادخال المراقص والتياترات الى حماة عبر عدد من العمليات الجريئة .

كان لهذه المرحلة آثارها الكبيرة على تفكيرى فيما بعد ..

ففكرة الربط بين الثقافة والخصائص والالتزام وبين العضوية كانت محصلة لرؤيتنا القصور فى هذه المرحلة .

وفكرة ان التقدم فى الجماعة منوط بذلك وان نوعا من الأعضاء المنصهرين فى الجماعة هم الذين ينبغى ان يمتلكوا حق الانتخاب كانت اثرا من هذه التجربة ، وفكرة انه لا قيمة لأى تجمع اذا لم تكن على راسه قيادة بصيرة تستوعب ساحة العمل وتعرف كيف تسير نحو الهدف هى اثر البداية التى بدات فيها انتسابى الى الاخوان .

وفكرة ملء الفراغ الروحى لدى الأخ كانت أثرا عن هذه المرحلة .

وفكرة العودة الى المسجد والانطلاق منه كانت اثرا عن هذه المرحلة .

وكان من آثار ذلك كله انني تطلعت للتلمذة على شيوخ الصوفية ، والتلمذة على العلماء والفقهاء والانتساب لكلية الشريعة .

ومع ان شيخنا الشيخ محمد الحامد كان ممن اجتمع له الذكر والعلم والورع والدعوة وكان ارقى الناس ـ فيما علمنا ـ روحيا وعلميا ومع ذلك فلقد كان يدفعنا نحو التلقي من العلماء والأولياء ، ولذلك ما ان نجحنا في الثانوية العامة وذهبنا الى دمشق الا وبحثنا عن اهل الذكر والعلم لناخذ منهم وقد ادخلنا ذلك في دائرة القلق والحيرة والاضطراب والتامل العميق في موضوع العمل الاسلامي .

* * *

لقد كان انجازنا مع زملائنا في العمل الاسلامي لهذه المرحلة ضخما ولقد دخلنا في صراع مع الاحزاب الأخرى على كل طالب تقريبا ، فما من طالب الا ادخلناه في دائرة دراستنا ومحاولتنا كسبه ، وربحنا معركة الطلاب ، وتحركنا مع بعض الاخوة نحو ريف حماة وكان لذلك آثاره الضعيفة ، وتحركنا نحو العامة نوع حركة وكان لذلك آثاره ، لكن هذا كله لم يكن يستند الى نظرية ثقافية او تربوية او تنظيمية او سياسية تكافىء المطلوب لأوضاع سورية وقتذاك ، لذلك ـ وكما سنرى فيما بعد ـ تلقى الاخوان المسلمون في الغالب في حماة قرار الجماعة بحل نفسها في سورية بمناسبة الوحدة بارتياح .

واذا سجلنا على الجماعة فقدانها النظرية الكلية الشاملة ومحاولتها البناء على ضوء ذلك ، فاننا نسجل للجماعة انها ما كانت تجد طريقا متاحا تخدم فيه الا وحاولته فقد انشات الجماعة في حماة وكذلك في سورية نوادي رياضية وكشفية واقامت الاحتفالات بالمناسبات واقامت الدروس والمحاضرات ، واعتمدت مبدأ الأسر للتربية على ضعف في ذلك ، وانشات مدارس ومعاهد للطلاب وحاولت ايجاد مستوصفات والقيام بالخدمات ولكنها لم تكن تمتلك وسائل كثيرة .

وكان الدكتور السباعي رحمه الله تحترق اعصابه ويحاول ان يرتقي في الجماعة ولكن الأعوان الأكفياء كانوا قلة ، وكانت الجماعة خارجة من انقسام خطير وانشقاق كبير ، ولا غرابة فان اصوات النقد كانت تلقى آذانا صاغية لكثرة الثغر والمناخ مساعد والأجواء الخارجية ضاغطة ، والتركيب التنظيمي للجماعة هش والمنتسبون للجماعة اخلاط ، والجماعة ليست

قادرة على صهرهم ، وككل انشقاق حدث فى الاخوان فى سورية فان الانشقاق يبدأ بالاعتراض على المراقب العام وكان وقتذاك هو الدكتور مصطفى السباعى الذى اضطرته ظروف سورية فى عهد اديب الشيشكلى للخروج من سورية فبدات الحركة المعاكسة بالدعوة الى التطوير ثم فى الدعوة الى التغيير ثم كان الانقسام الذى نجا منه مركز حماة .

ومن ذكريات هذه المرحلة : مشاركتى فى المخيمات الاخوانية ..

فلقد كان الاخوان المسلمون فى الأحوال العادية وحيثما يتيسر يقيمون مخيما سنويا عاما فى سورية يضم كل الراغبين فى المشاركة من اخوان سورية وكانت مثل هذه المخيمات تؤدى ادوارا متعددة فهى تساعد على ايجاد اجواء من المودة والحب بين ابناء المحافظات كما انها تفتح آفاق المشاركين وتعودهم على النظام والانضباط والالتزام الاسلامى ولقد شاركت فى مخيم من هذه المخيمات اقيم فى حلب اجتمع فيه تدريب كشفى ومحاضرات ودروس وتفتيش على التدريب وزيارات لكبار الاخوان وصلوات جماعة ومسابقات شعرية وأمسيات طيبة ، وقد حرمت سورية والكثير من البلدان العربية من مثل هذه النشاطات ، لكن هذا التقليد بقى قائما فى بلاد الغرب حيث يوجد قدر من الحرية فلا زال ابناء الحركة الاسلامية فى أوروبا وأمريكا يقيمون المؤتمرات السنوية او الموسمية ويترتب على ذلك خير كثير .

ومع المخيمات العامة لسورية كلها كانت هناك المخيمات المحلية وقد أقمنا مخيمين لبعض الاخوة فى ضواحى حماة اشرف عليهما احد الاخوة المصريين ، اجتمع فيهما العلم والتدريب الشاق والاخشيشان والتقشف وكنا نستشعرلذة وبهجة ومتعة لا حدود لها فى أجواء المحبة والاخوة .

ولقد خيمنا مرة فى مكان جبلى صخرى متشابه البقاع فضاع احد الاخوة وكم بحثنا عنه فلم نفلح حتى جاءنا فى اليوم الثانى فكانت فرحتنا لا تحد بعد أن خشينا عليه فاخذنا من ذلك درسا تعلمنا منه كيف نفعل اذا صادفنا مثل ذلك .

ومن ذكرياتى لهذه المرحلة ، ان الاخوان المسلمين فى رمضان كانوا يطوفون على مساجد المدينة مسجدا بعد مسجد فيلقون فيه المحاضرات فكان يجتمع لهم تذكير لاخوانهم ودعوة للناس .

ومن ذكرياتى لهذه المرحلة ، اننا نخرج خارج المدينة بمسيرات يجتمع فيها النزهة مع الرياضة مع التدريب على الحياة الاخوية المشتركة واذكر انه فى رحلة من هذه الرحلات اصاب ركبتى خلع بقيت بسببه حوالى خمسين يوما فى الفراش ولا زلت اعانى منه ، وكان ذلك بسبب انزلاق قدمى على الحشيش الرطب ووقوع احد الاخوة عليها .

ومن ذكرياتى لهذه المرحلة ، ان الاستاذ الهضيبى قام بزيارة الى سورية زار فيها امهات المدن السورية ومن ذلك حماة واستقبل فى سورية استقبال الفاتحين ، وكان الصدام بين الاخوان المسلمين وبين عبد الناصر قد اشتد وقد طلب منه اخوة سورية البقاء عندهم فرفض الا العودة لمصر وقد دخل على اثر ذلك السجن ، لقد كان رحمه الله يأخذ بالعزائم ، وانى لاتذكر كيف كان استقبال حماة له رائعا وكيف غلبت البهجة على حماة ، واتذكر الاحتفال الكبير الذى اقيم مساء وصوله فى جامع السلطان والجموع الكثيرة التى حضرته وقد تكلم يومها الدكتور السباعى وسعيد رمضان وغيرهما وتكلم الاستاذ الهضيبى باختصار وكان من كلامه انه يحب ان يعمل للدعوة وهو صامت ، وبمناسبة زيارته لسورية القى الاخوان خطبا فى مناطق كثيرة ، وحدثت حادثة مؤسفة فى المعرة فقد كان يخطب فيها سعيد رمضان خطبة الجمعة وإذا بهجوم يقوم به الاشتراكيون فى المعرة على المسجد ولقد حدثنى فيما بعد احد المسئولين الحكوميين كيف انهم دخلوا على المسجد وبيدهم زجاجات الخمر التى القوها على جدران المسجد وكانت فتنة كبيرة ، وعندما بلغنا ذلك ونحن فى حماة خرجنا اربعة ومعنا سلاحنا وتوجهنا الى المعرة ولكن كان كل شىء منتهيا فتابعنا مسيرنا الى حلب وحضرنا اواخر الاحتفال الكبير فى جامع سيدنا زكريا وقد اصيب الدكتور السباعى يومها بنوبة وهو يتكلم بحضور الاستاذ الهضيبى .

ومن ذكرياتى لهذه المرحلة ، انه عقد مؤتمر اسلامى فى سورية حضره كبار قادة العالم الاسلامى ومنهم الاستاذ المودودى رحمه الله وقد زارنا هو وآخرون فى حماة والقى بنا كلمة فى مركز الاخوان المسلمين اوصانا فيها بمكارم الاخلاق وكان لهذه الزيارات دور كبير فى انعاشنا وتفهمنا لقضايا الأمة الاسلامية .

ومن ذكرياتى لهذه المرحلة ، ان بعض الاخوة اتهمنى اننى اطمع ان

اكون المرشد العام للاخوان المسلمين وكان ذلك مؤلما لى لأن مثل هذا ما كان ليخطر لى على بال .

وقد تعودت منذ البداية ان توجه لى الاتهامات الظالمة حتى الفتها لانها ضريبة العمل الجماعى ، فعمل جماعى فى عصرنا فى الغالب لابد معه من الاقذاء كما ورد فى بعض روايات حديث حذيفة عند ابى داوود « وجماعة على اقذاء » ، ولعله من المناسب ان اختم هذه الفقرة بكليمات قليلة عن الاخوان عامة وعن نشاتهم فى سورية لأن ذلك مؤثر على مجريات الامور فيما بعد :

« نشات حركة الاخوان المسلمين بعد اربع سنين من سقوط الخلافة العثمانية اى بعد سقوط اللواء السياسى لآخر دولة اسلامية عالمية ، وقد نشات الجماعة فى ظروف انحسر فيها الاسلام انحسارا كبيرا وتسلطت القوى المعادية على كل اجزاء العالم الاسلامى تقريبا ، وانطلقت الجماعة تجدد الاسلام وتقدم الدواء وتتحمل الصدمات وتكتوى بنيران الأعداء والأصدقاء ، وكما ان الاسلام عالمى فقد نشات الجماعة عالمية فامتدت فى هذا العالم طولا وعرضا ولقد أصبح تنظيمها الحالى بفضل الله تعالى يغطى القارات الخمس وهى سائرة ومتنامية وفى كل يوم تزداد مواقعها رسوخا..

انطلقت الجماعة فى مصر على يد مجدد هذا القرن الامام الشهيد حسن البنا رحمه الله وقد الهم الله الأستاذ البنا كل ما يلزم لحركة اسلامية معاصرة ، ولذلك استطاعت الجماعة ان تنطلق وان تتوسع على كثرة النزوات والاندفاعات وعلى كثرة الضربات والعوائق ...

وقد تالق اسم الجماعة واسم مرشدها فى انطلاقتها الاولى حتى اصبح حمل اسمها شرفا لكل من يحمله وكانت هناك فى سورية تجمعات اسلامية كدار الارقم فى حلب وشباب محمد ﷺ فى دمشق ودار الأنصار فى دير الزور الى غير ذلك ، وقد ارتأت هذه التجمعات ان تلتقى على اسم الاخوان المسلمين وتحت قيادة الدكتور الشيخ مصطفى السباعى رحمه الله الذى شرب وعب من معين الأستاذ البنا وكان استعداده العلمى والسياسى والبيانى راقيا فقامت دعوة الاخوان المسلمين فى سورية ولكنها قامت والجو من حولها اعصار ، والتيارات المتناقضة المتضاربة شديدة عاتية والجماعة كانت فى بعض جوانبها امتدادا لمرحلة ما قبل التاسيس ولذلك فان قسما كبيرا من ابنائها حملوا اسمها دون مضمونها ، على ان المضمون بدا يتسرب

شيئا فشيئا عبر كتب الجماعة وعبر السوريين الذين درسوا فى مصر مثل الشيخ محمد الحامد والدكتور السباعى وعبد الكريم عثمان وعدنان سعد الدين ولكن منذ البداية كانت هناك مدرستان وحتى كتابة هذه السطور لا زالت هناك مدرستان فى الاخوان المسلمين السوريين .

***

ومن ابرز ذكريات هذه المرحلة سفرى مع بعض الاخوان الى دمشق بمناسبة ترشيح الأستاذ محمد المبارك نفسه للمجلس النيابى . وكانت المعركة الانتخابية حامية الى حد كبير .

لقد قرر الاخوان المسلمون بعد سقوط اديب الشيشكلى الا يدخلوا المعركة الانتخابية وكان ذلك على خلاف توجهات الدكتور السباعى واجتهاداته لكن الأستاذ المبارك قرر ان يدخل هذه المعركة وانفصل عن الاخوان المسلمين ، وقد اصدر الاخوان المسلمون بيانا اعلنوا فيهم موقفهم من الانتخاب وأعلنوا ان الأستاذ المبارك لا يمثلهم مما ادى الى عدم نجاح الأستاذ المبارك فى الاقتراع الأول ، فاستنفر الاخوان لمساعدته فى الاقتراع الثانى وقد نجح ، لم يكن للجماعة استراتيجية سياسية واضحة وكان هذا مظهرا من مظاهر عدم الوضوح فى العمل السياسى .

واستطرادا ـ وان استبقنا احداث المرحلة اللاحقة ـ نقول :

لما شغر احد مقاعد البرلمان فى دمشق تنافس عليه الدكتور السباعى ورياض المالكى وذهبنا مرة ثانية الى دمشق ، وكانت معركة هائلة رمى بها اليسار المحلى والعالمى بثقله مع رياض المالكى وضد الدكتور السباعى رحمه الله ورمى بها الاسلاميون وأعداء اليسار بثقلهم ولكن الجيش واجهزة المخابرات واجتهادات بعض شيوخ دمشق اسقطت الدكتور السباعى ، وكان ذلك مؤلما ان تسقط دمشق عاصمة الاسلام المتدينين وتلقى بثقلها بجانب غير المتدينين ـ وقد بلغنى أن رياض المالكي آل امره الى التدين فيما بعد ـ فاصيب الدكتور السباعى على اثرها بمرضه العضال .

ومن ابرز احداث هذه المرحلة اننا شاركنا فى نصرة الجزائر فقد اتفقت كل الجهات فى سورية على اقامة اسبوع لنصرة الجزائر وجمع التبرعات لها وبدأ الاسبوع بحفلة كبيرة فى دمشق نقلت فى الراديو تكلم بها الأستاذ على الطنطاوى وكان الاقبال على التبرعات عظيما ، وشكلت لجان فى كل المحافظات وضمت الأحزاب والمؤسسات والنوادى ، وكنت

انا وعدد من الاخوان مشاركين فيها وقد تعرفت اثناء ذلك على الأخ احمد جواد وكان ذلك فاتحة خير كبير ، حاول القائمون على العمل ان يصلوا الى كل قرية وحى وكانت حصتنا كبيرة فكنا نعمل ليل نهار ، طفنا قرى مسيحية واخرى مسلمة ، زرنا بعض البدو ، شاركنا فى الاحتفالات العامة ، كان اندفاعنا فى هذا الشان كبيرا وكان اثره طيبا .

❊ ❊ ❊

(فصل) فى الأشياخ العلماء

لم تزل سورية مليئة بالعلماء العاملين على مدى العصور ، كانت السياسات الاستعمارية تقتضى تفقيرهم وتحجيمهم والازراء بهم ، ومع ذلك فان قسما كبيرا منهم شاركوا فى الحركة الوطنية ، وقسم كبير منهم لم يكونوا يتركون العلم والتعليم والوعظ ان فى المساجد او فى اقامة المدارس الدينية ، ولقد استطاعت المدارس الدينية فى مرحلة الاستعمار او فى مرحلة الاستقلال ان تجتذب عددا كبيرا من الطلاب ، واستطاع العلماء الأقوياء الذين يدرسون فى المساجد ويعظون ان يؤثروا كثيرا فى قطاع كبير من الشعب ، وكان كثير من العامة يرتبطون بحلقة شيخ من المشايخ ، وكان شيخنا الحامد له حلقته العامة التى يدرس فيها بين المغرب والعشاء الا فى رمضان فقد كان درسه بعد العصر ، وكانت حلقته العلمية ثقيلة علميا ، فهو يقرا فيها فى أمهات الكتب ، وقد خصص يومين للفقه ويوما للسنة ويوما للسيرة ويومين للتفسير ، وكانت تلمذتى على هذه الحلقة وتلمذتى الخاصة على الشيخ لهما الأثر الأكبر فى حياتى ،وكان من عادته - عليه الرحمة - أن يدفع تلامذته نحو الاستفادة من العلماء ، ولذلك تخلقت بخلق البحث عمن استفيد منه ، وكانت سورية مليئة بالعلماء وقد حاولت ان استفيد من كل شيخ تعرفت عليه ، ومع انكارى على بعض الشيوخ فقد حاولت أن استفيد من بعض علومهم ، وهكذا أصبح البحث عن الشيخ المعلم للاستفادة منه هدفا لى لم اتخل عنه الا مضطرا وحتى هذه اللحظة فاننى اذا اجتمعت بالعلماء أحرص على ان استفيد ، واذا تكلمت فلأفتح الطريق امامهم للكلام .

واستطرادا اقول : انه فيما بعد هذه المرحلة حاولت ان استفيد بقدر الامكان من بعض شيوخ حماه ، وكان ابرزهم فى ذلك مفتى حماه الذى توفى وهو يمتلك كامل عقله وعلمه بعد المئة الشيخ سعيد النعسان ، وقد

قرأت عليه شيئا فى القرآن وشيئا من كتاب قواعد التصوف ، وكانت لى على الأخص صلات بقراء حماه ، وكنت ادارسهم القرآن واتلقاه عنهم وخاصة الشيخ سعيد العبد الله ، والشيخ قدور الموسى ، والشيخ احمد الحامد ، والشيخ ابراهيم الشرباتى ، والشيخ محمد القواس رحمهم الله ، فلما خرجت الى دمشق للدراسة فى كلية الشريعة فانه عدا عن تلمذتى على اساتذتها العظام كالدكتور مصطفى السباعى ، والأستاذ محمد المبارك والأستاذ مصطفى الزرقا والدكتور معروف الدواليبى والشيخ المنتصر الكتانى ، والدكتور احمد شعبان المصرى الفقيه والدكتور فوزى فيض الله الفقيه الاديب ، فقد تتلمذت خارج كلية الشريعة على الشيخ محمد الهاشمى فى التصوف وعلم الكلام ، وتتلمذت على الشيخ ابراهيم الغلايينى مفتى « قطنا » فى التصوف ، وتتلمذت فى القرآن على شيخ قراء دمشق وعمره حوالى تسعين عاما الشيخ العلوانى فى جامع النقشبندى ، وتتلمذت على الشيخ عبد الوهاب الحافظ (دبس وزيت) افقه فقهاء الحنفية فى بلاد الشام .

وكان العلماء الصوفية الذين مررت بحلقاتهم لا اعدهم كثرة ، وبقى هذا دابى فى التعرف على اهل العلم وحلقاتهم والاستفادة منهم ، بل وأخذ الاجازات منهم طول حياتى ، فقد اخذت اجازة شفوية من ولى العلماء وعالم الاولياء فى دمشق ملا رمضان البوطى والد الدكتور سعيد ، فقد اجازنى فى الدعوة الى الله ودخلت ثلاث خلوات صوفية عند خلفاء الشيخ الهاشمى رحمه الله ، وقد اجازنى واحد منهم اجازة مكتوبة فى الدعوة والارشاد وتسليك المريدين ، وقد اجازنى الشيخ محمد على المراد رئيس جمعية العلماء فى حماة بكل ما عنده اجازة مكتوبة ، واجازنى خمسة من مشايخ طرق متعددة بالاذن الصوفى فى طرقهم ، وكنت اقصد زيارة من عرفوا بالصلاح ولو لم يكونوا مشهورين من بلد الى بلد .

اما العلماء الذين اجتمعت بهم فذاكرتهم ودارستهم فلا احصيهم كثرة ، لكن من ابرزهم الشيخ عبد الكريم الرفاعى رحمه الله الذى اعتبره أحد اركان التجديد فى القرن الرابع عشر وكانت لى مجالسات ومذاكرات معه رحمه الله ، لقد كان للفقهاء والصوفية تاثير كبير فى ابقاء الاسلام راسخ الجذور فى سورية وخاصة عند العامة ، وجاء بعد ذلك الاخوان المسلمون فدخلوا الى عوالم المثقفين ، وجاءت جماعة الدعوة والتبليغ

فوصلت الى قطاع كبير ، وهكذا بدأ العمل الاسلامى يتكامل شيئا فشيئا ليغطى قطاعا واسعا من خلال الصوفية والفقهاء والجمعيات والجماعات حتى كاد يؤتى ثماره ، ولكنى لم يكن التخطيط الداخلى والخارجى لسورية ليسمح بذلك ، فكان العمل الاسلامى يتعثر شيئا فشيئا ، ولنرجع الى المرحلة التى نحن فيها فقد اصبح التطلع نحو الاستفادة من العلماء قراء وفقهاء وصوفية مطلبا عندى وجهنى فى هذه المرحلة وفيما بعدها .

***

(فصل) فى بعض سياسات شيخنا محمد الحامد رحمه الله

كان الشيخ محمد الحامد من الذين اسهموا فى تأسيس الاخوان المسلمين فى مدينة حماة سنة ١٩٣٩ ، وبعد ان حظر اديب الشيشكلى الاحزاب وأخذ قسما على الموظفين لم يدخل الشيخ التنظيم مرة أخرى ، وانما كان يرعاه ، ولم يكن يسكت على خطأ أحد فردا كان او جماعة . وكان يرى ان يكون ابا لكل المسلمين ناصحا لهم فذلك ادعى الى تعميم النصيحة وادعى الى سلامة حلقته التعليمية التى كان يحرص على وجودها واستمرارها كل الحرص ، وكان يجنبها كل ما يمكن ان يؤثر على وجودها او استمرارها وهو كان يخشى من الله ان يعارض اى فعل خير الا اذا كان فيه شذوذ او انحراف .

اجتمع مع الشيخ تقى الدين نبهانى مؤسس حزب التحرير ، فقال : هذا رجل لا يصح ان نحاربه فلما ظهر على كتابات للحزب فيها أخطاء تحدث عن هذه الأخطاء على المنبر ، وكان يغار على الاسلام والمسلمين ويحب ان يعرف الواقع كاملا ويعتبر الاخوان المسلمين هم الفئة التى يجب ان تدعم ، وكان حريصا على ايجاد صيغة من التلاقى بين الاخوان المسلمين والعلماء والصوفية وغيرهم .

وكان يرى ان المسلمين فى مقابل انهاء هذه الردة يجب ان يضعوا يدهم بأيدى بعضهم مهما كثرت خلافاتهم ، ومع انه حنفى صوفى ، فقد كان يعلن دائما انه على استعداد بان يضع يده بيد اكثر السلفيين غلوا فى مقابل انهاء الردة . وكان شغله الشاغل الذكر والعلم والنصيحة ، رحمه الله .

***

(فصل) فى تنظيم الاخوان المسلمين فى سورية

لم ينقطع العمل الاسلامى فى سورية ، فالفقهاء والصوفية والوعاظ الذين كانوا يستقطبون اعدادا كبيرة من الشعب لم ينقطعوا فى سورية ، ولكنه امام نشوء النوادى والجمعيات والأحزاب ذات الأفكار الوافدة ، بدا بعض المثقفين الاسلاميين بداوا يفكرون فى عمل اسلامى مكافىء ، فكان أن وجد أفراد ثم مجموعات يفكرون فى مثل هذا منذ سنة ١٩٣٢ ، ولكن انتقال هذا التفكير الى مستوى الجمعية تأخر قليلا ، فنشأت جمعيات محلية ذات صفة ادارية خيرية دعوية منذ سنة ١٩٣٧ ، ونشأت باسماء مختلفة الا فى حماه فقد نشأت جمعية باسم الاخوان المسلمين منذ سنة ١٩٣٩ .

قال الأستاذ فتحى يكن فى كتابه « الاسلام فكرة وحركة وانقلاب » عن الاخوان المسلمين فى سورية :

« لم يكن فى سورية حتى مطلع القرن العشرين تيار اسلامى واضح المعالم .. وانما كانت هنالك دعوات دينية وطرق صوفية مقتصرة فى دعوتها على بعض جوانب الاسلام ..

وفى عام ١٩٣٣ شعر المرحوم « الدكتور مصطفى السباعى » وكان حينئذ شابا يافعا بحاجة الاسلام الى جماعة تؤمن به وتحمله وتدافع عنه . فبدأ بدعوة الناس الى دين الله ، يبصرهم به ويجمعهم عليه .

وفى عام ١٩٣٧ تأسس فى حلب « دار الأرقم » وفى دمشق « الشبان المسلمون » وفى حمص « جمعية الرابطة » وفى حماة « الاخوان المسلمون » .

وفى عام ١٩٤٤ كانت الحركة قد استكملت عدتها واتخذت شكلا تنظيميا واحدا فى كل المدن السورية . وانتخب الأستاذ السباعى مراقبا عاما لها .

وفى عام ١٩٤٨ حدثت كارثة فلسطين . وهب الشعب السورى يطالب بالتطوع للقتال . واخذت الحركة الاسلامية زمام المبادرة . وفتحت مراكز التطوع فى كل مكان . ولما تم للحركة الاسلامية اعداد كتائبها خرجت بهم الى ارض الجهاد . وكان من نصيبها الدفاع عن بيت المقدس اولى

القبلتين وثالث الحرمين الشريفين . وكان القتال يدور فيها من بيت الى بيت ومن شارع لشارع . ولقد ابلى المجاهدون بلاء حسنا . وسقط منهم عشرات الشهداء اودع اكثرهم الثرى بجوار المسجد الأقصى منهم :

الشهيد ضيف الله مراد ـ الشهيد تيسير طه ـ الشهيد محمد عينوص ـ الشهيد محمد عرنوس ـ الشهيد محمود دندشي ـ الشهيد محمد قباني ـ الشهيد نايف حسن عودة ـ الشهيد راضي الجوهري ـ الشهيد محمد طالب ـ الشهيد محمد صباغ .

وفي ميدان الاصلاح السياسي لعبت الحركة الاسلامية في سورية دورا هاما .. فدعت اول ما دعت الى اقامة حكم صالح يزيل عن سورية مخلفات الاستعمار .. ووجهت النصح الى الحكومات الوطنية المتعاقبة . وقاومت كل انحراف في الحكم والادارة . ولم تجامل في ذلك رئيسا ولا حكومة ولا زعيما .. وحاربت الحركة مشروع سورية الكبرى لأنه مشروع استعماري يجعل من سورية نقطة ارتكاز للنفوذ الغربي في الوطن العربي .

وفي عام ١٩٤٩ ساهمت في انتخابات « الجمعية التأسيسية » ونجح عدد من رجالها واشتركوا في وضع « الدستور » وصبغوه بالصبغة الاسلامية ...

وفي عهد اديب الشيشكلي عام ١٩٥٢ تعرضت الحركة لمضايقات شديدة وفرضت الرقابة على قادتها وسرح الدكتور السباعي من عمله في الجامعة السورية ، ثم نفي من البلاد ..

وفي عام ١٩٥٨ كانت الحركة الاسلامية في طليعة الحركات التي ايدت « الوحدة الثنائية » بين مصر وسورية..ويوم تجمعت الفئات الحزبية السورية كلها في « نادي الضباط » بدمشق لتوقيع وثيقة الانفصال كانت الحركة الاسلامية الوحيدة التي رفضت بموضوعية واصرار .. واستطاعت الحركة الاسلامية في هذه الفترة ان تستقطب تأييد القوى الشعبية كلها ، وتكون تيارا اسلاميا قويا ظهرت نتائجه في اول انتخابات نيابية بعد الانفصال عام ١٩٦١ .

وفي اعقاب حركة الثامن من آذار (مارس) التي اطاحت بالعهد الانفصالي تعرضت الحركة ولا تزال تتعرض لمحن متلاحقة على يد الحزب الحاكم في سورية .

وفى عام ١٩٦٤ توفى مؤسس الحركة الاسلامية الدكتور مصطفى السباعى مخلفا وراءه تراثا اسلاميا ضخما من الكتب والمؤلفات وحركة اسلامية هى أمل سورية اليوم .

ومن مؤلفات السباعى : (السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى) ، (الأحوال الشخصية) ، (المراة بين الفقه والقانون) ، (احكام الصيام وفلسفته) ، (احكام الأهلية والوصية) ، (احكام المواريث) ، (الوصايا والفرائض) ، (مشروعية الارث فى الاسلام) ، (نظام السلم والحرب فى الاسلام) ، (أخلاقنا الاجتماعية) ، ومجلة حضارة الاسلام » اه .

لقد استطاعت جماعة الاخوان المسلمين ان تفعل الكثير فى خدمة الاسلام والمسلمين ، ولكن بسبب من طبيعة الشعب السورى وبسبب من تركيبها النظامى تعرضت لعدة انقسامات اضعفتها وهى لا تزال تصارع من اجل البقاء والاستمرار رغم أن القوى التى تحاربها فى الداخل والخارج كبيرة وكثيرة .

* * *

(فصل) فى موجة الاعدامات فى العالم الاسلامى

شهد العالم الاسلامى سنة ١٩٥٤ موجة ضد الحركة الاسلامية فى كل مكان فحكم على نواب صفوى فى ايران بالاعدام ، وحكم على عدد من الاخوان المسلمين فى مصر بالاعدام ، وحكم على ابى الأعلى المودودى فى باكستان بالاعدام ، وضيق الخناق على الحركة الاسلامية فى أندونسيا ، وظهر الامر وكان مخططا واحدا يجرى تنفيذه فى العالم الاسلامى .

وهكذا اصبح يتضح ان معركة الاسلاميين ليست محلية بل هى عالمية ، وأنها مرصودة ، ونحن لانعجب أن تسهر الدول على مصالحها ، ولكن الشىء الذى يلاحظ أن هناك جهات متعددة لها غرض فى محاربة الاسلام ، لأنه اسلام بصرف النظر عن معقولية التعامل بين المسلمين وبين غيرهم ، وبصرف النظر عن نوعية التطبيق الاسلامى ، وبصرف النظر عن مراعاة المسلمين للمصالح .

وقد نفذ حكم الاعدام فعلا فى نواب صفوى فى مرحلة ، ونفذ فى عدد من الاخوان المسلمين فى مصر ، وفى كل من الحالتين خرجنا بمظاهرات قوية محتجين على تلك الأحداث .

وهنا نحب ان نسجل ان سورية كلها وقفت ضد اعدام الاخوان المسلمين فى مصر حكومة وشعبا وان ننس ، لا ننسى موقف فارس الخورى الذى كان رئيسا للمجلس النيابى ، اذ رمى بثقله كله من اجل انقاذ الاخوان المسلمين .

***

(فصل) فى السقف المرتفع

آمنت منذ وقت مبكر فى حياتى بضرورة ان نرتفع بالسقف الاخوانى ، بان نرتفع بمستوى قياداته ثقافة وخصائص والتزاما ، واعتبرت ان ذلك مقدمة للارتفاع بسقف الأفراد ، وهذا هو السبيل لأن تدخل الأمة تحت قيادة الاخوان المسلمين ، ولذلك طالبنا وفى وقت مبكر من حياتنا ان يكون الشيخ محمد الحامد هو رئيسا للاخوان المسلمين فى حماه ، وقد استمرت محاولاتنا لايجاد السقف المرتفع ولا زالت وان كان قد تغير اجتهادنا بان وجود السقف المرتفع يحتاج الى محاضن خاصة ، تعطى للمنتسبين اليها حرية الكينونة حيثما شاءوا ، وبهذا يرتفع السقف الاخوانى بشكل غير مباشر ، ولهذا طرحت فكرة انشاء مدارس طلاب الربانية ، ولئن كانت الضرورة ملحة لايجاد السقف المرتفع فى كل مكان فانه فى سورية أكثر ضرورة ، فالشعب السورى شعب مسيس ، كل فرد فيه يظن انه من اعرف الناس فى السياسة ، ثم ان هناك قطاعات دينية متفوقة علميا وروحيا ، او علميا او روحيا .

ولذلك فان هذه القطاعات ، وهذا الشعب لن يسلم للجماعة الا اذا كانت متفوقة سياسيا وعلميا وروحيا .

***

الباب الرابع

من الواحدة والعشرين الى السادسة والعشرين
(١٩٥٥ - ١٩٦١ م)
الدراسة الجامعية

دخلت الجامعة ١٩٥٦ منتسبا لكلية الشريعة ، عينت مسئولا اخوانيا عن كلية الشريعة ، كنت قد حفظت سبعة عشر جزءا من القرآن ، قررت ان اتم حفظ القرآن فى هذه السنة وقد حفظته بفضل الله ، بذلت جهدا كبيرا حتى احصل غرفة من غرف مساجد دمشق لأسكن فيها وبعد جهد حصلت غرفة فى التكية السليمانية ، وهى تكية قديمة مهملة تقع وراء مسجد السلطان سليم ، حدثت معى فى هذه السنة وساوس كثيرة ، انقذنى منها ترددى على الشيخ الهاشمى رحمه الله فقد كنت ادخل عليه وقلبى ملىء بالوساوس واخرج من عنده وقلبى ملىء باليقين ، وقد درست عنده جزءا من جوهرة التوحيد ، ترددت فى هذه السنة على الشيخ عبد الوهاب دبس وزيت افقه فقهاء الحنفية فى بلاد الشام ، وقد درست انا والشيخ بشير الشقفة عليهجزءا من كتاب الهداية .

كان يسكن فى مسجد القطاط شيخ اشتهر انه محدث ، هو الشيخ عبد الله الهررى ذهبت اليه انا وبعض الاخوة لأستفيد منه كيفية البدء فى دراسة علوم الحديث فاشار على أن احفظ الفية العراقى واعطانى نسخة من عنده عليها شروح وقد بدات فى حفظها وحفظت الكثير منها .

كان من ابرز اساتذتنا فى السنة الأولى الدكتور فوزى فيض الله وقد وزع علينا موضوعات من كتاب الهداية فى فقه الحنفية لنعيد صياغتها وكان نصيبى بحث الحج ولما قدمته له كان معجبا به ، وراقه تعليلى لعدم جواز قتل القمل اثناء الاحرام بأن المسلم وهو محرم يقدم لكل شىء سلاما ، وعلق على ذلك الأخ الزميل ابراهيم زيد الكيلانى بأن ابقاء القمل بلا قتل ينافى السلام وكانت نكتة .

لم اكن متفوقا فى دراستى لانشغالى بامور كثيرة ، العمل الاخوانى ، المطالعات الخاصة ،الدراسات على بعض الشيوخ ، حلقات الذكر والحياة الصوفية .

كان من أساتذتنا فى السنة الأولى الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله والدكتور محمد المبارك والدكتور معروف الدواليبى والأستاذ مصطفى الزرقا والأستاذ مصطفى الخن والدكتور صالح الأشتر والأستاذ عمر الحكيم ، لقد كان أساتذتنا محل حبنا وتقديرنا ، وكانت الصراعات الفكرية فى سورية على أشدها ، فكان أساتذتنا فى الغالب يضعون ايدينا على حجج الاسلام فى صراعاته ضد الخصوم .

كان من أبرز نشاطاتنا الجامعية لهذا العام اننا اقمنا ندوة جامعية عامة اسميناها ندوة الفكر المتحرر .

كان الشيوعيون واليساريون قد أقاموا ندوة سموها الندوة الأدبية ، قررنا أن نحضر هذه الندوة مستمعين وفوجئنا ان احد المتكلمين فيها يلقى قصيدة فيها مس بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، اطار ذلك صوابنا فاندفعنا نرفع أصواتنا احتجاجا ثم آل الأمر الى اشتباك بالأيدى وكانت الندوة باشراف الدكتور عمر فروخ ، تدخل بعض الناس فحالوا بين المشتبكين ، فعدنا الى الجلوس وطلبت الكلام ، اعطيت حق الكلام فالقيت كلمة ارتجالية تحدثت فيها عن الاقداس التى لا ينبغى ان تمس ، وكانت خطبة نارية القيتها ثم انسحبت ، فانسحب اكثر الحاضرين ، ثم طالبنا الجامعة باعطائنا حق فتح ندوة ، فكان ذلك .

واكتسحت ندوتنا الجامعة كلها ، فبينما كانت ندوتهم يحضرها العشرات ، كانت ندوتنا تجتذب المئات بل ان آخر ندوة أعلنا عنها ، تحفز كل طالب جامعى وطالبة للحضور فتدخل الحاكم العسكرى ـ وكان وقتذاك صبرى العسلى ـ فالغى الندوة واصدر قرارا بمنع كل الندوات الطلابية فى الجامعة .

حاولنا ان نحتج ولكن لا فائدة ، وكان سر الاقبال على هذه الندوة الأخيرة اننا دعونا للمحاضرة اليها كبار الاسلاميين وكانت الموضوعات التى ستطرق حساسة بالنسبة لقضايا المنطقة .

كان هناك شيخ طاعن فى السن وصف لى بأنه من اكثر الناس اتقانا للقرآن الكريم ، بل وصف بانه شيخ القراء فى دمشق ، وهو من آل العلوانى فاتفقت معه على ان اعرض عليه القرآن فكان لى موعد يومى معه تقريبا .

هناك حادث صدمنى صدمة كبيرة فى هذا العام وذلك ان المسئول عن

الاخوان المسلمين فى الجامعة دعا لاجتماع ، واثناء حديثه خطأ الأستاذ البنا فى بعض ما اعتمده من مناهج للسير الاخوانى . هالنى ذلك ، وكان هذا من اكبر المؤشرات على أن القائمين على العمل الاخوانى لم ينصهروا فى دعوة الأستاذ البنا رحمه الله ، ولقد عرفت فيما بعد ان هذا الأخ ترك الجماعة فيما بعد وخف التزامه الاسلامى كثيرا ولقد كانت ظاهرة الترك للجماعة وخفة الالتزام بعد التخرج من الجامعة تشكل ظاهرة من اخطر الظواهر التى تحتاج الى تعليل وتحليل ومعالجة .

نجحنا فى امتحان السنة الدراسية الأولى وقضينا العطلة الصيفية فى حماة ، وكانت أجواء سورية تقترب من الوحدة مع مصر وادخل ذلك شللا على عمل الأحزاب كلها فى سورية ، ومن ذلك الاخوان المسلمون الذين بدت مراكزهم وكأنها محلولة قبل القرار الرسمى للحل ، وهذا جعلنى اقبل على التصوف اقبالا اكثر من اى وقت مضى ، وكان فى حماة مجموعة مستغرقة فى التصوف تنتسب لخليفة للشيخ محمد الهاشمى رحمه الله ، فاندمجت معها واخذ السير الصوفى يسيطر على ذاتى ، ووافق ذلك ان حل الاخوان المسلمون انفسهم بمناسبة الوحدة مع مصر فى العام التالى ، وكانت سياسة عبد الناصر ان يغض الطرف عن النشاطات الصوفية ، فاقبلنا ابتداء على التصوف سلوكا ثم اندفعنا من خلاله الى الدعوة الى الله عز وجل على بصيرة وعلى علم معتمدين الذكر والعلم ، وكان لذلك آثاره الطيبة على مدينة حماة .

كان أبرز أحداث السنة الثانية فى الجامعة قيام الوحدة بين سورية ومصر ،وقد حلت الأحزاب كلها نفسها فى سورية ما عدا الحزب الشيوعى وكان من جملة من حل نفسه الاخوان المسلمين وقد كانت القيادات الاخوانية صادقة فى هذا الحل ولم يكن يسمح أحد لنفسه أن يتكلم فى هذا الموضوع من افراد الاخوان ، كل يجتهد لنفسه وكان اجتهادى لنفسى أن أحمل نفسى على العلم والذكر والدعوة ضمن الاطار الصوفى واستمر ذلك حتى الى ما بعد تخرجنا .

ففى دائرة العلم تابعنا دراستنا فى الجامعة وكان من اساتذتنا الذين لم نورد اسماؤهم من قبل : الدكتور زكى عبد البر وهو من مصر والدكتور أحمد السمان ــ والد غادة السمان ــ وقد درسنا الاقتصاد السياسى وكان اشهر اقتصاديى سورية وقد بقى عميدا لكلية الحقوق سنين طويلة ، ومن اساتذتنا الذين مروا علينا الشيخ بهجت البيطار وآخرون .

وفى دائرة الذكر استغرقت فى العبادات والأوراد وحضور مجالس الذكر والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاولت أن أدخل خلوات الشيوخ فدخلت خلوة عند الشيخ سعيد البرهانى وخلوة عند الشيخ عبد القادر عيسى وخلوة عند الشيخ بشير قهوجى وفى دائرة الدعوة شاركنا مع الأخ بشير شقفة وأديب كيلانى وبعض شيوخ البلد فى اقامة الحلقات العلمية والدروس والمواعظ .

بدأنا مع اخوان الطريق ـ وما أصفى الحياة معهم ـ نوعا جديدا من الدعوة الى الله تقوم على جلسات البيوت وجعلنا لهذه الجلسات نمطا خاصا فكان يجتمع انشاد وارشاد ، وقد استقرت هذه الجلسات فى بيت أحد اخوان الطريق ، وهو أخ متفان فى خدمة اخوانه ندر مثله فى الحب والاخلاص ، هو الحاج حسن غزال رحمه الله ، وكان برنامج الجلسة مع النشيد وقراءة القرآن توحيد وسيرة وفقه وتعليم عام ، وكان لهذه الانطلاقة بركتها وخاصة على منطقة الحاضر من حماة .

وكان لاخوان الطريق أنواع من الحلقات : حلقات ذكر وحلقات علم خاصة وعامة ، وكان ذلك كله أيام الوحدة مع مصر وكان من سياسة عبد الناصر تشجيع الاتجاه الدينى الصوفى . فاستفدنا من هذا المناخ .

وكانت هذه حياتنا حتى دخلنا فى سلك التدريس .

وكان أشهر أولياء دمشق فى هذه المرحلة الشيخ أحمد حارون رحمه الله والشيخ يحيى الصباغ وكنا نرى الثانى فى مجالس الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم وكان يحبنا ولقد دعا لنا دعاء حارا ، وزرنا الشيخ أحمد حارون فى بيته وكانت جلسة عجيبة بما حوته من فوائد وعلوم كان يسألنا عن بعض الآيات القرآنية ثم يأتينا بأوجه جديدة لا تخطر على بال ومع ذلك كنا نسلم له فيما يقول لوضوح الحجة عنده ، رحمه الله .

تزامنت حياتنا الجامعية مع الوحدة بين مصر وسورية ،ففى السنة التى انفصلنا بها عن الجامعة تم الانفصال . استقبلنا الوحدة ونحن فى السنة الثانية وكانت فرحة حقيقية لكل الناس حتى الذين لم يفرحوا لم يكن أمامهم الا أن يظهروا الفرح وكانت أقوى المسيرات المبتهجة هى مسيرتنا وأقوى الكلام الذى قيل فيها هو كلامنا .

ولقد كان الأخ الشاعر محمد منلا غزيل يقود الهتاف بقصيدة كان مطلعها :

هبى ياريح الجنة هبى علينـــا   نحن حققنا الوحدة الوحدة الزينه

لقد كانت بداية الوحدة شيئا هائلا على صعيد الانجاز السياسى وعلى تفاعل الشعب السورى معها فكيف انتهت هذه الوحدة بعد ثـلاث سنوات ؟ ذلك ما يحتاج الى تامل طويل ، فسقوط حكم وقيام حكم يخضع لمؤثرات كثيرة والأحكام المستعجلة لا تجدى شيئا .

لقد كانت دروس هذه المرحلة كبيرة فقد جعلتنى مع مثيلاتها اصـل الى قناعات كثيرة حكمتنى ولا زالت تحكمنى :

اولا : انه لا الجامعة ولا الاخوان المسلمون ولا حلقات الصوفيـة قادرة كل منها منفردة ان توجد العالم الربانى المعاصر ، ان العالم الذى يعتبر وارثا كاملا لرسول الله ﷺ والذى يجتمع له علم وعمل وحال والذى يستطيع ان يقوم بواجب التعامل الحق مع المسلمين حنانا ونصحا وزيارة وعيادة وصلاة جنازة ومشاركة فى الأفراح والأتراح وقياما بالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وواجب الدعوة والتعليم والذى يستوعب عصره ويعرف ان يتحرك على ضوئه والذى يستوعب الثقافة المعاصرة والثقافة المتوارثة والذى نظهر فيه أخلاقية حزب الله وروحانيته على أرقى ما يكون مثل هـذا العالم لا تخرجه على الكمال والتمام جهة بعينها والمحظوظ من اتيح له ان ياخذ الكمال انى وجده ، وهذه القضية اخذت منى كل ماخذ ، وكانت عاملا من العوامل التى جعلتنى بعد سنين طويلة اتمنى ان اكرس حياتى من اجلها .

ثانيا : لقد اقام عبد الناصر زمن الوحدة حزبا وحيدا فى سورية هو الاتحاد القومى وحاول عبره ان يوجد ممثلون للشعب السورى ، فاقـام انتخابات حرة كان من آثارها نجاح الاسلاميين فى سورية كافة ولما كانـت النتيجة كذلك فقد اعطى لنفسه حق الاختيار من بين الناجحين فكانت المحصلة على غير ما اراده الشعب السورى .

لكن النتيجة الأولى تبين بوضوح انه حينما كانت حرية انتخابيـة فى البلاد الاسلامية فالنتيجة للاسلاميين وهذا جعلنى دائما اتطلع الى الحرية الانتخابيه على الأرض الاسلامية .

كما ان تجربة الدعوة الى الله زمن الوحدة بالقدر المتاح جعلتنى مقتنعا ان على المسلمين فى كل مكان ان يستفيدوا من المتاح قانونا لنشر الدعوة مهما كان هذا المتاح قليلا فانه شيء لا بد منه ، وهكذا كنت انظر الى الحركات الدعوية البحتة او الصوفية او العلمية والفقهية نظـرة احترام لأنها تحقق هذا المعنى فيبقى الاسلام حيا اذا ادلهمت الأحداث .

ثالثا : ان الحركات السياسية والعمل السياسى باطلاق اذا لم تتوافـر له شروط فانه معرض للسقوط :

(أ) رؤية واضحة واستشراف كامل على ساحة العمل السياسى داخليا وخارجيا تنظيميا واداريا .

(ب) معرفة بنفسية الناس فلقد كان من عوامل سقوط الوحـدة انها لم تراع نفسية الشعب السورى .

(جـ) قوة مبادرة تسبق المشكلة قبل وقوعها فاذا وقعت سورع الى حلهـا .

(د) تقييم صحيح للموقف فى كل لحظة وقرار حكيم على ضوء ذلك .

(هـ) تلاحم بين العاملين وتفاهم كاملان فلقد كان للخلاف بين عبد الحكيم عامر وعبد الحميد السراج دور كبير فى سقوط الوحدة .

ولقد حكمتنى هذه المعانى وسجلتها فى بعض كتبى ، ولقد جعلتنى هذه المعانى ابتعد عن المشاركة فى عمل سياسى لا تتوافر فيه هذه المعانى الا مضطرا ولكن حالة الاضطرار كانت تجبرنى يوما فيوما على التساهل فى هذه القناعات .

رابعا : كان من محصلات التجربة لهذه المرحلة أن المسلمين عندهم استعداد هائل لاستجابة الدعوة اذا انطلق فى هذه الدعوة ناس برآء واحس الناس انه ليست لهم اغراض وليست عليهم مآخذ ولكن هل بالامكان ان يوجد مثل هذا وان يستمر ؟ انه اذا ما وجدت حوانيت للخير ودعاة لذلك واشرف على هذا وهذا من هم مظنة الاخلاص والثقة فان العامة والخاصة يمكن ان تنصهر فى بوتقة واحدة .

***

من ذكرياتى فى الحياة الجامعية انها كانت تمر على ازمات مالية احاول معها العمل فلا يتيسر لى واخيرا اخذت بعض ساعات التدريس فى مدرسة خاصة فساعدنى ذلك على الانفاق على نفسى مع ما كان الوالد يرسله ، الا اننى ما كنت امسك ما يدخل جيبى مما جعل بعض اخوان الطريق يحجرون على فى أجواء المحبة والموافقة والمودة .

ومن الذكريات التى يرويها بعض الاخوة انه كلفنى اراقب له طبخة وضعها على النار وخرج ، وكنت اقرا فى كتاب فى الغرفة نفسها فلما رجع وجد الدخان يخرج من الغرفة فاسرع راكضا واذا به يجدنى مستغرقا فى القراءة والطعام يحترق ووابور الغاز قد مال على احد جانبيه .

ومن الذكريات اننى لم اكن املك الكثير من الكتب الجامعية فكنت استعير واقرا وكان هذا العامل مع عوامل اخرى مثل مطالعاتى الخاصة واستغراقى فى التصوف او فى اعمال اخرى عاملا فى اننى لم اكن متفوقا فى دراستى .

ومن الذكريات اننى دخلت مرة على الدكتور السباعى فتأمل مظهرى ثم قال : ان هذا المظهر غير منسجم يا شيخ سعيد ، وكان ذلك فعلا ، وقد اجتمع على هذا المظهر غير المنسجم الفقر والاستهانة .

* * *

(فصل) فى الاخوان المسلمون والعهود التى مرت على سورية بعد الاستقلال

مرت على سورية عهود فيما بعد الاستقلال حتى الوحدة نجملها فيما يلى :

عهد الديمقراطية الاولى ، عهد حسنى الزعيم ، عهد اديب الشيشكلى ، عهد الديمقراطية الثانية ، عهد الوحدة .

وصل عدد الاخوان المسلمين فى الديمقراطية الأولى فى دمشق وحدها حوالى خمسة وسبعين الفا ، وكانوا اذا نزلوا باستعراض ينزل من جوالتهم حوالى الفى كشاف .

جاء عهد حسنى الزعيم فالغى الأحزاب ثم إستمر ذلك فى عهد اديب الشيشكلى ، وكان الاخوان يعملون سرا فى عهد اديب الشيشكلى ،

ولم يطل عهد حسنى الزعيم ، فلما جاءت الديمقراطية الثانية أخذ الاخوان المسلمون قرارا عجيبا هو أن يعكفوا على التربية وألا يدخلوا الانتخابات ، فخالفهم فى ذلك الأستاذ محمد المبارك واستقال من الاخوان ورشح نفسه ، فسقط فى الاقتراع الأول ، ونجح فى الاقتراع الثانى بعد أن عمل له الاخوان المسلمون وكنت فيمن سافر الى دمشق للعمل من أجل الانتخابات ، كانت سورية تمور مورا فى التحركات السياسية ، وكان واضحا أنها تسير نحو هاوية خطيرة ، وكان على الاخوان المسلمين أن يكونوا أكثر الناس حيوية سياسية فى ذلك العهد ، وكان المفروض أن يتعقل الحزبان اللذان حصلا الاستقلال : الحزب الوطنى وحزب الشعب ، وكان تحالف بين حزب الشعب والحزب الوطنى والاخوان المسلمين وشخصيات وكتل مبعثرة ، وتجميع لقوى هؤلاء فى الجيش يمكن أن ينقذ سورية وأن يبقيها فى المسار الديمقراطى ولكن الاخوان غلبت عليهم عقلية التميز والأنفة من التحالفات ، والحزب الوطنى تحالف مع اليسار ، فوجد ما يسمى بالتجمع القومى ، وحزب الشعب حاول على مستوى البرلمان أن يكتل ،ولكن لا قاعدة طلابية ، ولا قاعدة شعبية ، ولا المخابرات ولا الجيش كانوا بجانبه ، وكانت الأحزاب ذات الفكر الجديد تتمثل بالحزب الشيوعى الذى أصبح قوةعسكرية وانتخابية ، وبالحزب القومى والاجتماعى الذى صفى بعد تورطه فى قتل عدنان المالكى ، وبحزب البعث وبحزب العربى الاشتراكى ، وكان هناك حزب سطع فى مرحلة سابقة ثم خبا هو الحزب التعاونى الاشتراكى .

تجمع اليسار كله : حزب البعث العربى الاشتراكى والشيوعى مع الحزب الوطنى بقيادة صبرى العسلى ، وكان وراءه المخابرات وقوى كبيرة فى الجيش ، وفى هذا المناخ نزل الدكتور السباعى فى انتخابات فرعية فسقط أمام رياض المالكى ، فانتصر اليسار على الاسلاميين وعلى اليمين بآن واحد . كانت غلطة كبرى للحزب الوطنى ، وكانت السنين خداعة ، عصفت بالعقول ، وكان اليسار يشتغل بذكاء ، فقد سيطر على مراكز القوة كلها فى الجيش وفى المخابرات وأجهزة الأمن والوزارات والحركة الثقافية ، وأوجدوا مقاومة شعبية مسلحة من أنصارهم فوقعت سورية وهى فى ظل الديمقراطية فى قبضتهم ، وههنا طرح بعض الضباط شعار الوحدة مع مصر ، وكان وقتها شعار لا يقاوم ، فتجاوب معه الجميع وبديمقراطية كاملة .

وقعت سورية ميثاق الوحدة فجاء عهد جديد وكان من شروط الوحدة ان تحل الأحزاب نفسها ، فكان ذلك ، وحل الاخوان المسلمون انفسهم وانفرد الحزب الشيوعى فلم يعلن حل نفسه ، وهكذا وجد عهد جديد فى سورية .

كان الاخوان المسلمون قد خرجوا من عهد أديب الشيشكلى منقسمين على انفسهم ، فاستقبلوا عهد الديمقراطية الثانية ، وهم ضعفاء . وقد اصيب الدكتور السباعى بجسده بعد الانتخابات ، فزاد ذلك من قلة الفاعلية .

وسورية تمور كالبركان ، ونحب ههنا ان نسجل مرة ثانية لأسرة فارس الخورى مع انها اسرة نصرانية تلاحمها مع الاخوان المسلمين ، وان فارس الخورى كان يرى أن المنقذ لسورية هو أن يستلم الاخوان المسلمون سورية ، كما سجل ذلك فى مذكراته .

* * *

(فصل) فى الوحدة

كانت الوحدة انقاذا لسورية من السقوط بيد الشيوعيين وبيد الأقليات ، والحقيقة أن الوحدة هى التى ابقت للسنيين وللفلسطينيين كيانهم فى لبنان وفى سورية ، لذلك كان الحس الاسلامى العفوى فى سورية وفى لبنان مع الوحدة عامة ومع عبد الناصر خاصة .

والحقيقة ان الوحدة الحكيمة يمكن أن تكون حلا لمشكلات العالمين العربى والاسلامى ، ونحن لا نشترط صيغة معينة للوحدة او الاتحاد ، لكن لا شك بانه كلما زاد التلاحم بين اوطان العالمين العربى والاسلامى كان مآل ذلك خدمة الاسلام .

كانت تصرفات عبد الناصر فى سورية على نوعين : فمن الناحية الشكلية كان يراعى اليسار والقوى المؤثرة المعادية للاسلام حتى ان الدستور السورى المؤقت الذى اصدره كان علمانيا بحتا ، اما من الناحية العملية فقد اتاح للمتدينين فرصا كثيرة للعمل الاسلامى حتى ان كثيرا من شباب الاخوان المسلمين بداوا يعملون سرا .

وقد استفدنا نحن من مناخ الوحدة كثيرا ، فعملنا تحت ظل التصوف عملا اسلاميا كبيرا .

ولما دخلت الوحدة بين سورية ومصر فى دائرة التآمر المحلى والعالمى ، وقفت ضدها احزاب اليسار .

وكان على الاسلاميين ان يكونوا ابعد نظرا فيكونوا حماة للوحدة ، ولكن عقدة الكراهية لعبد الناصر حكمتهم ففرطوا ، وان ما تعانيه سورية اليوم هو اثر التفريط بعهد الوحدة فالوحـدة مع مصر كانت ستبقى الأقليات ضمن حجم لا يستطيعون تعديه ولا يظلمون فيه .

وكل المآسى التى مرت على لبنان والفلسطينيين كانت ستخف على الأقل لو بقيت الوحدة ، والتدين المصرى الفطرى كان سيؤثر تاثيرا كبيرا ، لقد مات عبد الناصر عن دستور مصرى ينص على ان دين الدولة الاسلام ونحن فى سورية لم نستطع ان نحصل هذه المـادة حتى الآن .

* * *

(فصل) فى الخطوة التجديدية الكبرى للشيخ عبد الكريم الرفاعى (مدرسة فى كل مسجد)

عندما انتقلت الى دمشق من اجل الدراسة الجامعية ، وقع فى يدى لأول مرة ورقة فيها دعوة عامة لاحتفال دينى يقيمه طلاب جامع زيد ابن ثابت فى بستان الحجر فى دمشق ومنذ تلك اللحظة بدأت أتتبع اخبار ذلك الجامع ، فعرفت ان شيخه هو الشيخ عبد الكريم الرفاعى ، فتعرفت على الشيخ وعلى بعض نشاطاته ، وكلما ازددت معرفة ازددت يقينا انى امام حركة تجديدية للاسلام تحتاج الى تعميم .

لقد الفنا فى مسجد السلطان فى حماه وهو مسجد شيخنا محمد الحامد رحمه الله ، ان يكون المسجد مدرسة ، ولكنها مدرسة ذات صف واحد وحلقة واحدة وشيخ واحد وعلوم شرعية محددة ، لكنا وجدنـا ان كل مسجد وصلت اليه حركة الشيخ عبد الكريم الرفاعى اصبح مدرسـة ذات حلقات وذات تخصصات وهو كما يعطى العلوم الشرعية فانه يعطى العلوم الكونية الصعبة التى تصعب على الطلاب عادة ، وهناك درس عام لجميع الحلقات ، ومجلس ذكر موحد للجميع ، لكن المسجد يرتبط بـه اصناف من الناس باصناف من الحلقات مراعى فى كل حلقة مستوى افرادها واوقاتهم .

وكان الشيخ لا يدخل بعض الدراسات الى المسجد بل يأمر اخوانـه بدراستها فى البيوت .

وكان للشيخ عبد الكريم مستشاروه لشئون حركته الثقافية التربوية ، وكانوا يلحظون جميعا ان لا يتصرفوا تصرفا يعكر عليهم شئون دعوتهم ، واصبحت مساجد الشيخ تخرج حفاظ القرآن ومختصين بالعلوم الشرعية ، وكان الشيخ نفسه على غاية من الحكمة والوعى والحلم والتقوى وكان يقدم الحب لجميع المسلمين ، وكانت مواقفه اسلامية صافية ، لا يترك لاعداء الاسلام فرصة أن يكيدوا له ولاخوانه ، وكان فى الوقت نفسه لا يقصر عن واجب اسلامى ، ولم يكن يعادى احدا من المسلمين افرادا هم او جماعات او جمعيات ، فكان الجميع يحترمونه وكان يحترم الجميع ٠

وقد استطاع ان يوجد مناخا علميا تربويا ومحبة اخوية وعلاقات تقوم على التقوى ، واستطاع ان يعبىء طاقات كثيرة لخدمة الاسـلام ، وحيثما حل اخوانه أوجدوا مدرسة دعوية ثقافية تربوية عبر المسجد ، ولقد استطاعوا أن يقضوا على مفاسد كثيرة حيثما حلوا ، واننى متأكد لو أن حكماء المسلمين استطاعوا ان يوجدوا فى كل مسجد مدرسة لها طلابها ، والقائمون عليها ، والبرامج المناسبة ، وعم ذلك كل مسجد لجدد الاسلام فى العالم ، ولعل حلقة شيخنا الحامد وعمله وعمل الشيخ عبد الكريم الرفاعى هما اللذان أوحيا لى بفكرة مدارس طلاب الربانية ، وبفكرة حركة احياء الربانية التى سجلتها فى رسالة من رسائلى ٠

***

(فصل) فى دار الفقـراء

ان حل الاخوان المسلمين أنفسهم بسبب الوحدة بين سورية ومصر جعلنا نستغرق فى الحياة الصوفية ، فعشنا فى هذه الحياة القائمة على الاوراد والأذكار فترة من الزمن ٠

ولكنا مع اخوان الطريق فى حماه احيينا فكرة التعليم والدعـوة فى التصوف ، فاصبح جونا جوا علميا تربويا روحيا دعويا ، وكان لنـا فى الابتداء اكثر من غرفة فى مسجد نأوى اليها ، ثم استأجرنا دارا اسميناها دار الفقراء ، كانت مركزا لنشاطاتنا ، وقد كانت هذه الدار نموذجا للمركز الاسلامى الذى يناسب الحال ، ومركز اشعاع روحى وفكرى وعلمى ودعوى ، كان كل من ياتى الى الدار يقيم اوراده الشخصية بين المغـرب والعشاء ، ثم بعد ذلك تقام حلقة ذكر وانشاد ، وكان لأهل الدار حلقـة ذكر اسبوعية فى مسجد من المساجد ، وكانوا يشاركون فى كل حلقة ذكر ،

وكان فى حماه مجلس اسبوعى للصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانوا هم عماده ، وكان للقائمين على الدار دروس منتظمة فى بعض المساجد ، وكان كل من يرتبط بالدار يرتبط بحلقة علمية ، وكان للقائمين على الدار جلسة أسبوعية متنقلة يجتمع فيها الانشاد والارشاد ، وكان ادب الداخلين الى الدار اما ان يكون فى ذكر أو مذاكرة ، فتجد فى كل حين اناسا عاكفين على الذكر بيدهم مسابحهم ، يقيمون أورادهم ، أو تجد انسانا يسأل وآخر يجيب ، وحلقة تتعلم .

كان القائون على الدار على وعى وعلى حكمة يظهران فى كل شىء ، فلم تكن تفوتهم حركة مريبة ، ولم يكونوا يعجزون عن التصرف بحكمة فى اقامة واجباتهم العامة ، وكانوا فى الوقت نفسه حريصين على الا يتصرفوا تصرفا يخل بالقانون او بالنظام ، بل كانوا حريصين على الا يكونوا محل ريبة أو شك أمام أحد ، فاستطاعوا ان يشعروا كل انسان انهم ليس لهم هدف دنيوى ، فتاب على ايديهم خلق كثير ، وانصهر فيهم أصناف من الناس ، وعاد الى الاسلام كثير من أصحاب الاتجاهات المنحرفة فكريا أو سلوكيا .

وقد دامت دار الفقراء فترة طويلة من الزمن استغرقت قسما من حياتنا الجامعية وبعد الحياة الجامعية عندما نكون فى حماه .

* * *

الباب الخامس

من السادسة والعشرين الى التاسعة والعشرين
(١٩٦١ ـ ١٩٦٤ م)
التدريس والخـدمة العسـكرية

كان بين تخرجى من الجامعة وثورة حماة عام ١٩٦٤ ثلاث سنين تقريبا قضيتها فى التدريس وفى الخدمة العسكرية الالزامية وكانت هذه المرحلة ثرة بعطائها وتجربتها وما جرى فيها .

فقد شهدت هذه المرحلة عهد الانفصال كما شهدت انقلاب٨آذار(مارس) ومحاولة الاطاحة بالبعثيين فى تحرك ١٨تموز(يوليو) ،وشهدت الانتخابات البرلمانية زمن الانفصال وعودة الحياة الديمقراطية الى سورية ، وشهدت عودة الاخوان المسلمين بشكل غير مرخص لممارسة شىء من نشاطاتهم ، ولعل من اهم جوانب الحياة اثارة فى سورية الحياة الطلابية والحيـاة العسكرية ، وقد مارست التدريس فى هذه المرحلة ودخلت الجيش ولعلهمن المناسب ان نقف عند هذه الأمور لنأخذ بعض عبرها :

(١)

فى السنة اللاحقة لتخرجى من الجامعة اعلن عن مسابقة لانتقاء مدرسى تربية اسلامية فتقدمت لذلك مع عدم حرصى على الوظيفة ولكنى فعلت مراعاة للوالد ، كان يستوى فى اعماق نفسى النجاح فيها وعدمه ، وعندما أعلنتالنتيجة ظهر اسمى مع الناجحين وكانت هناك اجراءات لا بد منها ، منها مقابلة المخابرات فى دمشق ، وقد دعوت الله عز وجل الا يتم ذلك لكراهتى لأمثال هذه المقابلات وفعلا قد حدث ما تمنيت .

كان ذلك قبيل بدء الانفصال بقليل ، عندما حدث نزاع بين عبد الحميد السراج وعبد الحكيم عامر ، اعتزل على اثرها السراج فاضطربت اجهـزة المخابرات فتأجلت مقابلتى ثم الغيت ، وكان تعيينى فى محافظة الحسـكة فالتحقت بها . وفى طريقى الى الحسكة مررت بحلب فوجدت فيها شابا من رأس العين من تلاميذ الشيخ عبد القادر عيسى جاء الى حلب طلبا للعلم فلما علم أننى متوجه الى الحسكة قرر الرجوع معى ليأخذ العلم منى وكان ذلك .

ذهبنا الى الحسكة ونزلنا عند الأخ (م) .

ثم سافرنا الى راس العين ريثما يبدأ التدريس ، واعلن الانفصـال ونحن فى راس العين ثم التحقنا بالتدريس وكان عاما دراسيا صعبا . وكان مجمل أعمالى فيه : التدريس المدرسى ، وخطب الجمعة ، والتدريس المسـجدى .

درست فى دار المعلمين وفى ثانوية الحسكة ثم نقلت الى القامشلى على اثر بعض الخطب فى المسجد الجامع .

فقد القيت خطبة تحدثت بها عما بشرت به التوراة والانجيل برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الصوت مسموعا لأهل الحسكة وقسم كبير منهم من النصارى مما جعل بعض رجال الدين النصارى يطالبون بنقلى من الحسكة .

وفى الأيام نفسها ارادت ثانوية الحسكة ان تقيم ليلة سمر ذات فقرات منكرة وصاروا يبيعون تذاكرها للناس فالقيت خطبة جمعة حذرت الناس فيها بشكل خفيف من مثل هذا ، لكن احد رواد المسجد حرض الناس على التظاهر احتجاجا بعد الصلاة فخرجت مظاهرة ، المهم اننى نقلت بعد ذلك الى القامشلى لأدرس فى مدرسة خاصة لآل الخزنوى فكنت اذهب يوميا الى القامشلى واعود الى الحسكة .

وجدت فقراء المسلمين ولا احد يقوم بشانهم فحرضت على انشاء جمعية للنهضة الاسلامية على غرار امثالها فى حماه وحلب ودمشق .

كانت علاقاتى طيبة باكثر من جهة : بعض رؤساء العشائر ، بعض شيوخ الدين ، وكنت وقتذاك لم ازل مستغرقا بالحياة الصوفية .

وفى جو الغربة وجدت مجموعة من المتحابين فى الله ليس لهم هم الا الدعوة الى الله ، وكان مركز تجمع هؤلاء دار الحاج عبد الكريم الشامى رحمه الله وكان المحرك لهؤلاء احد تلاميذ الشيخ ابى الخير الميدانى رحمه الله وهو دمشقى لم اجد مثل صفائه ووده الا قليلا .

كنت اتردد على راس العين بلدة تلميذنا وهى فيما يبدو لى بلدة تصلح لحمل المبادىء .

درست الأخ المذكور فقها وتوحيدا وشيئا من اللغة العربية .

وحدثت خلال هذه السنة انتخابات ، وقد طلب منى الاخـوان المسلمون فى حماة العمل لدعم قائمتهم وجئت الى حماة ، وكان ان القيت خطبة شديدة تناولت فيها من يعطون اصواتهم لمن لا يؤمن بدين الدولـة الاسلام وكان لذلك اثره ، واستطعنا عبر اخواننا ومن نثق به أن نعمـق التأييد لمرشحى الاخوان .

وفى العطلة الصيفية تابعت مع اخوان الطريق الدعوة الى الله واقامة الحلقات العلمية وعملت على أن تنتقل وظيفتى الى حماة وكان ذلك .

وبعد ان نقلت الى محافظة حماة عينت فى السلمية مدرسا للتربيـة الاسلاميـة ، وتدريس التربيـة الاسلامية فى مدارس السـلمية لـه وضـع خاص ، فالسلمية هى عاصمة الطائفة الاسماعيلية تاريخيا ثم ان فى منطقة السلمية قرى نصيرية ، والاسماعيليون نوعان فمنهم من يؤمن باغا خان وأسرته ومنهم من ليس كذلك ، فالأولون يعطلون العبادات الاسلامية ويمارسون شعائر خاصة بهم أما الآخرون فيقيمون الشعائر الاسلامية .

والأقليات المذهبية والدينية فى سورية كانت تتطلع دائما الى نظـام علمانى ، والأحزاب العلمانية كحزب البعث والحزب القومى الســورى الاجتماعى والحزب الشيوعى كانت تركز على هذه الأقليات . لذلك كان التدريس الدينى فى السلمية يعنى مواجهة فكر مذهبى وفكر سياسى يقـوم على رفض فكرة التدين .

ومع هذا فقد كان لمخاطبة العقل ولقوة الحجة ولرقة الحاشية آثارها فى تخفيف حدة المواجهة بل لكسب كثيرين لصالح التدين .

* * *

(٢)

التحقت بالخدمة الاجبارية فى ٥كانون ثانى(يناير)١٩٦٣ وبقيت فيها حوالى سنة واربعة اشهر ثم دفعت بدلا وكانت المدة المتبقية ثمانية اشـهر تتمة السنتين .

قضيت حوالى ستة شهور فى كلية ضباط الاحتياط فى حلب ثم فرزت الى فرع السجلات العسكرية فى مبنى الأركان القديمة فى دمشق .

ومن ذكرياتى فى كلية ضباط الاحتياط :

اننى اصطدمت مع المتقدمين اكثر من مرة واصطدمت مع بعض الناس فقد وجدتنى فى مجتمع ذئاب فتحركت عندى عاطفة التحدى .

يوجد فى انظمة الكليات العسكرية نظام المتقدمين ، وهو نظام يعطى لابناء الدورة الاقدم سلطانا على الجهة الاحدث لصالح فرض النظام وتعميقه وتعويد الجدد الانظمة المرعية فى هذه الكليات ويعطونهم حق العقوبات المتعارف عليها عسكريا من عقوبة الزحف والجرى وامثال ذلك ·

رايت المتقدمين يصطدمون مع اخينا الشيخ مصطفى الاعسر رحمه الله اثناء الخروج من المطعم وهم مجتمعون عليه فركضت لاحجز بينهم فحاول مسئول المتقدمين منعى من ذلك فرفعت صوتى عليه وعلى المتقدمين فاحتشد الناس وكان المتدينون كثيرا فانسحب المتقدمون ثم جاء مسئول المتقدمين ومعه نفر منهم الى مهجعنا واخذ يتفقد طلاب الضباط حتى وصل الى فاصطدمت معه فتدخل احد المتقدمين الحمويين وسحبه من المهجع فشكانى المسئول الى الضابط المناوب فاستدعانى وكان درزيا فهونت ما حدث وقلت له : ما جرى بيننا وبين فلان كان بداية مودة وما ذلك الا من نوع :

واول ما قاد المودة بيننا بوادى بغيض يابثين حجار

وانصرفنا نحن الاثنين ومر الامر دون مضاعفات ، واصطدمت مرة اخرى بالمتقدمين حين فرضوا عقوبة جماعية على مهجعنا فشاركت فيها ، حتى اذا تجاوزوا الحدود تمردت وانتهت العقوبة ولم تحدث مضاعفات ·

وكان احد مدربينا مدرسا جامعيا وهو ضابط احتياطى نصرانى ، وكانت سريتنا غير مسلحة واكثرها ممن تقدم فى السن نسبيا ولذلك لم نكن نهتم كثيرا بالنظام المنضم ولا نوجه له كل همنا ، وفى ساعة تدريب ونتيجة لبعض التساهلات والمداعبات ، وجه لى الضابط كلمة قاسية فقفزت بلا وعى وهددته فانسحب ، ولحساسية الامر لكونه بين شيخ مسلم وضابط نصرانى فقد اكتفى بالاعتذار وقد اعتذرت ·

مررت مرة على اثنين يختصمان احدهما شيخ حمصى · وقد سفه الثانى عليه فسبه وسب المشايخ معه ، فجئت اليه وقلت له : انا من المشايخ : فقال انا لا اقصدك ، فدفعته فالقيته ارضا ثم مضيت وكانى لم افعل شيئا ولم يكن للموضوع مضاعفات ·

وفى كلية ضباط الاحتياط قررنا ان نقيم صلاة الجمعة فاقمناها اكثر من مرة ، وتضايق من ذلك بعض ضباط الكلية فحاولوا منعنا فلم يفلحوا فاعطونا اذنا للصلاة فى الخارج ، فزاد عدد الراغبين فى الصلاة للرغبة بالخروج الى البلد واستمرت صلاة الجمعة · لقد كانت كلية ضباط الاحتياط

فرصة تعرفنا بها على عدد كبير من الناس وكانت فرصة للدعوة وان انس فلا انسى كثرة الصائمين فى رمضان مما يدل على اصالة شعبنا وقربه من الاسلام لو وجد قادة ودعاة وحرية ٠

حدث انقلاب الثامن من آذار (مارس) ونحن فى الكلية واعتقل بعض الضباط ، وتمت مباحثات الوحدة بعد ذلك فى القاهرة واعلن عن ميثاق الوحدة الثلاثية بين سورية والعراق ومصر وكانت فرصة كبيرة هتف فيها المتدينون بهتافات الفرح فلقد كان التقدير العام أن الوحدة لصالح الاسلام ٠

وخزيت جهات كثيرة بسبب ذلك وشعر الوحدويون وكلهم سنيون ان النفس الحقيقى للمتدينين نفس وحدوى فكان ذلك عاملا من عوامل تعاطفهم معنا ٠

وخلال وجودى فى كلية ضباط الاحتياط تيقنت انه لا بد من المشاركة فى العمل الاسلامى العام وان الطريق اليه هو الاستغراق فى العمل مع الاخوان المسلمين ٠

واخيرا فرزت الى السجلات العسكرية فاصبحت فى دمشق ، وكان وقتى مقسما بين السجلات والعمل مع طلاب الجامعة الحمويين وفى هذه المرحلة تقدمت الى الاخوان المسلمين بوجهة نظرى حول النظرية الثقافية والتربوية التى يجب أن يقوم عليها صرح البناء العلمى والروحى للاخوان ، وقد رفع ذلك باسم مركز حماة ، ولقيت النظرية قبولا واجماعا وكلفت أن اضعها موضع التنفيذ وكان من آثار ذلك أكثر ما كتبته فيما بعد ، عكفت على الكتابة وعلى توجيه الاخوة الحمويين ولقد تنامى عدد الطلاب الحمويين فى جامعة دمشق ، وجدت بينهم روح جديدة ٠

وما عدا العمل مع طلبة حماة فى الجامعة والكتابة فقد كانت حياتى عادية ، كان عصام العطار يحاول اعادة بناء الجماعة وكان يخطب خطبا نارية فى مسجد دمشق ، وكان البعثيون متمكنين وكانوا يهزأون من مثل هذه الخطب وكان هذا عاملا من عوامل تحركنا فى حماة فيما بعد ٠

بعد سنة وأربعة اشهر من الخدمة الاجبارية خرج قانون يبيح لطلاب الضباط غير المسلحين من دورتنا ان يدفعوا بدلا فدفعت وسرحت واستقبلت حياتى المدنية بخطبة فى مسجد جامعة دمشق ، تحدثت بها عن الآفاق الرحيبة التى ينطوى عليها تطبيق الاسلام ، ودعوت الى وحدة العمل الاسلامى ، واثناء خدمتى فى السجلات العسكرية قامت محاولة ١٨ تموز (يوليو) الفاشلة واعتقل على اثرها بعض العاملين معنا فى السجلات ٠

وحدث ان آل الى امر رئاسة القسم الذى اعمل فيه وكان العمل متراكما ، فاحصيت انتاج الفرد يوميا ثم حسبت البطاقات المتراكمة ، وقدرت العدد اللازم والأيام اللازمة لازالة التراكم وحدثت بذلك الضابط المسئول عن السجلات العسكرية وطلبت ان يتسلم غيرى الادارة فكان ذلك كله وانهينا التراكمات .

كان فى القسم شيخ صالح من دوما وكان عمله خطاطا وكان حلو الحديث فكها ، وكان فيما بين افراد القسم حسن علاقة ومودة ، وكان رئيس القسم دمشقيا من الميدان وكانت زوجته حموية وكان يعتز بهذا الزواج وكان جونا اقرب ما يكون الى الأسرة الواحدة لذلك لم نكن نحس بالزمن .

كان المسئول عن السجلات العسكرية العقيد كمال الدين مقصوصة وهو دمشقى من الميدان وكان متدينا رقيق الحاشية وكان يعتبر من اكفا العسكريين الاداريين فى سورية ، ولقد تغيبت مرة عن الدوام دون اجازة بسبب بعض اللقاءات الاخوانية فاستدعانى وعاتبنى برفق ولم يتخذ اى اجراء ولقد آل اليه بعد ذلك امر التجنيد فى سورية عام ١٩٦٧ وقد اغتيل ايامها ، كما شاع وقتذاك وادعى انه انتحر ولم يكن الرجل لينتحر وهو متدين ولكن هكذا زعموا وقيل : ان السبب فى قتله أنه رفض امرا غير معقول فقد كلف ان يستدعى من المجندين المسرحين ابناء المدن فقط فاعتذر بان هذا مستحيل فعوقب بالقتل وادعوا انه انتحر وخرجوا بجنازته .

لقد كان الاغتيال السياسى والقرارات الحاقدة جزاين رئيسيين من السياسات التى حكمت سورية منذ تلك المرحلة .

خطبت فتاة دمشقية بواسطة اخينا ولم اتابع الامر بسبب سفر الأخ والتحاقه بعمله المدرسى .

واخيرا خطبت أم محمد بواسطة الشيخ مصطفى الأعسر رحمه الله وتمت الموافقة ثم جاءت أحداث حماة العاصفة ولم يتم الزواج الا بعد أن عدت الى سورية وعادت الأمور طبيعية .

واننى احب ههنا ان اسجل بعض ملاحظاتى حول تجربتى ومشاهداتى فى هذه المرحلة :

الملاحظة الأولى :

ان النجاح الحق فى التدريس يقتضى عددا من الأمور :

اولا : ان يحضر المدرس درسه تحضيرا جيدا والا يعتمد على محفوظاته فقط بل لا بد من التحضير الجيد ورسم مخطط لكل درس .

ثانيا : يجب ان يشعر الطالب ان عين المدرس لا تغيب عنه فمتى غابت عين المدرس عن طالب فان ذلك قد يحدث خللا .

ثالثا : ان العلاقة الأبوية الحانية والايناس المستمر للطلاب وشعور كل طالب بالحب والحنان وكل ذلك مع الحزم والعدل عوامل لا بد منها لنجاح المدرس الداعية .

رابعا : ان العلاقة الطيبة مع آباء الطلاب واهليهم عامل مساعد فى نجاح الطالب وفى تحسين سلوكه .

الملاحظة الثانية :

ان الحياة الانتخابية فى العالم الثالث لاقيمة لها اذا لم تكن مدعومة بالجيش والشعب بآن واحد ، وان سورية تحتاج الى حياة نيابية يحميها الجيش والشعب وهذا لن يتم لسورية الا اذا وجد دستور وميثاق وقانون انتخابى ذا مواصفات وشروط اذا ما اردنا ان تشكل سورية المستقبل انموذجا رفيعا مستقرا .

الملاحظة الثالثة :

أول ظاهرة تلفت نظر المعايش للجيش العربى السورى كثرة السباب والشتائم لله والأديان حتى لتكاد هذه أن تكون وسيلة السيطرة للأعلى على الأدنى ، ووسيلة المؤانسة بين المتماثلين ، ولقد أعتاد على ذلك الجميع ، وكأن التدين فى الجيش ظاهرة فردية ومحدودة ، حتى انه اصبح من المعتاد اذا دخل المتدين الجيش أن يترك دينه الا من رحم ربى .

وكان من المستغرب فى طبقات الضباط ان يذكر الانسان الله باحترام واجلال ، واذا حدث أن توسعت دائرة المتدينين فى صفوف الضباط فان التسريحات تطالهم بسرعة ، فلا يبقى متدين فى الجيش الا من لا شوكة له ، وقد حدث أن صفى بعض الضباط زميلا لهم لأنه متدين فاردوه قتيلا ، ولهذا الوضع جذور عميقة ، فقد ورثت سورية الجيش الذى كونته فرنسا ليأتمر بأمرها وليكون ولاؤه لها ، وكانت تنتقى لهذا الجيش من صفوف الأقليات أو تتخير العناصر الفاسدة التى فقدت عواطفها الخيرة

وتعاطفها مع الناس وتخالف الناس معها أو من تختارهم لأسباب شتى كأن
كانت أصولهم جواسيس مثلا وقد تدخل بعض العناصر النظيفة ذرا للرماد فى العيون وتجعلهم تحت الرقابة أو السيطرة المباشرة أو فى زوايا ميتة .

وكان بعض هؤلاء يدينون لفرنسا بنوع من الولاء عجيب ، حتى أن بعض هؤلاء التحقوا بالجيش الفرنسى بعد الاستقلال وبقوا فيه ستة أشهر ثم عادوا الى الجيش السورى وهم الذين يسمون بأصحاب البطاقات الحمراء ، ولقد مرت على فى السجلات العسكرية بطاقة واحد من هؤلاء وقد كتب عليها أربعة أسطر بالحبر الأحمر تذكر أن هذا الذى فضل خدمة المستعمر على خدمة بلاده ، ومن العجيب أن هذا الجندى كان قد سرح لكنه استدعى بعد انقلاب الثامن من آذار (مارس) ليخدم فى الكتيبة المكلفة بحماية مبنى الأركان ، وكان ذلك مؤشرا على المستقبل .

كان المفروض أن يحل الجيش السورى بعد الاستقلال وأن يعاد تشكيله من جديد على أسس سليمة ونظرية واضحة المعالم ، وبلغنى أن شكرى القوتلى أول رئيس لسورية بعد الاستقلال قد نصح بذلك لكنه رفض ، ومن ههنا تبدأ مأساة سورية .

فسورية بلد شديد التعقيد من الناحية الدينية والمذهبية والتاريخية والحضارية ولشعبه نفسية خاصة فأكثر أبنائه طموحون للحكم أو للمشاركة فيه والسورى يستشعر أن عنده قدرات ابداعية والتطلعات الى الجديد عميقة والحرص على الجذور ، والتدين كامن فى أعماق النفوس وهو أظهر منه فى أقطار أخرى، ثم ابتليت سورية بالحركة الصهيونية وبالتيارات العالمية وهذا وامثاله كان يقتضى من القائمين على أمر سورية بعد الاستقلال أن يوجدوا الاطار النظرى المناسب لهذه الأوضاع المعقدة ولكن ذلك كله لم يحدث فدخلت سورية مرحلة الانقلابات ودخلت فى اطار الديكتاتوريات: دكتاتوريةالفرد ودكتاتورية الحزب ، وكان الجيش يلعب الدور الأكبر ان لم يكن الوحيد فى كل ما يجرى .

ونتيجة لتدخل الجيش السورى فى السياسة فقد أعطى هذا المبرر للجهات المتعاقبة للتصفيات مما أحدث خللا فى التوازن الطائفى فى الجيش فأوصل الطائفة النصيرية الى الحكم فى المآل .

لقد كان الجيش السورى مرشحا لأن يكون أقوى الجيوش وكان الاقتصاد السورى مؤهلا لأن يكون أقوى اقتصاد ولكن قضى على هذا

كله عدم وجود النظرية السياسية التى يرتاح لها الجميع وعدم وجـــود الاستشراف على أوضاع البلد والمنطقة والعالم وعدم وجودالكفاءة فى الحياة الحزبية وفى الحاكمين هذا مع ما فى الخفـايا من بـلايا كالارتباطات الخارجية والتآمر المحلى والعالمى .

هذه المعانى اوصلتنى الى قناعات :

أن العمل السياسى فى سورية ينبغى أن ينبثـق عن عمل حـزبى مستكمل لشروط العمل السياسى الذى يستوعب وضع سورية الدينى والنفسى والاجتماعي والحضارى والمحلى والعربى والاسلامى والعالمى عبر التزام جميع العاملين بالاسلام دينا للدولة .

وأن يعاد ترتيب الجيش بحيث يكون سندا وشريكا .

وأن توجد نظرية انتخابية يستشعر معها الشعب ان من انتخبهم يعتبرون ممثليه الحقيقيين وهذا يوصلنا الى ملاحظة رابعة ..

الملاحظة الرابعة :

تظهر فى تـاريخ سورية الحديث ظاهرة الانقلاب بعد كل تجربـة برلمانية ويلاحظ أن عامة الشعب السورى تستقبل الانقلاب بابتهاج لأن التجربة الانتخابية لم تجعل الشعب يحس أن النظام الذى وجد عقب الانتخاب نظامه ، وذلك لأن بعض الانتخابات جرى فيها تزوير وبعض الانتخابات كانت تقذف الى المجالس النيابية بغير المتمرسين فى الحـكم وبغير المؤهلين له ، وبعض الانتخابات كانت نتائجها لا تمثل الأجيـال الصاعدة المثقفة ، وبعض الانتخابات لم تكن ترضى الجيش وبعضها لم يكن يرضى المتدينين ، وكان من صورها الواضحة أن تتحكم الأقلية فى الأكثرية فاذا ما اتفقت اقلية دينية ان ترجح جانب مرشح يمثلها فانها كانت تستطيع أن تنجح من لا يمثل الأكثرية وهذا كله جعلنى مقتنعا انه لا بد من قانـون انتخابى جديد لسورية المستقبل .

لقد أعطت حماة فى انتخابات الانفصال للقائمة التى نزل بها الاخوان المسلمون أكثرية الأصوات لكن جاءت نتائج منطقةالريف التى فيها أصوات نصيرية ونصرانية فرجحت قائمة اكرم الحورانى .

وفى حلب كاد ان يسقط الذين اخذوا اكثر من ثمانية عشر الفا من

اصوات المسلمين لصالح الذين اخذوا خمسة آلاف صوت من المسلمين ودعمهم نصارى حلب .

كانت اجود تجربة انتخابية هى التجربة التى تمت فى زمن الوحدة اذ قسمت سورية الى وحدات صغيرة حتى البلد الواحدة قسمت الى وحدات صغيرة فكانت النتيجة ان كانت النتائج متوازنة ولكن اعطاء عبد الناصر لنفسه حق الاختيار من بين الناجحين ـ لأن الانتخاب كان على درجتين ـ اوجد وضعا جديدا .

المهم أن تجربة الحياة النيابية زمن الانفصال جعلت عندى قناعات ثابتة فى ضرورة الحياة النيابية من جهة وفى ضرورة ان يكون ذلك على ضوء نظرية مناسبة فى سورية .

اننى اميل الى فكرة الانتخاب على أساس البرنامج الحزبى وعلى اساس اعطاء الصوت للحزب او على أساس الدائرة الانتخابية الضيقة .

الملاحظة الخامسة :

لقد اصبحت عندى قناعة كاملة انه بلا تربية روحية على ضوء علم صحيح وبيئة نظيفة فان الشخصية الاسلامية لا تنمو نموا سليما وبالتالى فان المجتمع الاسلامى المنشود سيبقى املا ، ولا يصلح آخر هذا الأمر الا بما صلح به اوله ، فقد بدات الدعوة بهذه الأجواء ولا بد من هذه الأجواء لتنطلق انطلاقة صحيحة وكان الامل ان يتبنى الاخوان المسلمين انشاء هذه الأجواء وتلك طبيعة الدعوة على منهاج الأستاذ البنا لكن الأجواء الأخرى كانت تغلب هذه التوجهات ، وكان لذلك اثره فى توجهى نحو انشاء حركة احياء الربانية كمكمل للعمل الاسلامى القائم لا كبديل .

ولنعد الى سرد الأحداث ، فبعد ان سرحت من الحياة العسكرية عدت الى التدريس فى السلمية ولم تمض الا ايام وقامت ثورة حماة سنة ١٩٦٤ .

ومن ذكريات التدريس فى هذه الأيام القلائل ، اننى عينت فى ثانوية السلمية للبنات ،وكان ذلك مقصودا ،وكما ذكرنا فان السلمية عاصمة الطائفة الاسماعيلية والحزبية العلمانية فيها قوية ، ولذلك لم يكونوا رجالا ونساءا يرغبون فى درس الدين ، وقد اعتادت بنات الثانوية ان يستقبلن مدرس التربية الاسلامية بأصوات مرتفعة وضجيج صاخب وقد جرت عادتى

فى التدريس ان البس عمامة وجبة ، وكان جسمى ضخما كما هو معروف وكان بعض اهل السلمية يشبهوننى ببعض الائمة .

المهم اننى كنت اتهيب الدخول الاول الى ثانوية البنات بسبب ما ذكرت ومع ذلك دخلت دون مقدمات فلم أسمع الاصوات المعتادة ثم علمت فيما بعد ان فتاة قد اغمى عليها وشغل البنات بها ، وعلل لذلك انها أغمى عليها عندما رأتنى واعتقد ان الأمر ليس كذلك ولكن الله عز وجل اعان ، وكان تدريسى فى اليوم الاول كافيا بفضل الله لأن يوجد جوا من الهيبة والاحترام، انتهت به تلك العادة السيئة ولكن الأيام لم تطل فقامت أحداث حماة (١٩٦٤) .

***

(٣)

حيثما وجدت حياة انتخابية حرة فى سورية فان الاسلام بخير لأن التدين الأصيل فى سورية يفرض نفسه على المرشحين جميعا والناجحين فى النتيجة اما متدين أو مضطر لمراعاة التدين وتجربة الانتخابات زمن الوحدة كافية كمؤشر ، فاذا ما وجد قانون انتخابى يمثل فئات الشعب تمثيلا صحيحا ووجد شعب وجيش يحمى الحياة النيابية فذلك هو الوضع الأمثل للاسلام وللشعب السورى ، والحماية المطلوبة من الشعب ان يعلن المقاومة السلبية من اضرابات وغيره اذا مست الحياة النيابية واذا لم تنجح هذه الأساليب فعليه أن يعلن الثورة فهذا وحده يردع عن المس فى الحياة النيابية وأما حماية الجيش فبأن تكون عبر حماية الدستور والتدخل اذا مس الدستور بحكم المحكمة الدستورية العليا .

ان الحياة النيابية الحزبية هى التى تنضج البرامج السياسية وهى التى تنضج الوعى السياسى للمواطنين وهى التى تخرج القادة السياسيين الحقيقيين ، وبلد كسورية لا بد أن يراعى فى حياته النيابية أنه بلد مهدد بالحرب وبالتالى لا بد من صيغ أمنية وعملية تحمى قرارات الساسة من الخطأ .

ولقد دخل الاسلاميون فى سورية تجارب انتخابية متعددة تحتاج الى دراسة واستخراج عبر ، كما أن لهم ممارسة نيابية تحتاج الى دراسة واستخلاص نتائج ، لقد دخلوا الانتخابات احيانا ببعض الأسماء مجتمعة ومنفردة دون أن يشكلوا قوائم كاملة ودون تحالفات فاعطوا فرصا لغيرهم ، ودخلوا احيانافى تحالفات وقوائم متفق عليها تضمهم وتضم غيرهم كما حدث فى حماة اذ قامت لجنة تمثل كل القوى المقابلة لأكرم الحورانى ونزل

الاخوان مع غيرهم فى قائمة واحدة ضمت احد النصارى وربحوا الجولة داخل المدينة وخسروها خارج المدينة ، كما شاركوا فى وزارات ، وهذا يثرى التجربة الاسلامية لكن ذلك كله يجب أن يدخل فى دائرة الدراسة والمدارسة للوصول الى وضع امثل للتحرك الاسلامى فى سورية وبالتالى الوصول الى وضع امثل فى سورية تكون الحياة النيابية جزءا منه ويرتاح فيه المواطنون وتكون السياسة السورية الخارجية فيه على منتهى الحكمة وتكون فيه سورية فى غاية القوة ويبقى القرار السورى بيد مينة وحازمة ومستوعبة اوضاع الداخل والخارج ، وتلعب فيه سورية دور المنسق للسياسة العربيـة والاسلامية بانية علاقات حميمة مع كل الحكومات العربية والاسلامية .

***

(٤)

كانت اكثر القوى الفاعلة فى سورية ساخطة على الانفصال : الجيش والطلاب والموظفون والمثقفون وكانت السلطة التى آل اليها امر الحـكم ضعيفة ، وكان من أوائل مظاهر الضعف انها لم تستطع ان تعبىء القـوى المؤمنة بالحياة النيابية فى معسكر واحد ، ولمـا احس الجميع بضعفهـا كثر الراغبون فى انهائها وايجاد وضع بديل ، ولقد حاول بعض المتدينين فى الجيش أن يفعلوا شيئا ففشلوا ، وتلاهم البعثيون والناصريون وبعض الطامحين فقاموا بحركة انقلابية فى ٨ آذار (مارس) ، وكان البعثيون هم الجهة الأقدر على المبادرة والتخطيط فصفوا شركاءهم جميعا وانفردوا بحـكم سورية وكان الرد الأول هو محاولة الناصريين أن يقوموا بانقلاب وكان ذلك فى ١٨ تموز (يوليو) لكن الحركة فشلت فى ساعاتها الأولى وكان لفشلها اسباب كثيرة . منها انهم علقوا كل شىء على احتلال الأركان والاذاعة بدلا من ان يتحركوا على كل صعيد فيستولوا على القطاعات العسكرية حيث امكنهم ذلك فاذا فشلت حملة الاذاعة تحركوا من كل مكان نحو دمشق ، المهم أن الحركة فشلت ، ولقد كانت اقوى رد فعل ضد استلام البعث السلطة وكان التحرك الشعبى الذى يعتبر رد الفعل الثانى هى تحرك حماة (١٩٦٤) .

***

(فصل) فى القوى التى اقامت انقلاب ٨ آذار (مارس) والقوى التى استـثمرته

كان الانفصال صدمة عنيفة لمشاعر كثير من الشعب السورى ، فالروح الوحدوية عميقة فى سورية والتطلعات الوحدوية تصل الى حد المبـادىء ولذلك فان الانفصال مع انه اعاد الديمقراطية الى سورية وافرز الى سـدة

الحكم كفاءات سياسية مشهورة لم يكن قويا لان المثقفين عامة منهم الموظفون وقطاعا كبيرا من الجيش والطلاب وعامة السنيين كانوا يتطلعون الى الوحدة ، وادرك حزب البعث بزعامة ميشيل عفلق هذه الحقيقة ، فتبنى فكرة العودة الى الوحدة ، وكان تركيب حزب البعث طائفيا الى حد كبير ، فاعطى هذا للتطلعات الوحدوية زخما كبيرا ، ووجد اناس طامحون شعروا ان النظام ضعيف فقرروا وراثته ، ومن الثابت ان قوى خارجية كانت مقتنعة بتغيير النظام ، فاجتمع هذا كله فقام انقلاب ٨ آذار (مارس) وبدأت تصفيات فى الجيش وادخال قوى بعثية كثيرة الى الجيش ، وتمكن النصيريون من المرحلة الأولى ان يتحكموا بالجيش الى حد كبير ، وبدات مفاوضات وحدوية ، فى الظاهر مع عبد الناصر ، انبثق عنها ميثاق ١٧نيسان(ابريل) الذى يعلن الوحدة بين مصر وسورية والعراق،ولو ان هذا الميثاق نفذ لتغير تاريخ المنطقة ، ولكن هناك من اراد ان يجعله صورة ، فبدأ الخلاف الشديد بين عبد الناصر والبعثيين وترتب عليه ان حاول الناصريون القيام بانقلاب فى١٨تموز(يوليو)ففشلوا،وصفى الوضع لصالح البعثيين فقط ، وهذا يعنى انه قد صفى الوضع لصالح الأقليات فى سورية ، فالحزب كان يقوم فى الغالب على الأقليات .

وبدأ الصراع الداخلى فى الحزب والحكم فصفيت كل القوى فى النهاية لصالح القوى النصيرية ، وادى هذا فى النهاية الى ان تحكم سورية من قبل الطائفة النصيرية تحت واجهة حزب البعث والجبهة الوطنية ، واستطاعت الطائفة ان توجد تعاقدات وتحالفات واجهزة واستطاعت بذلك كله ان تتمكن من حكم سورية حتى كتابة هذه السطور

والسؤال الكبير الآن هل تفكر الطائفة النصيرية ان تبقى مسيطرة على سورية الى الأبد ، وهذا مستحيل ، او انها تفتش عن حل معقول ، وتعايش معقول بين أبناء الشعب السورى كله ، اننا لا زلنا نأمل ان يحكم التعقل فى المستقبل ابناء الطائفة النصيرية .

* * *

(فصل) فى تطور العمل الاسلامى فى هذه المرحلة

أصبح العمل الاسلامى فى سورية ناميا وبارزا وهو وان لم يشكل أهله تنظيما واحدا، لكن المثقفين منهم كانوا يصلون الى الايمان بفكر حسن البنا ، فاصبح فكر حسن البنا قاسما مشتركا بين المثقفين الاسلاميين لا يكاد يعترض عليه احد . ومن ههنا أصبح التيار الاسلامى يشكل

قوة كبيرة على كل مستوى ، كان المفترض ان يرث الاسلاميون عهد الانفصال ، وكان بامكانهم ذلك لكن الاسلاميين ساروا على سياسة « اوسعتهم سبا واودوا بالابل » ، وغيرهم سار على سياسة « تمسكن حتى تمكن » .

ان ضعف التخطيط وضعف المبادرة كانا مؤثرين فى ان سارت سورية بعيدا عن الاسلام والاسلاميين ففاتت بذلك فرصة من أعظم الفرص .

لو انك تاملت الساحة الاسلامية لوجدت كثرة العاملين فالاخوان المسلمون بتنظيمهم الذى يشمل مدنيين وعسكريين وعمالا وموظفين وطلابا وخريجين وذكورا واناثا ، وحزب التحرير يعمل على ضعف وشغب ، والاتجاه السلفى يعمل بقوة ودأب ، والصوفيون يعملون وهم متغلغلون فى جسد الشعب السورى ، فحيثما توجهت وجدت عملا صوفيا ، وقد يكون يرتبط به عشرات الآلاف من المريدين ، والعلماء الفقهاء يعملون ، وكنموذج على عملهم عمل الشيخ عبد الكريم الرفاعى ، بل انه وجد عمل نسائى عظيم ، وكان ابرزهم فى الساحة السورية عمل الآنسة منيرة القبيسى ، فقد استطاعت ان توصل الاسلام الى الآف من النساء واستطاعت ان تقيم ترتيبا نسائيا هائلا ، ولولا ان الحرية قد هدمت فى سورية لكان لعملها شان عظيم .

ومن المظاهر الواضحة لقوة الاسلام فى سورية انك اصبحت ترى كثرة الاسلاميين فى الجامعات وكثرة المصلين من العسكريين ، ولكن ضعف بنية التنظيم فى الداخل ، وقوة التامر فى الخارج والسنين الخداعة حالت دون ان يرث الاسلاميون عهد الانفصال .

***

(فصل) فى ثورة حماة ١٩٦٤

كان جو حماة ملتهبا عام ١٩٦٤ لاسباب كثيرة اهمها ان كل اهلها كانوا ضد النظام الذى كان قائما . سياسين ومتدينين عامة ومثقفين ، فالناصريون ضربوا فى ١٨ تموز (يوليو) وكان لهم ثار ، اكرم الحورانى وجماعته كانوا مبعدين ومضطهدين ، والمتدينون يعتبرون النظام موغلا فى العلمانية .

وبدات صحف السلطة تتكلم كلاما مثيرا فقد نشر زكى الارسوزى فى مجلة الجيش والشعب كلاما تحدث فيه عن قصة آدم فى القرآن فسماها اسطورة ، وتحدث عن الجاهلية على انها ارفع مظهر للنفسية العربية .

ودندن بعض وزراء النظام حول الغـاء الأوقاف والغاء مادة التربيـة الاسلامية .

وبدا طلاب النظام يتحرشون بمدرسى التربية الاسلامية ويتحدثون عن القرآن انه شعوبى واعتدى على اكثر من مدرس .

ثم اعتدى على الشيخ عبد الكريم الرفاعى من قبل رئيس مخفر غير مسلم فى دمشـق .

ونقل مدرسا تربية اسلامية من حماة نقلا تعسفيا .

وحدث أن طالبا كتب على جدار عبارات ضد رجالات الحزب الحاكم فحكم عليه بالسجن سنة .

وجاء رمضان ذلك العام ، واقبل الناس على حلقات المساجد اقبالا شديدا وكانت الدروس تلتهب حماسا ،كل ذلك جعل المدينة بركانا يغلى وامام هذا الوضع فقد عرض امر حماة على قيادة الاخوان المسلمين فى سورية فاعطت اذنا محليا لاخوان حماة ان يتصرفوا .

نقول هذا لأن بعض الاخوان انكر ان يكون للجماعة دخل بما حدث فى حماة وقد شهد بعد سنين على هذا الاذن : الأخ سليمان الرز من اخواننا فى حلب .

وهكذا قررنا أن نتحرك فى حماة .

اشار الشيخ محمد الحامد على المدرسين المنقولين من حماة أن يلتحقا بمقر العمل الجديد فوافقا ، وكانت رغبته رحمه الله تسكين الامور ، لكن الجو كان متوترا وخاصة فى صفوف الطلاب ، ولذلك قررنا اضرابا طلابيا شاملا وعممنا على اخواننا ان يضربوا ويتفـرقوا مبـاشرة وفعلا فقد تم الاضراب بنجاح كامل فى كل مدارس حماة ونفذ الاخوان الأمر ، لكـن الشرطة وقوى الامن حاولت أن تعتقل بعض الاخوة من ثانوية عثمان الحورانى ، فتجمع الطلاب نتيجة لذلك ، وكان المسئول عن ثانوية عثمان الحورانى هو الأخ مروان حديد رحمه الله ، وتجمهر الناس حول الطـلاب فنزلت مظاهرة ، وكان محافظ حماة وقتذاك هو عبد الحليم خدام الذى امر بانزال الجيش ، نزل الجيش وهو يهتف هتافات كفرية معادية للاسلام ولرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت هذه احدى الظواهر التى جاء بها الحزب الحاكم الى سورية ، فالهبت المشاعر ضده ، واطلق الجيش

النار على أحد المواطنين من آل الجواد فاستشهد . وفى هذا الجو الملتهب أمر محافظ حماة باغلاق المدينة التى كانت مهيأة للاضراب الشامل فبدأ اضراب حماة الذى استمر وقتذاك تسعة وعشرين يوما .

توجه بعض شبابنا وعلى رأسهم مروان حديد رحمه الله الى مسجد السلطان واعتصموا به ، وهناك نظموا القاء الكلمات النارية وبدأ أهل حماة يتوافدون ويتقاطرون علىالمسجد ، وكانت أحاديث شاملة عن الوضع ، عن كفره وعن محاولاته لالغاء مادة التربية الاسلامية وعن توجهات النظام ، والشعب يزداد اشتعالا وهنا طلب محافظ حماة من أعيان البلد أن يجتمعوا ليخلصوا الى حل فتم اجتماع الناس فى جامع الشيخ زين بحى الشمالية فى الحاضر بالقرب من بيت عثمان الأمين رحمه الله .

وكنت خلال ذلك أداوم على التدريس فى السلمية ، التى عدت الى التدريس فيها بعد خروجى من الجيش ، والتى لم تغلق أبوابها مع حماة وكنت أرجع يوميا الى حماة بعد الدوام المدرسى .

اعتقلت السلطة الشيخ عبد الله الحلاق والشيخ سعد مراد وبدأت تساوم العلماء عليهما وأخيرا ضغطت على العلماء أن يصدروا بيانا يطالبون به البلد بأن تفتح أبوابها فى مقابل أن يطلق سراح الشيخين وفيما بين الخوف والرجاء أصدر العلماء بيانا لكن الشعب رفض البيان بعد جهود بذلت مع الناس وأطلق سراح الشيخين وفى اليوم نفسه أصدرت السلطة بيانا تحذر فيه الناس من فئة تستغل الدين وكان واضحا من مجموع الاجراءات أن السلطة تريد عزل الاخوان لتبطش بهم وكان علينا أن نبقى الشعب متعاونا معنا اذا ما أردنا تفويت الفرصة على السلطة كان هذا هو الموقف يوم جرى اجتماع مسجد الشيخ زين فى حى الشمالية والذى مجرياته على الشكل التالى :

اجتمع عدد من الناس فى بيت عثمان الأمين رحمه الله وتباحثوا فى من يلقى الكلمة فى المجتمعين وأخيرا اتفق على أن ألقى الكلمة .

كان وضع الاخوان المسلمين فى خطر ، وكان اخواننا المعتصمون فى مسجد السلطان فى خطر وكان الحل الوحيد لرفع الخطر هو أن تبقى المدينة كلها متلاحمة معنا ، والا فان ضربة شاملة للاخوان ستكون وستعلق رقاب الكثيرين من اخواننا .

لذلك طرحت فى خطبتى على المجتمعين فكرة حلف كحلف الفضول بين ابناء حماة جميعا وان اى اعتداء على اى فرد مهما كان اتجاهه السياسى او الدينى يجب ان تقف منه المدينة موقفا موحدا ودعوت ان يختار كل حى عددا من ابنائه لتنظيم التموين فيما لو اضطررنا الى استمرار الاضراب .

وفعلا فقد تم عقد اجتماع ضم ممثلى الاحياء فى غرفة المسجد الواسعة، وهناك اتفقنا على أن تطوف لجنة منتخبة من الحاضرين واختاروا أن اكون على راسها لنقابل زعماء الاتجاهات السياسية فى البلد من أمثال رئيف الملقى وجماعة اكرم الحورانى ، واتفق على أن نلتقى فى اليوم التالى فى بيت آل الشيخ خالد فى السوق ، وانفض الاجتماع على ذلك ، ونمت ليلتها فى منزل عثمان الأمين رحمه الله .

كانت المدينة كلها قلبا واحدا مجمعة على الاضراب وكان ريف حماة متعاطفا معها يمدها بالخبز ، ولما أحس الريف أن هناك احتمالا لمواجهة بدأ يمد المدينة بما يتيسر من ذخيرة أو سلاح على قلة فى ذلك .

لم يكن فى البلد سلاح أو ذخيرة الا السلاح والذخيرة اللذين يحتفظ بهما بعض الحمويين اذا اضطروا للاشتباك مع بعضهم وما اكثر صراعاتهم، لذلك لم تكن البلد مؤهلة لخوض معركة ومع ذلك فقد بدات المعركة فى اليوم التالى .

ارسلنا فى ليلتنا هذه اكثر من وفد لاكثر من جهة ليعلم الناس وضعنا ، كنا حريصين على الا تكون هناك معركة مواجهة ، بل كان املنا ان نستطيع الاستمرار فى الاضراب لعله تلحق بنا بقية المدن السورية فتنهى النظام من خلال الاضراب لكن السلطة احست بخطورة هذا الأمر فقررت المواجهة وكان الشعب مهيئا للصدام فكانت احداث الصراع .

نمت كما قلت فى بيت عثمان الأمين رحمه الله الذى اصبح فى اليوم التالى وكأنه غرفة عمليات .

جاءتنا أخبار الصباح أن بعض الناس قطعوا الطريق ما بين دمشق وحلب غضب لذلك عثمان الأمين لأنه يريد الطريق مفتوحا حتى تصل أخبارنا الى المدن الأخرى ولتبقى بيننا وبين المدن الأخرى وسائل اتصال وحاول ان يفتح الطريق لكن الأمور تلاحقت فقد نزل الجيش واطلق النار ورد الناس بالمثل واشتعلت المدينة وجاءت السلطة الى حماة .

كان عظم المعركة حول مسجد السلطان وفى الحاضر ،وقد امر باطلاق نيران المدفعية على المسجد فهدم مئذنته وبعض قبابه ، ودافع المحاصرون دفاعا شديدا ، ولكن الذخيرة نفدت وتم اقتحام المسجد .

وفى نشرة اخبار دمشق الساعة الثانية والربع ظهرا اعلن راديو دمشق عن الأحداث ، متهما القائمين عليها معلنا مصادرة الأموال المنقولة وغير المنقولة لعدد من الناس مهددا كل من يتعاون معهم وكان اسمى من بين هذه الأسماء .

كانت الاذاعة الخارجيه الوحيدة التى اهتمت بالأحداث هى اذاعة العـراق .

ولذلك وامام نقص الذخيرة كلفنا احد الناس ان يذهب الى العـراق فلعله يستطيع ان ياتى بمدد من السلاح والذخيرة ولكن تبين فيما بعد انه لم يسافر ، كان عثمان الأمين من الرجال الذين تجتمع عندهم الشجاعة والكبرياء والشموخ والعزة وكان يرى أن الانسحاب وعدم المواجهة نوع من الجبن والفرار ولذلك كان يصر على البقاء فى بيته ، وكنت فى وضـع لا امثل فيه نفسى فقط بل امثل جماعة الاخوان المسلمين فاحببت الا اتصرف اى تصرف يمس بكرامة الاخوان المسلمين ولذلك اظهرت استعدادا للبقاء فى البيت حتى آخر لحظة منتظرا الاستشهاد فى سبيل الله عز وجل وشعرت بفضل الله عز وجل بنوع من الصفاء العجيب . اتفقنا على ان نتناوب السهر ، وطلب الأخ عثمان رحمه الله منى ان اكون أول النائمين ، ذهبت الى غرفة النومفنمت وبعد قليل ايقظنى عثمان الأمين وهارون خطاب وحاج احمد الأمين رحمهم الله ولا اتذكر من كان معهم .

اطلعونى على الوضع وطلبوا رايى فقلت لهم :

ان استمرار الصراع المسلح لصالح السلطة ، والناس لم تبق معهم ذخائر ، والمهم ان يستمر الاضراب وبقاؤنا هنا ليس خطرا على حياتنـا فقط بل هو خطر على الحى جميعه ، اننا اذا انسحبنا من ههنا يستطيع كل فرد شارك فى المعركة ان يلقى سلاحه متى انتهت ذخيرته ثم ينصرف ، اما اذا بقينا فقد يجد بعض الناس انهم ملزمون أن يربطوا مصيرهم بمصيرنا فتكون كارثة على الجميع ،فالراى عندى ان ننسحب الى بيت آخر نختبىءفيه ومن هناك نتابع الأمور ، ولم يكن هناك راى آخر فقررنا جميعا الانسحاب وانسحبنا الى بيت احد الثقات تحت جنح الليل .

* * *

وفى اليوم الثانى للمعركة ارسلت قوات مدرعة هائلة الى المدينة تمركزت فى نقاط التقاطع وفى الشوارع الرئيسية وفى أطراف المدينة وكانت بعض هذه القطع قريبة جدا من البيت الذى نحن فيه .

وقد دعا امين الحافظ رؤساء البلد لاجتماع عام واتفق معهم على ان تهدا المدينة أسبوعا يتم خلاله مفاوضات بين الحكم والشعب لدراسة المطالب العادلة واقرارها وكان على راس المفاوضين شيخنا الشيخ محمد الحامد ولما بلغنا الخبر خرجنا من مخبئنا وعدنا الى الظهور واجتمعنا مع الناس وتذاكرنا مع الخلص عما ينبغى فعله فكان الراى ان نسافر الى العراق مستغلين فرصة الهدوء هذه فان تمخض الاسبوع عن شىء صالح كان بها والا فلعله نستطيع تامين سلاح وذخيرة للناس اذا اضطر الناس للمواجهة وفعلا رتب امر السفر خلال دقائق وتطوع احد السائقين الجيدين ، وقدمت لنا عائلة نصرانية من حماة سيارة لاندروفر تصلح للسير فى الصحراء وفى المناطق الوعرة وهذه الأسرة النصرانية تربط مصيرها دائما بمصير المسلمين .

وانطلقنا على بركة الله نحو قرية الطيبة ابتداءا ومنها توجهنا الى العراق وكان املنا أن يتولى ايصالنا الى العراق احد امراء البدو . وكان مشهورا بالرجولة والشجاعة .

كنا مع السائق ستة :

العقيد فؤاد الأسود وهو الذى ضرب جبل الدروز زمن اديب الشيشكلى .

وعثمان الأمين وحاج أحمد الأمين وهارون خطاب وسعيد حوا ، ....

كان سلاحنا بسيطا ، وكان معنا اكثر من بندقية وكنا مصممين على القتال حتى الموت .

وصلنا الى خيام الأمير فاستقبلنا الأمير وذبح لنا واكرمنا ثم طلب منا ان نتحول الى مكان آخر ريثما ينظر فى امره ، ثم أرسل لنا يعتذر عن توليه هذه المهمة بنفسه ، فشكرناه وانطلقنا نحو مضارب قبيلة اخرى وفى الطريق صادفتنا سيارة شحن حموية تعمل فى البادية فسارت معنا واوصلتنا الى مضارب القبيلة ومن هناك أخذنا دليلا وانطلقت سيارة الشحن امامنا مع الدليل حتى أوصلتنا الى العراق ، دخلنا مخفر الرطبة بآخر نقطة بنزين معنا ، عرف المسئولون هناك قضيتنا فاكرمونا وارسلونا الى قاعدة الحبانية

وهناك رغبوا أن يستضيفونا أياما ظنا منهم أننا مرهقون ، لكنا أعلمناهم أننا نرغب أن نعرض قضيتنا على المسئولين العراقيين بسرعة ·

فأرسلونا الى بغداد وسمعنا ونحن على أبواب بغداد أن مظاهرات قد قامت نصرة لأهل حماة ·

استقبلنا فى بغداد أشخاص من أجهزة الأمن وانزلونا فى فندق يقع على شاطىء دجلة ، وزارنا بعض المسئولين فرغبنا اليهم أن يعلن مباشرة عن مناورات على الحدود العراقية لرفع المعنويات وكان ذلك ·

كانت علاقتنا مع وزير الداخلية ثم مع ضابط اعتمد كمسئول عن المكتب الذى يتابع شئون اللاجئين العرب ، وكان اللاجئون الســوريون يكثرون شيئا فشيئا وكان أكثرهم ناصريين · وقد حملوا علينا حملة منكرة وكتبوا فينا تقارير ولم نبال كثيرا وكان ردنا عليهم بقدر الحاجة ·

بقينا فى العراق حوالى أربعين يوما ثم توجهنا نحو الأردن بجـواز عراقى يصلح لسفرة واحدة ، كان عثمان الأمين يصر على ألا نعتبر لاجئين ، وقد دخل العقيد الأسود المستشفى العسكرى بسبب ارتفاع الضغط والسكرى ، وقرر البقاء فى العراق فلم يسافر معنا الى الأردن ، ظهر ونحن فى العراق دستور للعراق حاولت أن أكتب عليه دراسة ، تضايق من ذلك الزملاء ، مزقوا لى الأوراق ، شعرت وكأننى فقدت ولدا ·

توجهنا الى الأردن ووقفنا طويلا على الحدود حتى أذن لنا فـى الدخول ، نزلنا فى فندق عادى ، كان فى الأردن قبلنا عبد الله برازى فعرفنا على الناس وعرف الناس بنا ، عوملنا معاملة كريمة من كل من تعرف على أوضاعنا ولم نكد نقر فى الأردن حتى سمعنا من اذاعة دمشق برقية من الشيخ محمد الحامد تشكر المسئولين على اطلاق سراح المعتقلين والسـماح بالعودة للمغادرين فعلمنا أن المسألة انتهت ، وفعلا فقد تحرك بعض آل الأمين حتى جاءوا بأمر العفو الى الأردن ونزلنا مباشرة الى سـورية واستضافنا حموى فى درعا كان رئيس شرطتها وانتهت أحداث حماة بعـد حوالى خمسين يوما من بدئها ·

***

بقيت حماة مضربة تسعة وعشرين يوما شاركها بعض أيام اضرابهـا اللاذقية ودمشق ·

جرت خلال هـذه الأيام محاكمـات للشيخ مـروان ومن معـه من المسجونين .

وكانت محاكمات تاريخية بما جرى فيها من نقاش وصمود ، وعندما صدر الحكم بالاعدام على البعض فرحوا وكبروا وعانق بعضهم بعضا اما الذين لم يحكم عليهم بالاعدام فقد بكوا ونادوا حكامهم : ياخونة احكمونا بالاعـدام .

انتشر النقاش الجرىء بين الشيخ مروان وقاضيه العسكرى بـين الناس فاشعل العواطف . كنت من جملة المحكومين غيابيا بالاعدام ، ولكن الامور انتهت كما ذكرنا .

كان محصلة ثورة حماة أربعة شهداء من اخواننا وحوالى خمسـين من أبناء البلد ويقال : انه قتل من جنود السلطة ورجالاتها الكثيرون .

***

ادى تحركنا فى حماة عددا من الأغراض :

(ا) حميت مادة التربية الاسلامية .

(ب) توقفت الأفكار القائلة بتصفية الاوقاف .

(جـ) جمد وضع الحرس القومى .

(د) وجدت وزارة معتدلة برئاسة صلاح البيطار .

(هـ) اصبح الاسلام اكثر احتراما وبداوا يحسبون له حسابا .

وكانت تجربة من تجارب المواجهة بين الاخوان المسلمين وبين الأنظمة التى نشطت فى محاربة الاسـلام .

***

من الذكريات ان القيادات المحلية للاخوان المسلمين فى بقية المحافظات لم تحرك ساكنا ولسنا نعتب عليها ، وقد بلغنا ان بعض القيادات عرضـت عليها قوى عسكرية ان تتحرك فلم تجب الايجاب وبعض القيادات اتصـل بها فقالت نحن لا نؤمن بالوصول الى الحكم الا عن طريق الديموقراطيـة ولو كلفنا هذا خمسمائة عام وبعض القيادات بقيت تشهر فينا بسبب احداث حماة ١٩٦٤ حتى هذه اللحظة ، ان هناك ناسا لا يتحركون وينتقـــدون المتحركين .

***

استطاع بعض اخوة حماة فى دمشق متعاونين مع بعض العناصر أن يحدثوا اضرابا فى دمشق لم يدم طويلا ، حاول بعض أهل العلم فى حلب أن يفعلوا شيئا ولكن لم يتابعوا ، حدث فى اللاذقية شىء طيب .

كنا نطمع اذا تابعت حماة الاضراب أن تتابعها المدن السورية ولكن لم يحدث ما أملناه ، مع أن حماة بقيت تسعة وعشرين يوما مغلقة حوانيتها ومعطلة كل مظاهر العمل فيها .

****

كان شيخنا الشيخ محمد الحامد يتصرف فى هذه المرحلة على غاية الحكمة يقدم حيث يرى الاقدام حزما ويحجم حيث يرى الاحجام عزما ، وكان دائم النصح للجميع دائم الدعاء ، وكان واضحا أن السلطة تريد افراد الاخوان المسلمين لتضربهم ضربة ساحقة كما ضربت الناصريين فى ١٨ تموز ولكن موقف المدينة الأصيل وصلابة الاخوة وكلمة الشيخ ووجود بعض أهل السنة فى مراكز قوية فى السلطة ورغبة بعض العلويين فى تمرير المرحلة فلا ينكشف الغطاء الطائفى مبكرا ،كل ذلك كان عاملا من عوامل انهاء الوضع فلم يمر خمسون يوما الا وكأن شيئا لم يكن .

ولقد كان الدرس الأكبر الذى أخذناه من ثورة حماة سنة ١٩٦٤ أن موقف بلد واحد فى سورية ليس كافيا أن يسقط نظاما جائرا ، وأنه لا بد اذا ما أردنا وضعا جديدا لسورية أن يكون ذلك باتفاق أبناء المحافظات ولكن لا بد من جهة تستلم راية الاقدام حتى يسير الناس وراءها وكانت حماة هى المرشحة لتقديم التضحيات وتحمل مسئولية البدء ، هذا دورها التاريخى قبل الاستقلال وبعد الاستقلال ولهذا الحديث تتمة .

****

هل كان أمامنا خيار ألا نتحرك ؟

استلم العلمانيون السلطة فى سورية وانفردوا بها وكان واضحا أن استقرارهم يعنى الوصول فى سورية الى كفر ودمار .

ولقد أخذ بعض خطباء الاخوان المسلمين يتكلمون بجرأة ، وكان الآخرون يهزون رؤوسهم بلا مبالاة ، ولقد أقدموا على خطوات جريئة فى تصفية الجيش مما كان مقدمة للهزيمة الكبرى أمام اسرائيل فى سنة ١٩٦٧ ، وأنشأوا الحرس القومى الذى بدأ يتطاول على الجميع وتجمعت الأقليات كلها حولهم وكلها حاقدة على الاسلام والمسلمين الا قليلا فى المتعقلين وخاصة من كان من النصارى فان الكثيرين منهم بقوا خارج السلطة وبدأت بوادر

الاعتداء على الاسلام والمسلمين تظهر من ههنا وههنا ولم تبق هناك حماية لمواطن لا من القائمين على الحكم ولا من القانون ، وكان السكوت المطلق على ذلك يعنى فى النهاية انهاء البقية الباقيـة من الاسـلام الرسمى فى سورية وكان اخوف ما نخافه الغاء مادة التربية الاسلامية والاوقاف وقانـون الاحوال الشخصية وقد بداوا معركتهم من اجل هذا وهذا ، فكان لا بـد من ردة فعل تبقى الامور عند حد معين وكان هذا ما فعلناه فى حماة ، وكان من آثار ذلك ما ذكرناه ولذلك اهميته الكبيرة ، ومع أن التفكير فى الغاء هذه الامور والتضييق على التدين كان يتجدد ، لكن موقف حماة كان عاملا معدلا .

***

(فصل) فى : ينادوننى فى السلم يابن زبيبة

من المشهور عن عنترة قوله : ينـادوننى فى السـلم يابن زبيبـة وعند اشتعال الحرب يابن الأكارم . وهذا القول لا ينطبق على شىء كما ينطبق على حماة ، ان لحماة طبيعة خاصة تجعلها كثيرة الحساسية اذا حدث ظلم او كفر ، ومن ثم فهى تعبر عن رايها قبل غيرها ، ولقد ساهمت حماة فى كل الثورات ضد الاستعمار بل حسمت الصراع مع الاستعمار فى آخر معركة منتصرة لها ، ثم هى التى اثرت فى احداث سورية سياسيا بشكل مستمر ، وهى التى قادت ولا زالت تقود المعارضة ضد النظام القائم فى سورية ، والناس فى شأنها كما قال عنترة ، فساعة يثنون عليها الثناء العاطر وساعة يهجمون عليها هجوما ماطرا .

ومن العجيب أن يعامل اهلها بنكران الجميل من الصديق بل من بعض اهلها ، فلم يزل الحمويون المتدينون محل نكران جميل ، فهـم ملاحقون من النظام ، ومضيق عليهم من بعض اخوانهم .

ولبعض الاخوان فلسفة عجيبة ، مؤداها : ان على الشعب السورى ان يستسلم للاحداث ، وان على المسلمين ان يستسلموا فلا يفعلوا شيئا .

وان الأمور ستحل نفسها بنفسها ، فكانهم ينسون قولـه تعـالى : **« ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوا بعضكم ببعض »**(١) . وقوله تعالى : **« ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض »**(٢) .

اننا لم نتحرك اولا وثانيا ولنا خيار ، فلو لم نر محاولة استئصال الاسلام ، ولو اعطى الاسلام حرية الدعوة لما تحركنا .

***

---

(١) محمد : ٤ .   (٢) البقرة : ٢٥١ .

الباب السادس

من التاسعة والعشرين الى الثانية والثلاثين
(١٩٦٤ ـ ١٩٦٦ م)

تزوجت بعد عودتى الى سورية من العراق وجاءنى محمد واحمد فى الخامسة والستين والسادسة والستين واستطرادا اقول : ثم جاءت فاطمة فى السابعة والستين وانا فى السعودية ثم جاء معاذ فى التاسعة والستين فى المدينة المنورة ، وهؤلاء كل اولادى ٠

عدت الى التدريس فى السلمية بعد احداث حماة ١٩٦٤ فدرست السنتين الخامسة والستين والسادسة والستين ثم غادرنا الى السعودية للتدريس ٠

تقدمت من قبل الى مركز حماة باقتراح حول المناهج ، رفع الى قيادة الجماعة ثم اقر وكلفت بوضعه ، وهكذا كنت مستغرقا قبل سفرى الى السعودية بالعمل الاخوانى والعمل الاسلامى وبالتاليف فى المنهاج الذى كلفت به ٠

من اهم احداث هذه المرحلة انقلاب شباط (فبراير) الذى اودى بامين الحافظ واتى بعهد صلاح جديد ومجموعته الى الحكم وهذه تفصيلات عن اهم احداث هذه المرحلة ٠

١ ـ الزواج : بعد أن خطبت أم محمد وهى بنت خالة الأستاذ مصطفى الأعسر رحمه الله وكانت خطبتها بواسطته ، بعد الخطبة بفترة قليلة سرحت من الجيش ثم حدثت احداث حماة ثم انتهت وعدت الى حماة ، وجاءنى فى يوم الحاج عبد الكريم الشامى بسيارته وقال انى مسافر الى دمشق فتعال معى ، فسافرنا وهناك عقدنا العزم على انهاء موضوع الزواج ، اتصلنا باخى ام محمد وابلغناه اننا قادمون لعقد القران ، جئنا الى منزله واجرينا العقد ، اجراه الدكتور صلاح خير الله وهو من اكابر صوفية العصر ٠

كان حاج عبد الكريم يريد ان يتم الدخول فى اليوم نفسه وبالكاد اجل اهل الزوجة الدخول الى ثلاثة ايـام ٠

استاجر الحاج عبد الكريم بيتا فى «مضايا» اعطانى غرفة منه ، تم

الدخول فيها ، وبعد يومين أو ثلاثة انزلنا حاج عبد الكريم الى حماة ، فوجىء الأهل بدخولى مع ام محمد اليهم قلت لهم اتيناكم بزوجة ٠

احست ام محمد واحس الأهل وكانهم يعرفون بعضهم منذ زمن بعيـد لم يشعر احد بغربة عن الآخر ٠

عدنا الى « مضايا » وقضينا فيها اياما اخرى ، كانت وظيفتى لا زالت فى السلمية ، نقلت ام محمد وكانت فى دير الزور تدرس اللغة العربية الى السلمية واصبحنا ندرس سوية فيها هى فى مدارس البنات وانا فى مدارس الذكور ٠

عندما خطبت ام محمد تحدثت اليها بحضور امها واخيها حديثا مسهبا عن وضعى :

حدثتهم اننى اريد امراة تنظر بعينى وتسمع باذنى وتفكر بعقلى ٠

وان ظروفى صعبة واحتمالات المستقبل فى حقى كثيرة وكبيرة وان زوجتى عليها ان تتحمل اشياء كثيرة ٠ ثم حدثتهم عن طبيعة حياتى وانها يغلب عليها العفوية وهذا يقتضى من زوجتى ان تقوم باعباء الترتيـب والتنظيم ، وعلى ضوء هذا كله اعطوا موافقتهم ، وكانت ام محمد اكثر مما اردت واقوى مما املت ، واقدر مما تصورت وذلك من فضل الله ، لقد كانت السكن والمساعد والمعين ، واننى مدين لها فى كل ما يعتبر انجازا ٠

❊ ❊ ❊

٢ ـ انتخاب فى مركز حماة :

انهى الدكتور عبد الكريم عثمان رحمه الله دراسته العليا فى مصر وجاء الى حماة ، وكان شخصا محببا دمثا منصهرا فى دعوة الاخـوان المسلمين ؛ قوى الالتزام واسع الأفق ، على صلة قوية بنشاطات الجماعة فى مصر وفى سورية ٠

قررت قيادة المركز فى حماة ان تعقد اجتماعا لأهل الحل والعقـد فى المركز ، وتم الاجتماع وراى الحاضرون ان ينتخبوا قيادة للمرحلة اللاحقة ، وبعد مناقشات حول المواصفات المطلوبة لقيادة المرحلة تم الانتخاب ٠

وكان الشعار الذى طرحته داخل القيادة واعتمد هو : تكميل الرجال واستكمال الأجهزة ٠

كان عبد الناصر فى صراع عنيف مع الحكم فى سورية لذلك أرسل لنا عرضا بواسطة بعض الناصريين أن يسلحنا ، لكن وضعنا التنظيمى من ناحية وحساسيتنا من ناحية أخرى تجاه عبد الناصر جعلتنا نرفض المشروع ، لم يلبث الدكتور عبد الكريم أن سافر بضغط من الحكومة السورية الى السعودية وكلفنى بادارة الأمور لكننى تعاملت مع الأكبر سنا على أنه هو الرئيس .

* * *

٣ ـ كان كبار الاخوان المسلمين وقواعدهم يتكلمون دائما عن ضرورة منهاج ونظام داخلى للجماعة .

وكانت فكرة المنهاج غائمة فبعضهم يقصد فى المنهاج خطة العمل والحركة وبعضهم يقصد فى المنهاج التفصيلات التطبيقية التى تستهدفها فى واقع الحياة وبعضهم يقصد فى المنهاج الثقافة التربوية والأخلاقية التى يحتاجها العضو فى سيره فى مراتب العضوية فى الاخوان المسلمين ، وكانت رؤيتى أن الصور الثلاث الأولى للمنهاج يمكن أن تصب جميعا فى الصورة الرابعة لذلك تقدمت بصورة تفصيلية عما اعتبره المنهج الصحيح الذى يبنى عليه الفرد فى الجماعة وتبنى عليه الجماعة ككل ، وكان المشروع فى حوالى عشرين صفحة وقد رفع المشروع باسم مركز حماة الى قيادة الجماعة فعممته على قيادات المراكز وعلى أعضاء القيادة ، وبعد أخذ الملاحظات استدعيت لحضور اجتماع لمجلس الشورى وللقيادة للمناقشة وقد أقر المشروع بالاجماع وكلفت بالتنفيذ مع حقى بالاستعانة بكل أخ فى الجماعة .

وكنت فى الأصل أشتغل فى الكتابات التى تحقق المشروع لأنه كانت واضحة لدى المعالم التى تحتاجها الشخصية الاسلامية والحركة الاسلامية وكانت محصلة نظريتى فى هذا الشأن هو ما رأى بعضه القراء فى مجموع ما كتبته وقد استعظم بعض الناس فيما بعد أن يكلف فرد واحد بصياغة منهاج للجماعة فى سورية ، وبدأت معاكسات ومشاكسات ولم أبال بذلك لأننى كتبت فى كل ما اعتبرته احتياجا حقيقيا للشخصية الاسلامية أو للحركة الاسلامية سواء اعتمد أو لم يعتمد .

وصادف أن الجلسة التى حضرتها للقيادة ومجلس الشورى كان فيها بحث حول النظام الداخلى للجماعة وكان ذلك مطلبا للجميع وكان هناك أكثر من مشروع نظام مطروح ، وكان بعضهم يرى أن النظام القديم

للجماعة صالح بعد تعديله وكان عصام العطار قد ارسل من بيروت رسالة يعرض فيها تصوراته للعمل ويذكر أن النظام الداخلى الذى يحقق هـذه المعانى موجود عنده فاذا أقر الاخوة هذه التصورات فسيرسله اليهم ، ولكن لم يتم ذلك بسبب ظروف سورية ٠

***

لا زلت أتذكر نكتة حدثت فى الاجتماع الذى حضرته لمناقشة مشروع المنهاج فلقد كانت تغلب على فكرة ان مناقشات القيادات ينبغى أن تتم بـلا انفعالات للوصول الى القرار الحكيم ، وكنت أكرر فكرة ن علينا أن نكون كالآلة ونحن نتكلم لنعطى النتيجة الصحيحة من خلال العقل وحده ٠

واثناء الجلسة المذكورة كان احد الاخوة يناقش قضية وهو يرفع صوته ويتوجه بالخطاب لأخ يجلس بجانبى واثناء كلامه توجهت فى الخطـاب سرا الى جارى ولكن بشكل ملحوظ وسألته : اطرش انت ؟ فتعجب وقال : لا ، فقلت له : لماذا اذن يرفع الأخ صوته بهذا الشكل ؟ وههنا انتبه المتكلم فقطع كلامه وسأل عن القصة فرويت له السؤال والجواب فضحك وكانت نكتـة ٠

***

كان احد الأسس التى لا استطيع التساهل فيها فى العمل الاسلامى ربط العضوية بالثقافة والخصائص والالتزام والتخصص وللأسف فاننـى وجدتنى فى أواخر الأمر ادخل فى معركة خاسرة داخل الاخـوان المسلمين فى سورية فلم يزل حتى عام ١٩٨٤ الزمن تقريبا هو المقياس لدرجات العضوية اذا جرى انتخاب ، وكثيرا ما يدخل القدم فى دائرة التحكـم فما من انسان يستطيع أن يثبت أنه منتظم انتظاما مستمرا بسـبب الظروف المتقلبة وهذا يجعل لمن بيده الأمر القرار فى اعطاء صفة أو حجبها عنه ٠

***

٤ ـ احداث شباط (فبراير) :

اهم حدث سياسى فى هذه المرحلة هو انتقال السلطة من امين الحافظ الىمجموعة صلاح جديدمنخلالانقلاب٢٣شباط(فبراير)١٩٦٥،كانتنتيجة متوقعة لأن عظم القوى كانت بيد الأقليات ، وكانت اقوى الأقليات الطائفة العلوية ، وقد اتفقت الأقليات على ايجاد وضع جديد فكان ٠

كانت حماة بيد ضابط من قرى حماة من مجموعة امين الحافظ وكنـا نقدر أن القوة العسكرية فى حماة ستقاوم الانقلاب ، وخشينا ان يحـدث

صدام كبير تستباح فيه البلد . ففكرنا ان نستلم سلاحا ونسلح اخواننا فيما لو وزع على البلد .

كان عثمان الأمين رحمه الله هو مركز الاتصال وكان رأيه ان يلقى السلاح فى وسط البلد ويترك لكل فرد ان يأخذ سلاحه الفردى دون قيود احتياطا للمستقبل ، ولم يتم الاتفاق ، ولم تجر مقاومة تذكر ، وسيطر الشباطيون بسرعة كبيرة وانتقلت سورية الى عهد جديد .

وكاى عهد فانه يحتاج الى زمن ليتمكن فكانت هذه فرصة للعمل ، وكان ذروة ما عملناه اقامة دورات شعبية للتعريف على الاسلام فى حماة ، وهذه بدورها أدت الى نقلنا من حماة ، والانتقال من حماة كان السبب فى الخروج الى السعودية .

***

٥ ـ تجربة رائدة :

اتفقنا مع جمعية العلماء فى حماة على ان تعلن الجمعية عن اقامة مدرسة ليلية تعلم فيها فروض العين الاسلامية ووعدنا ان نقوم نحن مدرسى التربية الاسلامية الاخوان بهذا الشأن ووافقت الجمعية ووزعت بيانا على الناس تحدد فيه المواد التى سندرسها وبداية الدورة ونهايتها وان البرنامج اليومى ساعتان بعد المغرب والمواد ستوزع على مدار الاسبوع ، وكانت المواد : التوحيد ، فقه العبادات ، السيرة ، التجويد ، الحديث النبوى .

اقبل الناس اقبالا كبيرا على الدورة ونجح مدرسوها نجاحا كبيرا .

وبعد ان انتهت الدورة اعلنا عن دورات نهارية للطلاب خاصة فى عطلتهم الصيفية فالتحق بالدورات اعداد هائلة ، التحق بدورات البنات المئات والتحق بدورات الطلاب الابتدائى حوالى الف وخمسمائة وبدورات طلاب الاعدادى حوالى ثلاثمائة وبدورات طلاب الثانوى حوالى مائة واربعين كان واضحا ان هذا الاقبال يعنى ان حماة ستتغير تغيرا جذريا خلال عام ، لذلك اتخذت السلطة قرارا بان ينقل القائمون عليها خارج حماة بحيث يتعذر عليهم التردد الى حماة فنقلت الى حارم على الحدود التركية وهى منطقة لا أستطيع المجيء منها الى حماة بسهولة ، ونقل فارس ملى الى قرية فى محافظة الرقة ونقل عبد الحميد الأحدب الى جبل الدروز وقتل عثمان الأمين رحمه الله وهذا النشاط فى ذروته .

***

في هذه الاثناء طرح أخونا عبد الحميد الاحدب فكرة السفر الى السعودية وتقدم بطلبات لى وله ولفارس ملى .

وافقت الوزارة على اعارتى ، استشرت زملائى فى قيادة مركـز حماة ، فقرروا جمع بعض اهل الحل والعقد فى المركز ، عرضنا عليهم الأمر فوافقوا على سفرى ، وكان من عوامل السفر ان تتاح لى فرصـة استطيع فيها ان انجز المناهج الاسلامية التى كلفت بها .

وتابع الشيخ عبد الحميد احدب حفظه الله المعاملات حتى انتهت لى ولزوجتى ، وخرجنا الى السعودية عن طريق بيروت انا وام محمد وتركنا ولدينا الصغيرين محمد واحمد عند جدهما وجدتهما .

***

لقد وضعت قرار سفرى بيد اخوانى لأننى خشيت ان يكون هناك حظ نفسى فى السفر ولم اشا ان يكون لى صوت اذا طرحت المسالة على الاقتراع ، كان الوضع فى غاية التعقيد فاذا استمررت فى التدريس فاننى لا أستطيع المجىء الى حماة ، واحتمالات الاغتيال فى حقى كثيرة فانا احـد العناصر الرئيسية التى شاركت فى احداث حماة ١٩٦٤ ، والوضع لم يعد يحتمل العمل الجهرى وكان العمل الاخوانى يحتاج الى قرار جرىء ان يتفرغ له ناس متخففين من اعباء العمل الحياتى ، واذا اقتضى الأمر أن ينواروا فعليهم ان يتواروا ولم يكن الوضع المالى ولا قوة التنظيم تسمح بذلك .

كان قرار المركز فى حماة ان اسافر فسافرت ولم تطل المدة بعد سفرى حتى اعتقلت كل القيادات بل كل الصف الاخوانى الأول فى سورية ولم يطلق سراحهم الا بسبب حرب حزيران (يونيه) والا فان حكام سورية كانوا يصرحون ان هؤلاء لن يطلق سراحهم ابدا .

***

قامت ردة فعل اسلامية ضد الحكم فى سورية فى دمشق ، شارك فيها الكثيرون من تلاميذ العلماء ، وظهرت فى الساحة جماعة جديدة سميت باسم كتائب محمد عليه الصلاة والسلام ، ووجد جو ملتهب فى دمشـق ، وحدث شبه اعتصام فى الجامع الأموى ، واقدمت السلطة على اقتحام المسجد الأموى بالدبابات واطلقت النار على من فيه ، واعتقلت المئات ، وطاردت المئات ، وادعت السلطة فيما بعد انها هى التى استدرجت المتدينين لهذا الفخ لتجهض التحرك من بدايته ، وكان الاخوان المسلمون

بعيدين عن المشاركة فى هذا التحرك ، وكانت عذه هى الثورة الاسلامية الثانية ضد العلمانية فى سورية بعد الاستقلال ، ونسال الله ان يتقبل جهاد الجميع .

عشنا السنوات الثلاث قبل سفرنا الى السعودية على اعصابنا وكنـا نعتبر ذلك عاديا وكنا نقول لاخواننا ان ما قبل الاستخلاف خوف دائم ولكن الله عز وجل سيبدلنا بالخوف امنا ونذكرهم بالآية : « **وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعـد خوفهم امنا ، يعبدوننى لا يشركون بى شيئا** »(١) .

كنت أحاول فى نفسى وأحاول مع اخوانى ان نجعل تحمل الأوضاع الصعبة جزءا من كياننا فتكون مالوفة لنا فاذا كان غير ذلك كان عجيبا ولقد اعتدنا ذلك بفضل الله فمنذ دخلنا الاخوان المسلمين ونحن نحمل ارواحنا على اكفنا سواء فى الحياة الطلابية او فى الحياة التدريسية او فى الحيـاة العملية فما من يوم ننزل فيه الى مدرستنا الا ونتوقع صداما ، وما من يوم ندرس فيـه الا ونتوقع صـداما ، وكل يـوم يمر يمكن ان نتعـرض لاعتقال .

* * *

انهيت تدريسى يوما فى السلمية واذا بسيارة مخابرات تنتظرنى وابلغونى ان رئيس المخابرات فى حماة يرغب ان يرانى وكان ذلك فى رمضان ، ذهبت معهم حتى اذا وصلت الى حماة ابلغت بعد ساعات اننى مطلوب الى دمشق وفى الطريق نزل مطر شديد وتوقفت السيارة عن الحركة ولا ادرى هل توقف السيارة مفتعل او ذلك هو الواقع ؟ المهم انهم ارجعونى الى حماة وكان الخبر قد بلغ علماء حماة وعلى راسهم شيخنـا الشيخ محمد الحامد فتدخلوا ثم جاءوا واخذونى معهم وكان استنتاج الشيخ رحمه الله ان ما فعلوه كان اشعارا لى بان على الا ادرس فى المساجد وكنت بدات اعطى بعض الدروس بعد الفجر فى رمضان فى جامـع المسعود ، وطلب منى الشيخ الا ادرس ، فغيرى يكفينى هذه المؤونة وكان ذلك .

المهم ان حياتنا كانت محفوفة بالخطر .

نسال الله ان يتقبل .

* * *

---

(١) النور : ٥٥ .

(فصل) فى الصراع بين العلمانية والاسلامية على سورية

مما ذكره لورانس فى كتابه « اعمدة الحكمة السبعة » قوله : كنت افكر طوال الطريق هل ستترك سورية مثلها الدينى الى مثل وطنيةوقومية. ان هذه العبارة تمثل التفكير الاستعمارى القديم لسورية ، وهو التفكير الذى ما زال مدعوما من قبل كل الدوائر الخارجية ، وتتبناه دوائر داخلية كثيرة فى سورية ، واصرح من دعا الى علمانية سورية زمن الاستعمار الفرنسى هو الدكتور عبد الرحمن شهبندر من دمشق ولكنه قتل مباشرة .

وبهذه المناسبة أروى القصة الطريفة التالية :

حدثنى احد المتدينين انه كان مرة فى دمشق ورأى جمهرة من الناس يستمعون الى خطيب فدفعه دافع الفضول للسماع ، فكان الخطيب هو عبد الرحمن شهبندر ، وكان يتكلم عن ضرورة علمانية سورية ، وبعد ان انهى كلامه وقف هذا المتدين وقال للخطيب : ماذا تقول ؟ ان هذا الكلام سيقتلك ، ولم يرع محدثى الا وصحف اليوم الثانى تعلن اخبار اغتيال الدكتور شهبندر وبحثت الشرطة عن الحموى الذى قال ما قال فاعتقلته ولم ينج من الاعتقال الا بعد فترة طويلة بعد ان عرف الفاعلون الحقيقيون ، وكانوا ثلة من فتيان دمشق .

حاولت فرنسا ان تفرض العلمانية ولكنها فشلت ، صوت النصارى انفسهم لصالح دين الدولة الاسلام .

وجاءت عهود ما بعد الاستقلال فكانت كلها صراعا بين الاسلام والعلمانية على تفاوت فى حدة الصراع وشدته .

فالديمقراطية الأولى التى انتهت بانقلاب حسنى الزعيم لم تكن تعلن العداء للاسلام ، ولكنها لم تكن تتبناه ، وجاء عهد حسنى الزعيم القصير فادخل تغييرا جذريا لصالح العلمانية ، ثم جاء عهد اديب الشيشكلى فشجع على عدم الالتزام بالاسلام ، ثم جاءت الديمقراطية الثانية ، فخطت خطوات غير سافرة نحو العلمانية ، وجاء عهد الوحدة فصدر دستور علمانى بحت ، وجاء عهد الديمقراطية الثالثة زمن الانفصال فتعامل مع الاسلام برفق ، ثم جاء انقلاب ٨ آذار (مارس) فبدأ الصراع المكشوف بين العلمانية والاسلامية ، ولا زال هذا الصراع مستمرا .

والمشكلة الحقيقية تكمن فى الغموض وضعف الحركة المبصرة . فعلى الاسلاميين ان يكونوا واضحين فى مفهوم الاسلامية الذى يريدونه وعليهم ان يتحركوا حركة مبصرة نحو ما يريدونه ، وقد يكون اول هذه الحركة ان يتحركوا نحو الأقليات غير المسلمة فى بلادهم ، ونحو الأحزاب فيفتحوا معهم حوارا شاملا حول مفهومهم التفصيلى للتطبيق الاسلامى ، وماذا يعنى التطبيق الاسلامى للأقليات ؟ وان التطبيق الاسلامى لا ينفى تعدد الأحزاب ضمن اطار متفق عليه ، وهذا الذى نحاوله فى هذه المرحلة .

***

(فصل) فى هل سيحدث حقا الا تتدخل القوى الكبرى لتفرض على الشعوب خلاف قناعاتها ؟

فى العالم اليوم وضع متناقض ، فبينما العالم كله معترف بحق تقرير المصير للشعوب ، وبعدم جواز التدخل فى الشئون الداخلية للدول ، فالواقع غير ذلك .

فالصراع بين اجهزة المخابرات وتدبير الانقلابات ووضع المخططات ، ودعم حزب على حساب حزب ، والأموال المرصدة للتأثير على قناعات الشعوب ، واستغلال اضطرار الحكومات للديون ، واستعمال الديون كأداة ضغط ، وما نراه من وقائع تثبتها الأدلة والوثائق والكتابات الصادرة عن أهلها ذلك يثبت ان فكرة تقرير المصير وفكرة عدم التدخل فى الشئون الداخلية لا زالت شعارات تطرح .

ترى هل يوجد قطر اسلامى يطرح على التصويت فيه تطبيق الشريعة ثم يجىء رأى الأكثرية الا بالموافقة ، فلماذا يحال بين المسلمين وبين تطبيق شريعتهم ؟ .

وهذا نموذج فقط .

انه لا بد من حوار عالمى بين مفكرى العالم أولا ، لوضع ميثاق انسانى معقول ، تقتنع به كل الحكومات وكل الشعوب على السواء ، لأنه القدر الذى لا يسع الحياة البشرية غيره ثم يلتزم به الجميع أفرادا وشعوبا بحيث يلغى الفارق بين الشعار والتطبيق .

ولا شك أن على الاسلاميين ان يكونوا دعاة لهذا الحوار .

***

(فصل) فى تجربة جمعية العلماء فى حماة تدل على ان العلماء يتحملون مسئولية نشر الاسلام اكثر من غيرهم

نشانا فى حلقة الشيخ محمد الحامد فى مرحلة مبكرة من حياتنا والحمد لله ، وانتسبنا الى جمعية العلماء نحن وثلة من خريجى كلية الشريعة ، فحدث بذلك خير كثير ـ ان شاء الله ـ للاسلام والمسلمين .

لقد كان كثير من الاحتفالات الدينية تقام باسم جمعية العلماء ، واقامت جمعية العلماء دورة للخطباء كلفتنى بان اعطى دروسها وكان ذلك ارتقاء بكثير من خطباء الجمعة واهم شىء ان جمعية العلماء قامت بانشاء دورات لتعليم فروض العين واستجاب لها خلق كثير ، مما ثبت ان تعميم الثقافة الاسلامية منوط بالعلماء اكثر من غيرهم ، ومن ههنا فان على علماء المسلمين ان يجيبوا عن سؤالين اجابة عملية :

ما هى الثقافة الاسلامية التى يجب ايصالها لكل مسلم ؟ وكيف نوصلها الى كل مسلم ؟

وان يتولوا العلماء ذلك فليس هذا بمستغرب ولا مستنكر ، وعليهم ان يجنبوا عملهم هذا كل حساسية ما استطاعوا الى ذلك سبيلا ؟

واستطرادا ، اقول : ان الشيخ محمد الحامد لم يكن منتظما فى الاخوان فى اخريات حياته ولكنه كان يحبهم ويتفهم قضيتهم ، ولم نكن نشعر بازدواجية فى كوننا ننتسب اليه وننتسب الى الاخوان .

وكنا منتسبين الى جمعية العلماء ولم نكن نشعر باى تناقض فى ذلك مع انتسابنا للاخوان . ثم نبتت فكرة من داخل الاخوان تدعو الى عدم الازدواجية بدون تعقيد لهذه الفكرة . فاضطرنا لكتابة رسالتين ، رسالة اسمها « احياء الربانية » ورسالة اسمها « عقد القرن الخامس عشر » .

وفى كلتا الرسالتين ذكرنا نموذجا لعمل اسلامى لا يعتبر من الازدواجية الخاطئة .

فكون الانسان من الاخوان لا ينفى ان ياخذ الخير حيث وجد ، ولا ينفى ان يتعاون مع الآخرين على خير .

والرجل الحكيم يعرف ان يضع الأمور فى مواضعها .

***

الباب السابع

من الثانية والثلاثين الى السابعة والثلاثين

(١٩٦٦ ـ ١٩٧١ م)

درست خمس سنوات فى السعودية ثنتان منها فى الهفوف وثلاثة فى المدينة المنورة ، وكان تدريسى كله فى المعاهد العلمية وهى تشبه المدارس الشرعية فى بعض الأقطار وتشمل فى المعاهد المتقدمة المرحلتين الاعدادية والثانوية ، وكان اكثر دروسى فى اللغة العربية نحوا وصرفا وبلاغة كما درست الحديث الشريف واصول الفقه ، كانت علاقتى بطلابى علاقة مودة ومحبة ومصارحة وتوجيه ، واحتفظ باغلى الذكريات لتلاميذى فى المعاهد وظنى انهم كذلك .

❋ ❋ ❋

انهيت فى هذه السنوات الخمس سلسلة الأصول الثلاثة وأرسلتها للطبع والنشر وكتاب « جند الله ثقافة وأخلاقا » وفصولا من كتاب « جند الله تخطيطا وتنظيما وتنفيذا » ولم تنشر وقتذاك هذه الفصول فى التخطيط والتنظيم لكنى درستها لعدد من الاخوة واعطيتها لبعض الاخوان فى بعض الأقطار وقد جعل الله فيها خيرا كثيرا وبركة ، ثم ادخلت بعضها فى بعض الكتب .

❋ ❋ ❋

كان الجو مواتيا لالقاء محاضرات ، وقد القيت عددا من المحاضرات فى اجواء المعاهد العلمية وبعض الجامعات وفى بعض الثانويات ودور المعلمين وفى بعض الأندية وخاصة فى الناديين الرئيسيين فى المدينة المنورة : نادى الأنصار ونادى احد ، لقد القيت فيهما احب محاضراتى لى .

❋ ❋ ❋

كانت المنطقة العربية حافلة بالمفاجآت ، وكنت حريصا على الا يحدث تغيير فى السعودية لأن التغيير سيجعل مكة والمدينة وارض العرب فى مخاطر مجهولة ، كتبت تحليلا حول الوضع فى السعودية وبنيت عليه بعض الاقتراحات وقد وصل التحليل الى الملك فيصل رحمه الله ، وكانت له آثار

طبية فى نفسه كما نقل لى ، وتجاوب مع بعض المقترحات ، وبعض هذه المقترحات اصبحت الآن واقعا فى السعودية ، لا أدعى أن مقترحاتى هى التى قد طبقت لكن تطبيقها يدل على انها كانت فى محلها .

وعلى كل الأحوال فقد سبب لى هذا الأمر بعض المشكلات .

***

فى صيف ١٩٦٧ جئت الى لبنان مع زوجتى وابنتى التى ولدت فى الهفوف لتجديد التعاقد ولرؤية الأولاد وقضيت الصيف فى عالية وفى صيف ١٩٦٨ جئت كذلك الى لبنان لنفس الأغراض وقضيت الصيف فى « سير الضنية » واخذت فيما بعد معى الأولاد جميعا الى السعودية ومعهم عمتهم « هند » وفى صيف ١٩٦٩ جئت الى لبنان منفردا واجريت فحوصا طبية فتبين ان معى مرض السكرى ولم اخرج من السعودية عام ١٩٧٠ وفى صيف ١٩٧١ جئت مع الأهل الى لبنان ، وارسلت الأهل مع الوالد الى حماة وكانت زوجتى حاملا ثم بعد ايام جاء الوالد وبعد المذاكرة قررت النزول الى حماة ونزلت ولم تحدث مفاجآت على الطريق ، كنت قبل الحركة التصحيحية ممنوعا من الدخول الى سورية ولكن بعد الحركة التصحيحية كنت من جملة الذين سمح لهم بالدخول ، ومع ذلك فان السائق تصرف بذكاء حتى لا يمر اسمى على المخابرات وذلك من باب الاحتياط وهكذا عدت الى سورية من جديد .

***

كانت الأوضاع الاخوانية تتردى وتسير فى منحدر الانقسام ، وكانت عوامل الانقسام كثيرة ، ولما نزلت الى حماة كان الانقسام قد تم وأصبحت الجماعة ثلاث فرق ، فرقة على راسها الأستاذ عصام العطار حفظه الله وفرقة على راسها الشيخ عبد الفتاح ابى غدة حفظه الله وفرقة تعتبر نفسها على الحياد بين هذين الطرفين وتسمى نفسها مراكز الحياد وتشمل حماة وادلب ودير الزور ، كانت عواطف اهل هذه المراكز الثلاثة متباينة فبعضهم اقرب الى الأستاذ عصام العطار وبعضهم أقرب الى الشيخ عبد الفتاح وبعضهم لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء .

ولعله من المناسب أن اقف وقفة حول الانقسام على اعتبار انه ظاهرة يمكن ان تحدث للأحزاب كلها . فالانقسامات فى الغالب تحدث اذا شعر قطاع من ابناء الحزب او الجماعة أن هناك بعدا بين المبادىء والتطبيق او انه لا سير صحيحا نحو الهدف ، او أن هناك جمودا فى تحرك الصف كله وجمودا فى تحرك الأفراد او ان

هناك طموحات للصف لا تستطيع ان تحققها القيادة او ان القيادة تفتقد قوة المبادرة فلا تسبق المشكلة قبل وقوعها ولا تبادر لحلها بعد وقوعها ، او أن التربية أو النظرية التنظيمية ليست صحيحة او ان المستجدات لا تأخذ محلها من الدراسة والاعتبار والتحرك ، او ان النبض المركزى من القيادة للأطراف او للأشخاص ضعيف ، او أن القيادات لا تراعى نضج الصف فعندما يكون الصف كله طلابيا فذلك غير الصف الذى يمتلك كبار مثقفين .

واهم شىء هو الثقة بالقائد الأول فاذا تخلخلت الثقة به ولم يستطع ان يتلافى ذلك فاما ان يستقيل او يقال او يحدث الانقسام .

***

خمس سنوات فى السعودية تمت فيها اشياء كثيرة : فقد سقط فيها نظام صلاح جديد على يد حافظ اسد بالحركة التصحيحية ، وتمت فيها كارثة حزيران (يونيه) ، وتمزقت فيها جماعة الاخوان المسلمين ، واصبح وضع سورية اكثر تعقيدا .

القيادات السياسية المكشوفة ، وتأكدت محظورية العمل السياسى ، الا على من كان جزءا من النظام القائم فى سورية والعمل الخفى فى غاية الصعوبة ، واصبح حافظ اسد من امهر اللاعبين فى لعبة الأمم وهذا سيفرض نفسه على الجوار وعلى العالم العربى وعلى العالم برمته ، واحلامنا فى دولة اسلامية رائدة دخلت فى طور التأمل عند الكثيرين .

***

(فصل) فى كارثة ١٩٦٧

حدثت كارثة سنة ١٩٦٧ وانا فى السعودية ، لا شك أن الكارثة أبرزت تفوق دولة اليهود فى اشياء كثيرة ، فهى متفوقة فى نظامها السياسى ونظامها العسكرى وقدراتها السياسية والحركية ، فهل يعكف المسئولون عن مستقبل شعوبهم على دراسة صيغة التفوق التى تحتاجها شعوبهم ؟ .

لقد استطاع اليهود ان يجمعوا بين ديمقراطية ونوع من الاشتراكية ، واستطاعوا أن يجمعوا بين تعدد الأحزاب وانواع من الوحدة كوحدة منظمة الهيستدروت ووحدة البرلمان اليهودى العالمى ، استطاعوا ان يعبئوا طاقة يهود العالم لصالح دولتهم ، وأن يحشدوا وراء هذه الدولة قوى عسكرية وسياسية واعلامية كبيرة ، واستطاعوا ان يأخذوا من تجارب

الأمم احسنها ، واستطاعوا ان يجدوا نظاما للحشد والتعبئة يعتبر متفوقا ، واستطاعوا ان ينجحوا فى الصناعات العسكرية والمدنية .

ان اشياء كثيرة جعلت التفوق الاسرائيلى كاسحا عام ١٩٦٧ ، والمرجو من المفكرين الاسلاميين ان يفكروا فى جملة ما يفكرون فيه كيف يجعلون شعوبهم تسير فى طريق التفوق .

* * *

(فصل) فى التركيب السكانى لسورية

فى أدق احصاء لسورية شكل اهل السنة ٧٣٪ من عدد السكان و ٢٧٪ عدد الأقليات ما بين نصارى ونصيرية ودروز واسماعيليين وعباد الشيطان .

وتجد اهل السنة فيهم اكراد وشركس وعرب ، وفى سورية بدو الاسلام ، فتجد اسماء الآشوريين والكلدانيين والروم ، وتجد نصارى سورية موزعين الى فرق نصرانية كثيرة .

وتجد اهل السنة فيهم اكراد وشراكسة وعرب ، وفى سورية بدو وحضر ، وقد اجتمعت عوامل متعددة على ان تعطى كل مدينة فى سورية طابعها المتميز فى الأخلاق والعادات .

ولهذا تأثير فى بعض الأحيان على المواقف .

وقد استفادت بعض الجهات من التركيب السكانى لسورية الذى كان يشكل الريف جزءا كبيرا منه ، فحاولت ان تعبىء اهل الريف ضد أهل المدن وان تستفيد من التناقضات بين السكان ومن تخوفات بعضهم من بعض ، ومن تناقض العواطف ومن طبائع الناس .

وفى هذا الخضم كان يعمل الاخوان المسلمون بعفوية الى حد كبير ، ونرجح أن جهات كثيرة لم تكن تعمل بعفوية ، فالتركيب السكانى لسورية كان محل رصد من جهات كثيرة منذ القديم يشهد لذلك ما ذكره لورانس فى كتابه « أعمدة الحكمة السبعة » حين تكلم عن الشعب السورى وعن خصائصه ، وخص الطائفة النصيرية بالذكر ووصفها بأنها طائفة لا يخون أفرادها بعضهم بعضا ، فاذا عرفنا هذه الخاصية ، وان العقيدة النصيرية تقوم على الكتمان ، وان النصيرى معتاد على الكتمان ، واذا عرفنا

الانقسامات السياسية والدينية ادركنا كيف ان الطائفة النصيرية على صغرها كانت على التدريج تشكل اقوى عصبية متماسكة فى سورية ، فاذا عرفنا ان هذه الطائفة اما بسبب التخطيط او بسبب الفقر او بسببهما معا بدات تتمركز فى الجيش منذ عهد الاستعمار ، واذا عرفنا ان الجيش فى العالم الثالث هو الذى يحكم بشكل مباشر او بشكل غير مباشر فى الغالب ادركنا لما آل حكم سورية الى النصيرية عبر الواجهات .

***

(فصل) فى الانقسامات السياسية فى سورية

يوجد فى كل مكان انقسامات سياسية تتمثل بتعدد الأحزاب ثم بانقسام هذه الأحزاب على بعضها ، وتشكل هذه الظاهرة فى سورية ظاهرة بارزة .

فالكتلة الوطنية التى قادت الصراع ضد الاستعمار انقسمت على نفسها قسمين : حزب الشعب وقوته فى حلب ، والحزب الوطنى وقوته فى دمشق .

وظهرت أحزاب كثيرة فى سورية : حزب البعث ، والحزب العربى الاشتراكى ، والحزب القومى السورى الاشتراكى ، والحزب التعاونى الاشتراكى ، وظهرت فى عهد اديب الشيشكلى حركة التحرير العربى ، وظهر فى عهد عبد الناصر الاتحاد القومى ، ثم ظهر بعد الانفصال الاتحاد الاشتراكى ، وقد انقسم حزب البعث على نفسه ، وانفصل عنه كثيرون ليشكلوا احزابا كثيرة ، وانقسم الحزب العربى على نفسه ، وانقسم الناصريون على انفسهم فاصبحوا احزابا كثيرة .

كانت هذه الانقسامات كلها تؤثر على وحدة أهل السنة مما استفاد منه النصيريون ، وقد اصاب الاخوان المسلمين من الانقسام ما اصاب غيرهم .

والانقسامات الكبرى فى الاخوان المسلمين ثلاثة : انقسام سنة ١٩٥٤ ، وانقسام سنة ١٩٧٠ ، وانقسام سنة ١٩٨٦ ، وكل انقسام لم يتم الا بعد مخاض طويل ، وكانت العوامل التى تؤدى الى الانقسام متعددة ، مثلا فانقسام سنة ١٩٧٠ كانت من أسبابه المباشرة أن التنظيم كان سريا ، والتنظيم السرى يبقى على وحدة ما دامت القمة متفقة فاذا اختلفت وجد الانقسام ،

واما الاسباب غير المباشرة فهى طبيعة الاحداث المتحركة فى سورية التى تجعل التطلعات كثيرة وكبيرة ومتعددة ، ومن اهم التطلعات التى ساعدت على الانقسام تطلع كثير من الاخوان الى نظرية تنظيمية تناسب الاوضاع فى سورية وتكافؤها ، والتطلع الى نظام ينبثق عن هذه النظرية ، والى مناهج فكرية وتربوية مناسبة ، والى خطة عمل نستهدى بها الجماعـة ، ومع انه ببقاء وحدة الجماعة يمكن ان تتم هذه الامور على التراخى ، ولكن وقع الانقسام ، فتمزق الاخوان سنة ١٩٧٠ الى ثلاث جماعات .

❊ ❊ ❊

(فصل) فى دور القوى الخفية فى توجيه الاحداث فى سورية

ليس هناك تاريخ واضح لدور القوى الخفية فى تاريخ سورية الحديث ، ولكن لا شك ان هناك قوى خفية كانت توجه الاحداث ، يظهر هذا من خلال بعض الكتابات ، ومن خلال التجربة والممارسة ، ولكنا لا نعرف الى اى حد لعبت هذه القوى دورا فى احداث سورية .

لقد ظهر كتاب «لعبة الامم» وكتاب «المخابرات الأمريكية» وكتب كثيرا عما فعله كوهين الجاسوس الاسرائيلى فى سورية ، وكتب فهمى المعرى أمين سر محافل الماسونية فى سورية كتابا معلنا عن الماسونية فى سوريـة وذكر فيه انه يوجد فى سورية ساعة كتابته الكتاب : ثمانية وثمانون محفـلا ماسونيا فى سورية ، ولا شك ان اجهزة المخابرات العالمية كان لها دور فى توجيه الأحداث فى سورية ، ومن ههنا فان الاخوان المسلمين فى سوريـة كانوا يواجهون قوى خفية ،وقوى ظاهرة ، وقوى داخلية ، وقوى خارجية ، وتركيبا معقدا ، وكانوا لا يعرفون الكثير عما يخطط الآخرون ، ولم يكن هذا بمقدورهم ، فلا عجب أن الحركة لم تستطع السيطرة على الأحداث .

❊ ❊ ❊

(فصل) فى استقبال الناس للحركة التصحيحية

رغم أن حافظ اسد كان شريكا فى الحكم منذ٨اذار (مارس) ١٩٦٤ ،وكان هو وزير الدفاع سنة ١٩٦٧ ، فقد استقبل الناس حركته التصحيحية بنوع من الابتهاج لأنها سبقتها ولحقتها شائعات واتفاقات وكان العهد الذى سبقها محسوبا على صلاح جديد ، وكان الناس متألمين من السياسات الداخلية والخارجية والاقتصادية لذلك العهد ، فتامل الناس بعهد جديد تتغير فيـه

سياسات سورية الداخلية والخارجية والاقتصادية ، ومع ان حافظ اسد من الطائفة العلوية ولم يستلم سورية من قبله الا مسلم سنى ، نسوا كل ذلك ٠

حتى ان حماه المشهورة بتدينها استقبلتـه اسـتقبالا رائعـا ، وكان بالامكان وجود شيء من التعقل الا تحدث المواجهة الكبرى بينه وبين الحركة الاسلاميه ، لكن الأمور سارت فى طريق المواجهة مما له قصته الخاصة به ٠

❊ ❊ ❊

(فصل) فى الثلاثة الذين خططوا لانقلاب ٨ آذار (مارس)

فى كتاب « التجربة المرة » لمنيف الرزاز الذى كان الأمين العـام لحزب البعث العربى الاشتراكى ، ذكر ان الثلاثة الذين خططوا لانقـلاب ٨ آذار (مارس) كانوا : محمد عمران ، وصلاح جديد ، وحافظ اسد ٠

اما صلاح جديد فقد كان العقل المفكر لكل المرحلة التى سبقت الحركة التصحيحية ، ثم أنهاه حافظ اسد بالحركة التصحيحية وهو لازال فى السجن حتى الآن سنة (١٩٨٧) ٠

اما محمد عمران فقد قتل فى لبنان وهو يخطط لانقلاب فى سورية ، وعندما كنت فى زنزانتى فى السجن كان فى الزنزانة المقابلة مجموعـة شباب ، وكانوا يحدثوننى ـ فى غفلة عن الحراس ـ ببعض امورهم ، ومما حدثونى به أنهم هم المجموعة التى اغتالت محمد عمران بتكليف من النظام السورى ، ومع ذلك فقد اعتقلوا وحاكمتهم المخابرات السوريـة وحكمت عليهم ٠

❊ ❊ ❊

(فصل) فى أول محاضرة لى فى الهفوف

دعيت لالقاء أول محاضرة لى فى الهفوف فى ثانوية الهفوف فى امسية من امسيات رمضان ، وكان مبنى الثانوية فى أطراف البلدة ، ولم اكن معروفا ، فكان عدد الحضور قليلا ، مما جعل القائمين على الدعوة يرغبون فى تأجيل المحاضرة ، وقد اعتذروا الى بخجل ، فاصررت على أن احاضر بالموجودين ، فحاضرت ودعوت الى محاضرة ثانية فلما جاء موعد المحاضرة الثانية كان عدد الحضور كثيرا ، ومن يومها اصبح الاقبـال على المحاضرات والندوات لا باس به ٠

كان مذهبى ولا يزال ان الداعية الى الله لا يهمه ان يحاضر بواحد أو بمئة الف ، ولا يتغير قلبه اذا كان العدد قليلا او كثيرا لأن مهمته الدعوة الى الله ، وهو جندى عند الله والأمر كله لله ، فهو مستسلم لله فيما يفعله فيه .

ومن الناحية الدعوية ، فان الداعية اذا كان لا يحاضر الا فى الأعداد الكبيرة فانه لن ينجح فى دعوته ، فالمحاضرة فى الأعداد الصغيرة توصل الى المحاضرة فى الأعداد الكثيرة ، والمهم ان يتقبل الله .

* * *

(فصل) فى طموحاتى فى التاليف

صدر كتابى « جند الله ثقافة واخلاقا » حوالى سنة ١٩٧١ ذكرت فيه أن الثقافة المتكاملة للمسلم ينبغى ان يدخل فيها احدى عشرة مادة . والداعية الكامل ينبغى ان ياخذ حظه الكبير من هذه المواد كلها ، ويمكن اختصار هذه المواد بعشر هى :

١ ـ القرآن وعلومه .	٢ ـ السنة وعلومها .
٣ ـ علوم اللغة العربية .	٤ ـ علم اصـول الفقه .
٥ ـ علم العقائد .	٦ ـ علم الفقـــه .
٧ ـ علم الأخلاق .	٨ ـ علم التاريخ الاسلامى .
٩ ـ علم الأصول الثلاثة .	١٠ ـ علم فقه الدعوة .

ولم يزل طموحى ان اؤلف فى هذه المواد العشر ، فليس المهم ان يدل على المادة فقط بل العبرة ان يقدم الشىء المناسب والصحيح فى المـادة .

وقد كتبت سلسلة الأصول الثلاثة ، وكتبت فى فقه الدعوة عدة كتب ، وانجزت الأساس فى التفسير ، والأساس فى السنة وفقهها (تحت الطبع) ، والأساس فى قواعد المعرفة (لا زال قيد الانجاز) ، وهو فى الأصول والمنطق ، وانجزت ثلاثة كتب فى الأخلاق ، وانجزت كتابا يصلح مقدمة للعقائد والفقه ، وذلك كله من فضل الله ، واسال الله ان يتم نعمته .

وكانت السنوات الخمس التى قضيتها فى السعودية فترة مليئة بالخير فى جوانب متعددة ومنها التاليف .

* * *

(فصل) فى قصة نظام للاخوان المسلمين فى سورية

كان للاخوان المسلمين نظام اساسى قديم منذ عهد الدكتور السباعى رحمه الله وكان هذا النظام ملحوظا فيه اول دستور لسورية عام ١٩٤٨ وكان يناسب العهد الديمقراطى لسورية لذلك كان هناك شبه اجماع داخل الجماعة ان الجماعة بحاجة الى نظام ، ثم بعد ان تطورت الأوضاع فى سورية تطورا كبيرا اصبح العمل الاسلامى فى سورية بحاجة الى نوع من الخطة ينطلق على ضوئها الاخوان ، كانت علاقاتنا مع العلماء والصوفية واصناف الدعاة الى الله تسوء شيئا فشيئا ، كانت نشاطاتنا محدودة ، واكثرها يعتمد على الخطابة ، والخطابة تؤدى دورها فى مرحلة ديمقراطية ، وكانت سورية تنتقل من ديكتاتورية عسكرية الى ديموقراطية مائعة الى ديكتاتورية من نوع جديد ، فالحاجـة الى القـدرات التنظيمية فى مثل هذه الأحوال هى الأهم .

ثم ان ما يجرى فى سورية مرتبط الى حد كبير باوضاع الجوار والصراع مع اسرائيل ومرتبط باوضاع عالمية معقدة ، وكل ذلك يقتضى تطويرا مستمرا فى النظرية والتطبيق ، وقد استلم الأستاذ عصام العطار حفظه الله القيادة من الدكتور السباعى بعد مرضه .

وعندما كان الأستاذ عصام العطار مراقبا عاما للاخوان المسلمين فى سورية كلفنى بكتابة نظام ارسلته له حسب الاتفاق على أن يعرض على الاخوة وتجمع الملاحظات حوله ، ثم يصاغ ثم يعقد مؤتمر لمناقشته واقراره ، وبعد شهور جاءتنى رسالة منه أن النظام الذى ارسلته له أرسله الى سورية فمزقه حامله على الطريق وطالبنى ان أرسل نسخة منه الى الداخل ، ولكن الاخوان فى الداخل اتفقوا على صيغة نظام ومع ذلك تم الانقسـام .

كنت مؤمنا ايمانا قطعيا ان العمل الاسلامى فى القرن العشرين يجب ان ينطلق على ضوء قواعد ونظريات متصورة متجددة ، والا فانه سيبقى يدور فى حلقة مفرغة ، وكنت اظن أن هذا الأمر من البدهيات ، ولكن تجربتى المستمرة اقنعتنى ان هذا الموضوع من اكثر الموضوعات تعقيدا ، أو انه من أصعب الأشياء على الاطلاق ، مع أن هذا المليار من المسـلمين فى العالم لا يسعه الا هذا التفكير .

***

(فصل) فى طباعة الكتب

عندما انهيت كتابة الأصول الثلاثة وجند الله فى جزايه ابلغت الأستاذ عصام العطار عنه. ذلك باعتباره المراقب العام ، كان رايه ان هذه الدراسات يمكن أن تكون قسمين : قسما ينشر كاى كتاب والقسم الخاص هو الـذى يحتفظ به للدراسات الاخوانية البحتة .

حاولت مع اكثر من جهة ان تقرا هذه الدراسات لتعطى ملاحظاتها ، اعتذر الجميع ، ما عدا الشيخ وهبى سليمان الغاوجى فقد قرا ما قدمته لـه واعطى ملاحظاته مشكورا .

كان قد طبع من هذه الدراسات على شكل كراسة مقدمة المنهج التى بقيت لسنين طويلة تقرأ بامعان فى حلقات الأسر وكانت من كتابتى كما طبعت بعض كراسات من كتابنا « الله جل جلاله » ووزعت فى مرحلة على بعض الأسر .

جاء احد الاخوان الى الحج ،وكان مكلفا بالعمل فى معسكر تدريبى اعطيته هذه الكتب ، وقلت له اننى لا اريد شيئا من ريعها ، وليخصص ريعها للمشروع الذى أنت بصدده ، وانت حر فى ان تطبع هذه الكتب او تجد ناشرا ، واذا احتجت لمال فبالامكان أن يمول المشروع ههنا نـاس على ان يكونوا شركاء فى الربح ، طبع الأخ كتاب « الله جل جلاله » فلقى رواجا فشجعه ذلك ، ثم طبع كتاب « الرسول صلى الله عليه وسلم » ، ثم كتاب « الاسلام » ، ثم كتاب « جند الله » ولقيت رواجا كبيرا بفضل الله .

* * *

الباب الثامن

من السابعة والثلاثين الى التاسعة والثلاثين
(١٩٧٢ ـ ١٩٧٣م)
من العودة الى سورية حتى دخول السجن

رجعت الى سورية وتابعت انهاء الاعارة للعودة الى التدريس وطالت مدة المعاملة واخيرا عينت مدرسا فى ثانوية المعرة وعينت أم محمد زوجتى فى اعداديات بنات حماة ، ولقد درست العام الدراسى ١٩٧٢ فى المعرة ودرست فى العام اللاحق فيها واعتقلت بسبب احداث الدستور منها .

كان تأثر الطلاب واضحا وتجاوبهم مع الفكر الاسلامى كبيرا ، وهذا أزعج جهات متعددة لأن المعرة محسوبة على الفكر اليسارى ، واكثر طلابها حزبيون .

كنت حريصا على ان اظهر بالمظهر الاسلامى المجرد دون ان اثير أى انتباه لعلاقاتى الاخوانية ولولا احداث الدستور لكان بالامكان ان استمر على وتيرة متصاعدة فى العمل الاسلامى والاخوانى دون ان ينتبه الى ذلك احد .

***

كان مركز حماة فى الظاهر واقفا فى الصراع الاخوانى على الحياد بين دمشق وحلب ولكن عواطف اهله كانت موزعة ، وكان الاحتفاظ بوحدة المركز فى تلك الظروف من اصعب الأمور ، وكان الجنوح الى احد الطرفين يوصل الى كارثة ، وكانت عيون كبار المركز مفتحة على الصغيرة والكبيرة ، والسير الحكيم وحده بعد توفيق الله هو الذى يضبط الأمور وكانت هذه مهمة القيادة .

بعد عودتى من السعودية جرت انتخابات من قبل اهل الحل والعقد فى المركز وهم مجموعة منتخبة بناء على النظام الأساسى الذى تقدمت به قيادة مؤقتة ، ونجحت فى الانتخابات وكانت قيادة مركز حماة خمسة : اربعة منهم من مدرسى التربية الاسلامية .

انطلقنا فى العمل وبدات تظهر ثمرات ذلك طلابيا وعماليا وعسكريا ومثقفين جامعيين وخريجين ، وقد بذلنا جهودا كبيرة حتى سيطر المركز على كل عناصره بمن فى ذلك الطلاب الجامعيون الموجودون فى جامعتى دمشق وحلب ولم يكن ذلك سهلا ٠

تعاملنا مع كل ابناء المركز بروح واحدة مهما كانت عواطفهم على ان تكون طاعتهم النهائية لقرار المركز الجماعى وكانت سياستنا مع كل الطرفين المتنازعين واضحة وحليمة وحازمة وعادلة ومقنعة ، لذلك لم نعط لأحد من داخل المركز او خارجه حجة علينا ٠

* * *

كتبنا تحليلا للاوضاع فى حوالى اربعين صفحة ليطلع عليه الخاصة من مركزنا وتقدمنا لكل من الطرفين بعدد من المشروعات لانهاء الخلاف وكان خلاصة تفكيرنا ما يلى :

١ ـ ان كلا من الطرفين ليس وضعه شرعيا من الناحية النظامية فكل من الطرفين منتخب بناء على نظام لم يقر ولكى يقر النظام فانه يحتاج الى جلسة ذات نصاب خاص ولم يتوافر هذا النصاب حتى تلك اللحظة ٠

٢ ـ ان الاسباب المباشرة للخلاف ليست هى الأهم وانما الأسباب غير المباشرة هى الأهم

حاولنا اكثر من محاولة لاصلاح ذات البين فلم ننجح ٠

استقال احد اخواننا من قيادة المركز فتحرك بعض أصحاب العواطف حركة عنيفة اشاعوا ان المركز يقوده اثنان فقط ، ففجانا الجميع باننا قبلنا ان ندعو اهل الحل والعقد لاجتماع نتقدم فيه باستقالتنا ثم نتفق على سياسة للمركز تنتخب على اثرها قيادة وقد كان ذلك ٠

حضر اهل الحل والعقد وفوجئوا عندما علموا اننا وسعنا القيادة فاصبح يحضر مع القيادة مسئولو القطاعات فكان عدد الذين يناقشون سياسة المركز سبعة ، اطلعنا الموجودين على سياساتنا فوافقوا عليها ، جرى تصويت على هذه السياسة فاقرتها الاكثرية المطلقة بنسبة كبيرة ٠

انتخبت قيادة جديدة كنت احد اعضائها ٠

كان اقوى مشروع للوفاق هو الذى تمت صياغته فى بيت الشيخ مروان حديد رحمه الله ، كان الشيخ مروان رحمه الله حريصا على الوفاق بأى ثمن وكان اذا رأى عنادا من احد الطرفين طالب الطرف الآخر باللين ، وقصة هذا المشروع هى :

جاء وفد يمثل الطرف الدمشقى ، ونزل فى بيت الشيخ مروان ، استدعى الشيخ مروان عددا من كبار المركز ، وكنت احد المدعوين ، فحضرت ، تكلم الجميع وانا ساكت ، وبعد ذلك استاذنت بالكلام وبعد مقدمة طويلة تقدمت بمشروع وافق عليه الجميع ، فوضعناه كتابة ، وأعلنا نحن فى مركز حماه اننا سنقف مع من يقبل هذا المشروع ، هذا مع أن زملاءنا فى مراكز الحياد غائبون وطرف حلب غائب ، تعهد الشيخ مروان حديد بمتابعة طرف دمشق ، وتعهدت ان آتى بموافقة طرف حلب ، كان المشروع يقوم على فكرة بسيطة : هى ان هناك مراكز متفقا على شرعيتها النظامية ، ومراكز هى محل خلاف ، فالمراكز التى هى محل الخلاف يفوض رئيس القيادة المؤقتة باختيار الصيغة التى يراها مناسبة للوصول الى الشرعية النظامية فيها ، وبعد ذلك تجتمع الأطراف فتقر النظام الأساسى ثم تنتخب على أساسه مراقبا عاما جديدا للجماعة فى سورية .

تحركنا بسرعة : سافر الشيخ مروان حديد رحمه الله الى دمشق لمتابعة الأمر ، وسافر احد الاخوة الى رئيس القيادة المؤقتة ، وسافرت الى حلب لأخذ الموافقة ، اعطتنا حلب موافقة خطية ، ووضع رئيس القيادة شرطا بالنسبة لحلب أن يسلم المركز لشخص بعينه ، ورجع الشيخ مروان حديد برفض نهائى من جهة دمشق .

عقدنا اجتماعا لمراكز الحياد ووصلنا الى فكرة المراكز المتفقة ومضمونه أن من قبل قرار مركز الحياد من الطرفين فسنتحد نحن واياه ، ضغطنا على مركز حلب فقبل مبدأ التسليم للشخص المعين .

وهكذا وجدت المراكز المتفقة التى قبلت فيما بعد الحل الذى وضعه الأستاذ حسن الهضيبى رحمه الله لمشكلة سورية فيما بعد .

واجهتنا خلال هذه المرحلة احداث كبيرة ، وتعاملنا مع بعض الأحداث بأن عالجناها علاجا غير مباشر ، وكان أن ادت بنا الأحداث الى السجن بسبب موقفنا من الدستور وها نحن نعرض عليك اهم احداث هذه المرحلة ، وتعاملنا معها :

(فصل) فى موقفنا من انتخابات الادارة المحلية

كان حافظ اسد يريد ان يقدم جديدا ، وان يضفى على حكمه مظهر الديمقراطية ، وكان حريصا أن يجس اتجاهات الرأى العام ، من خلال انتخابات تجريبية ، فاوجد فكرة الادارة المحلية وهو نوع بسيط من انواع الحكم المحلى للمحافظات ، وقد كنا خائفين من هذه التجربة لأنها محاولة لتوريط اكبر قدر ممكن من الناس فى التعامل مع النظام ، ثم هى يمكن أن تكون تمهيدا لانقسام سورية الى عدد من الدويلات ، لقد خشينا ان تكون مقدمة لدولة علوية ودولة درزية ودويلات داخلية فى المستقبل .

وكان الوضع الاخوانى المفكك وقتذاك لا يسمح بموقف موحد على مستوى سورية ، كان قرارنا فى حماة ان نقاطع الانتخابات ، لذلك كان الحماس للانتخابات فاترا فلم ينتخب من مجموع الشعب الا عدد قليل ، اما حمص فقد أسقطت قائمة الحزبين وانجحت قائمة اخرى ، وهكذا كان الموقف من انتخابات الادارة المحلية مؤشرا الى ان اتجاهات الرأى العام ضد النظام .

* * *

(فصل) فى ادارتنا لاحتفالات المولد النبوى قبل الدخول الى السجن

لم يزل المولد النبوى فى سورية مظهرا من المظاهر التى يعبر فيها الشعب السورى عن أصالته الاسلامية وتعلقه برسول الاسلام عليه الصلاة والسلام ، وانه ضد الذين يتنكبون هذا الطريق فيحتج على اهل ذلك بطريق غير مباشر وكان ابلغ احتجاج بواسطة المولد ما جرى فى عهد فرنسا ، ثم كان ذلك فيما بعد ان سيطر النصيريون على سورية ، واخذ هذا الموضوع ذروته فى عام ١٩٧٢ واحس الجميع أن تظاهرات الشعب بالفرحة موجهة بشكل ضمنى ضد النظام ، خاصة وانه قد تقارب الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم مع احتفال النظام بمرور خمسة وعشرين عاما على ميلاد الحزب فعبر الشعب عن ابتهاجه بالمولد النبوى تعبيرا اراد به ان يقول : هذا هو الميلاد الذى نعترف به .

عبرت المحافظات السورية كلها عن هذه المعانى بقوة وكان تعبير حماه وحمص هو التعبير الاقوى .

لم يبق مسجد من مساجد حماة تقريبا الا واقام حفلة للمولد النبوى اجتمع فيها النشيد والكلمات المعبرة المؤثرة .

وكانت هناك حفلات ضخمة فى بعض المساجد الرئيسية ٠

وعمت الاحتفالات قرى حماة كذلك ٠

غطت الزينات الشوارع والأسواق والأحياء والأزقة والبيوت والمدارس ، كان الصغير والكبير فى البلد فرحا مبتهجا ٠

عبر الأولاد عن فرحتهم بأنواع من المسيرات : مسيرات على الدراجات ، مسيرات ابتهاجية ٠ نظمنا أن يكون فى كل مسجد كلمات عقب بعض الصلوات تتحدث عن السيرة وعن الشمائل النبوية ٠

وكانت قيادة الاخوان فى حماة تدفع فى هذا السبيل دون ان يظهر اى فرد منها على الساحة تقريبا ، فانا مثلا لم الق كلمة واحدة وسط هذا الحماس الهائل ٠

تفننت المساجد فى التعبير عن الفرحة،استدعى خطباء من خارج حماة ليتكلموا ، حدث فى أحد المساجد أن طالب امام المسجد وخطيبه : ان تقدم الهدايا للاسلام بهذه المناسبة : الهدية الأولى : ان يعم الحجاب ٠ الهدية الثانية : ان يرسل الناس ابناءهم الى حلقات القرآن فى المسجد ، الهدية الثالثة : ان يكثروا من الخروج مع جماعة الدعوة والتبليغ فى الدعوة الى الله ٠

قرر الشيخ مروان حديد أن يقيم احتفالا فى حيه فى مسجده الصغير وان يلقى فيه بيانا شاملا يتحدث فيه عن موقف الاسلاميين وعن كل ما يجرى حولهم لكن كانت سياسة قيادة مركز حماة تقوم على تعميق الاسلام فى المحافظة وتحويل المتعاطفين الى التنظيم دون ان تظهر على الساحة او تدخل فى مواجهة ، وكان الشيخ مروان يحس بحرارة الحركة فيطمئن ويسلم ، وكان من طبيعته انه لا يسلم الا اذا وجد عملا ، زارته قيادة المركز وطالبته بان يعدل عن قراره فى الحديث عن راى الحركة فى الاحداث ، وان يكون المولد حافلا بالمعانى والتعليقات والانشاد وقد كان ذلك ٠

كانت مناسبة المولد وانتخابات الادارة المحلية ثم احداث الدستور مؤشرات كاملة على توجهات شعبنا ضد النظام وعلى رغبته فى الوصول الى نظام بديل تتوافر فيه شروط معينة ٠

٭٭٭

لقد استطعنا بفضل الله فى هذه المرحلة القصيرة أن نحافظ على وحدة الاخوان المسلمين فى حماة ، وان نخفف من تمزق الاخوان فى سورية الى اقصى حد ممكن ، واستطعنا أن نطور العمل الاخوانى والاسلامى فى محافظة حماة الى ذروة رفيعة ، وحددنا المسار فى امور كثيرة ، واثبتنـا أن القيادة الحكيمة للمسلمين عبر الحركة المستمرة هى الطريق الأمثل لاستخراج الطاقات الاسلامية ، وان العمل الاسلامى عبر نكران الـذات يعطى المردود الأجود فقد كنا فى حماة نعمل سرا ، ولم يكن يبالى احدنا أين موقعه ،وحيثما يمكن ان ينجح احدنا فقد كنا ندفعه للنجاح وندعمه ،وحيثما يمكن أن يفشل احدنا او عندما لا يكون مقبولا فانه كان يتوارى باختيـاره ، كانت مرحلة قصيرة ولكنها ملأى بالتجارب .

***

(فصل) فى أحداث الدستور

لم يزل الاسلاميون فى سورية منذ الاستقلال يصارعون من اجـل دستور اسلامى او دستور يعترف بأن دين الدولة الاسلام ، وكان اشـد أنواع الصراع الذى قام فى اوائل ايام الاستقلال وقد بذل الدكتور السباعى رحمه الله جهودا هائلة ، وفعل ما لا يخطربالبال من تعبئة الجماهير واقامة الحجج والاقناع والانذار ، ولكنه لم يصل الا الى أن دين رئيس الدولة الاسلام وأن الاسلام مصدر من مصادر التشريع وان هدف التعليم ايجـاد جيل مؤمن بالله ، ثم تتابعت الأحداث والانقلابات على سورية .

فلما استلم حافظ اسد عزم على اصدار ما اسماه بالدسـتور الدائم لسورية ، وكان يريد أن يجعله انجازا من انجازاته ، ويركز السلطة فيه بيده بشكل دستورى ، وكان يريد أن يمرر الدستور بنوع من المظاهر الديمقراطية وأن يرضى كل الأطراف ،وكان يأمل من خلال الدستور أن يوجد وضعا جديدا فى سورية .

انجز الدستور مجلس الشعب المؤقت وطرح الدستور على المناقشـة العامة واعلن انه سيصوت عليه من قبل الشعب كله وكان حافظ اسد يخطط لأن تاتيه برقيات التاييد على الدستور من كل جهة .

قرأت الدستور وشعرت بالخطر فالدستور كان علمانيا محضا ، وكان أول محاولة من النظام الحاكم فى سورية ، مبادئه من الاطار الحـزبى

الخاص الى الاطار الدستورى العام ، وكان واضحا ان الدستور سيكون مقدمة لانهاء التعليم الدينى فى البلاد فهدف التعليم فى الدستور ايجاد جيل علمانى ، ومقدمة لانهاء قانون الأحوال الشخصية الاسلامية وهذا كذلك واضح من بنوده ، وتجاهل الدستور دين رئيس الدولة واشار اشارة ما الى ان الاسلام مصدر من مصادر التشريع ، وقيد حرية العبادة بما لا يخل بالنظام ، وجعل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية بيد الرئيس ، فكان واضحا ان سورية مقبلة على مرحلة ديكتاتورية لم نعرفها من قبل ، وان الاسلام سيصفى تصفية تامة ، وان المراة المسلمة لن تعطى اى فرصة للمحافظة على شىء من اسلامها وعفافها ، والحق اقول : انه لولا احداث الدستور لحدث هذا كله ، ولكن احداث الدستور خففت او اجلت او الغت الكثير من هذه التوجهات .

لقد طرح حافظ اسد فيما بعد فكرة تعديل قانون الأحوال الشخصية وفكرة التجنيد الاجبارى للمراة ، كما مرق الحجاب فى شوارع دمشق ، ومنع المتحجبات من دخول المدارس بحجابهن ، ونقل كل من عنده تدين خارج ملاك التعليم ، كل هذا قد تم فيما بعد ولكن الدستور كان المقدمة لهذا كله ، واحداث الدستور هى التى اخرت هذه الاجراءات وخففتها ، كما كانت اول هزة عنيفة لحافظ اسد ، فقد كان حافظ اسد يطمع فى تصاعد مستمر ليرث عبد الناصر فى زعامة العالم العربى ان لم يكن يطمع فى ما هو اكثر من ذلك ، فجاءت احداث الدستور فهزت هذا كله ، فكانت نكسة كبيرة .

وقف الشعب ضد الدستور ، صوتت بعض قطع فى الجيش نفسه ضد الدستور حتى ان نسبة الرافضين للدستور فى سلاح المدفعية كان اكثر من خمسين بالمئة ، قاطع قسم كبير من الشعب التصويت على الدستور ، اثبت الشعب انه حريص على اسلامه ، عرف حافظ اسد ان هذا الاسلام عميق الجذور وان عليه ان يراعيه فى كل تصرف .

لكن هذا كله كلف كاتب هذه السطور غاليا ، فقد كان حافظ اسد مصمما على اعدامه ثم صمم على ان يبقيه مدى الحياة فى السجن ولكن لله مرادا آخر .

ولنبدأ عرض الأحداث :

عندما قرات الدستور وجدت انه لا بد من عمل ، وان هذا العمل يجب ان يكون باسم علماء سورية ، ورأيت ان طوائف كثيرة ستتجاوب مع هذا

التحرك ، فالناصريون والاشتراكيون وحتى مجموعة صلاح جديد وكل الناقمين سيلتقون حول هذا التحرك ، وما دام التحرك باسم العلماء فستظهر الحركة كلها بالمظهر الاسلامى وهذا سيجبر حافظ اسد على تنازلات أو يعطيه درسا للمستقبل فى وجوب مراعاة الاسلام ، ورايت ان علينا نحن الاخوان المسلمين ان نوصل الناس من وراء ستار الى وضع يندفعون فيه دون أن يكون هناك اى ممسك علينا ، وعلى هذا لأساس تحركت وانا اداوم على تدريسى فى المعرة ، وقد سارت الأمور كلها على ما يرام وبالشكل المخطط له ولكن لله مرادا .

***

كان خوف الناس من النظام كبيرا وكان على ان اهتك عقدة الخوف ، وعلماء سورية بطبيعتهم حذرون فكيف بالامكان ان نجمعهم على موقف سياسى موحد ؟ ومن هو الذى يجرؤ على ان يكون هو البادىء ؟ كان الأمر فى غاية الصعوبة ، ولكن كنت استشعر خطورة أن يقول المسلم لدستور حافظ اسد نعم ، كان واضحا لدى ان من يقوم ذلك بعلم يرتد ، والمسلم الذى لا يعلم سيغرر به وسيوقع على ذبح اسلامه وهو لا يعلم ، لذلك صممت على الحركة .

وكان زملائى فى قيادة مركز حماة كلهم اصحاب عقل نظيف . بعد ان قررت العمل كتبت بيانا عاما فى مناقشة الدستور وكتبت صيغة فتوى قصيرة فى شأنه . بين يدى محاولتى اقناع من استطيع اقناعه من العلماء بالتوقيع على هذا وهذا .

والعجيب اننى لم اكد انتهى من ذلك الا وجاءنى احد الشباب يقول لى : ان مجموعة من علماء حلب قد مرت على حماة وطلبت ان يجتمعوا بعلماء حماة وحددوا لذلك وقتا وانهم سافروا الى حمص ليجتمعوا بعلمائها ثم يعودوا ، وانه قد اتصل بالشيخ خالد الشقفة والشيخ عبد الله حلاق رحمهما الله فطلبوا منه ان يدعونى مع آخرين لحضور هذا اللقاء فوعدته ان احضر .

***

كان الشيخ محمد الشامى رحمه الله معروفا عند الجميع ان له صلاته القوية بالنظام ، وكانت فلسفة الرجل تقوم على أساس الخدمة من

خلال الصداقات مع الحاكمين ، والناس فى شانه منقسمون فمنهم من يحسن الظن به على انه لا يفعل ذلك الا لمصلحة اسلامية هى خدمة الناس ومنهم من يسىء الظن بـه .

المهم انه لم تكن هذه القضية خافية على وكنت اشعر ان الشيخ محمـد الشامى قد اعطى ضوءا اخضر لنوع من التحرك بين المشايخ للمطالبة بشىء مـا .

كنت اشعر ان الشامى يتحرك ضمن حد وبضوء اخضر من الدولـة وقررت ان استفيد من ذلك ثم اندفع بعملية خاطفة لتحقيق ما اريد متجاوزا الحـد الذى يريد .

وكان من المهم عندى ان يبدا احد العلماء بالتوقيع الأول ولم يكن فى سورية اجرا من الشيخ محمد النبهان رحمه الله فى حلب وكان الشيخ الشامى هو مفتاح الشيخ محمد النبهان .

***

حضرت مساءا وفى نفسى ان اوجه الأمور بالشكل الذى خططت له .

حضر شيوخ حماة مساء وتاخر شيوخ حلب فى حمص ، تذاكرنا مـع شيوخنا بخطورة الدستور وضرورة ان نفعل شيئا ما ، حللت الوضـع السياسى امامهم ومناسبته للتحرك ، وبقيت ضمن هذه الحدود ، تأخر وفد حلب كثيرا ، انتظرهم شيوخنا فترة طويلة ثم ملوا ، رغبوا ان ينصرفوا اعلنت اننى على استعداد للبقاء منتظرا الآخرين ، سر الشيوخ لذلك ، وانصرفوا على ان ابلغهم ماذا عند الآخرين ، سررت لانصرافهم لأن هـذا يعطينى حرية الكلام باسم شيوخ حماة ويجعلنى اكثر حرية فى النقاش .

جاء الوفد الحلبى ، لم يكد الوفد يسمع آرائى ووجهة نظرى حتى اقترحوا ان اسافر معهم الى حلب لعرض وجهة نظـرى على شيوخهـا واخبرونى ان هناك اجتماعا فى حلب لمثل هذا ، استجبت للعرض مباشرة وركبت فى سيارتهم وتوجهنا الى حلب .

ووصلنا الى المسجد ، كان الاجتماع منفضا الا من قلة كان احدهم الشيخ محمد الشامى ، ذاكرتهم فى الأمر ، عرضت وجهة نظرى فى اخراج بيان وفتوى ، اعطيتهم نسخة البيان والفتوى اللذين كتبتهما ، طلبت من الشيخ الشامى ان يوقعها من شيوخ حلب ، ثم يرسلها الينا فى حماة لنعمل على توقيعها من شيوخ حماة ثم ننطلق الى حمص فدمشق فوافق على ذلك .

رجعت مباشرة الى حماة وفى اليوم التالى كنت فى مدرستى ادرس فى المعرة ، اجتمعت بقيادة المركز فى حماة وحدثتهم عن وجهة نظرى فوافقوا على المنحى العام للعمل .

تاخر جواب شيوخ حلب عدة ايام ثم جاء احدهم ومعه الفتوى والبيان موقعين من حوالى ثلاثة عشر شيخا هم اكابر شيوخ حلب وكان الذى جراهم على التوقيع هو اسم الشيخ محمد النبهان عندما رأوه على البيان والفتوى، كان ذلك بتاثير الشيخ الشامى وقناعة من الشيخ النبهان رحمة الله عليه بضرورة العمل ضد النظـام .

كان ذلك نجاحا فوق ما كنت اتصور ، كتمت عن كل الناس ان البيان والفتوى كانا من كتابتى .

* * *

كنت اعلمت شيوخ حماة بالحديث الذى جرى بينى وبين وفد حلب وان هناك وجهة نظر ترى ان يصدر العلماء بيانا ،وبقى علماء حماةينتظرون الجواب فلما جاء الجواب دعونا لاجتماع ، قرا المجتمعون البيان والفتوى فوجدوهما شديدين ، فقرروا ان يكتبوا بيانا الين لهجة ويوقعوه وان يتركوا للشيخ حسن حبنكة رحمه الله فى النهاية حق وضع الصيغة النهائية للبيان وذلك من باب الادب مع الشيخ حسن وكنت حريصا على ان يصاغ البيـان وان يوقع مهما كانت الصيغة لينة .

وكتب البيان وبدأ الشيخ خالد الشقفة رحمه الله فوقع وكان هو رئيس جمعية العلماء فى حماة وقال وهو يوقع : سيعيد التاريخ نفسه فكما انه حكم على ثلاثة من علماء حماة فى آواخر الدولة العثمانية بالاعدام فسيحكم على بعض علماء حماة بالاعدام من جديد ، ثم تتابع من وقع من العلماء على التوقيع ، وقد راى الشيوخ الا يوقع على البيان الاخوان حتى لا يأخذ طابعا اخوانيا وكان هذا ما نريد ولذلك لم اوقع على البيان مع اعلان استعدادى واخوانى للتوقيع .

كلف احد الشيوخ ان يذهب الى حمص ومعه صيغة البيانين الحلبى والحموى ليعرضهما على شيوخ حمص وكان راى شيوخ حمص ان بيان حلب شديد وبيان حماة لين والحكمة الوسط ، وقرروا ان يكتبوا بيانا بين بين ويوقعوه ، ومبدئيا اتفق على توقيعه حوالى خمسة عشر عالما من حمص وبذلك نكون قد حصلنا توقيعات علماء حلب وحماة وحمص ، وكنا دائما نطرح فكـرة

ان الصياغة النهائية يجب ان تكون للشيخ حسن وكل ذلك قبل أن نلقى الشيخ رحمه الله ٠

❊ ❊ ❊

البيـــان رقم ١

وفى هذه الاجواء قررت قيادة مركز حماة ان تقوم بخطوة سرية تدفع نحو الأمام ، وتشجع الناس ، وتشعر الشيوخ انهم ليسوا وحدهم فى الميدان، وتلفت نظر الدولة الى ان هناك قوى جديدة ستتحرك بعنف ، وقد حققنـا هذا كله من خلال بيان اسميناه بيان رقم واحد اعتقد انه اقوى بيـان ظهر فى سورية مدة حكم حافظ أسد ٠

كان البيان مناقشة مركزة لكل اوضاع سورية وقد حرصنا ان يمثـل وجهات النظر السياسية التى يتجاوب معها الشعب مما جعل كل فئة تظن أن قياداتها أصدرته بشكل سرى وقد وزعناه بالبريد من اكثر من مكان فى سورية كما وضعه اخواننا فى صناديق بريد البيوت وكان ذلك فى وقـت واحد فلم تشعر السلطة الا والبيان موزع على قطاعات كبيرة ، وبدأ الناس يقرأون البيان ويتجاوبون ، وكثيرون من الناس بداوا ينسخونه ويعممونه ٠ وبدات تعليقات كثيرة تظهر ونسمعها ونتجاهل قال الشيخ الشامى : ظهـر بيان مثل السم الناقع وقد استدعتنى المخابرات وسألتنى عنه ٠ قـال الشيخ عبد الله الحلاق : لقد دخلت قوى جديدة الى الساحة ٠ قال بعض الاخوان : انظروا ماذا فعل جماعة اكرم الحورانى انهم بهذا البيان فعلوا اكثر مما فعله الاخوان دون أن يمسهم اذى ٠ سألنى فيما بعد أثناء التحقيق ناجى جميل عن البيان رقم واحد ، فقلت له : أى بيان ؟ فتجاهل السؤال وطوى الموضوع وبقى سر هذا البيان مطويا الى مد بعيد ٠

❊ ❊ ❊

خطب الجمعة قبيل احداث الدستور

وزعنا بيان علماء حماة على خطباء الجمعة مطالبين باسم جمعية العلماء أن يشير الخطيب الى الدستور مهما كانت الاشارة صغيرة ، وكان الهدف من هذا هو ان يالف الناس الهجوم على الدستور فتهتك بذلك عقدة الخوف عند الناس ، تكلم الخطباء فاصبح جو حماة مشحونا ولم تعد المدينة بحاجة الا الى دفعة حتى تنفجر ، وههنا تحمس الاشتراكيون واشاعوا ان يوم الثلاثاء يوم اضراب ، وكان هذا الذى نريد ، أن يتخذ قرار الحركة غيرنا

ليشاركنا فى تحمل المسئولية ، تحمس الناصريون واصدروا بيانا وهكذا بدأت الأمور تتوالى بالشكل الذى نريده .

***

سافرنا الى دمشق ومررنا على حمص ، وهناك حضرنا لقاء لمجموعة من العلماء فى مقر الجمعية بحمص اعلمناهم اننا ذاهبون للشيخ حسن ، اخبرونا ان ما يقوله الشيخ حسن فهم معه ، اعلمونا أن هناك خمسة عشر عالما موافقون على التوقيع ، اعطونا نسخة من بيانهم ، تابعنا طريقنا الى دمشق ، بدانا مع احد اشياخها واطلعناه على مهمتنا واخذناه معنا وذهبنا الى شيخ آخر واطلعناه على مجريات الأمور فاعلمنا انه شريكنا ، قلنا له : اننا ذاهبون الى الشيخ حسن وسيسالنا عن رايك فماذا نقول ؟ قال : قولوا له : اننى أرى العمل .

ذهبنا نحن وعدد من الأشياخ الى الشيخ حسن فاستقبلنا استقبالا حارا ، وبدأ حديث وحوار من اصعب انواع الحوار ، فلقد كان الشيخ حسن فى وزن الجبال ورزانتها ، مع علم ووقار وبيان وحنكة وتجربة وقوة شخصية ، كان الكبار والصغار والحاكمون والمحكومون عنده تلاميذ .

واخيرا وافق على العمل ، درس البيانات الثلاثة ، رجح بيان حماة بعدان اجرى عليه ثلاثة تعديلات ووعدنا اذا وافق علماء سورية على البيان فى صيغته النهائية ان يقدم لنا سبعين توقيعا ، ومن قبل كنا قد مررنا على الشيخ عبد الكريم الرفاعى فقال : ما يقوله الشيخ حسن فأنا أقوله ، وهكذا ضمنا توقيعات كل علماء سورية على بيان مشترك واظن انه لأول مرة فى تاريخ سورية الحديث يقف علماؤها فى كل المحافظات موقفا سياسيا مشتركا فيه مواجهة ، رجعنا من دمشق فى الليلة نفسها وفى صبيحة اليوم التالى كنت فى ثانوية المعرة ادرس وكأن شيئا لم يكن .

***

كان قرار الوصول الى المراكز المتفقة حديثا ، ولذلك لم تكن هناك جهة عليا مركزية تستشيرها قيادة حماة فى تصرفاتها ، ومع ذلك فقد كان هناك لقاء قد يكون اللقاء الأول لمجلس شورى المراكز المتفقة وكان موعد اللقاء فى حلب ، حضرت انا واحد اعضاء القيادة هذا اللقاء ، تغيب عنه بعض الاخوة ، أطلعنا الموجودين على خطواتنا ، لم يبدوا اعتراضا لكنهم حذروا من الشيخ الشامى .

***

في يوم الثلاثاء وهو موعد الاضراب ذهبت الى حلب واطلعت الشيخ الشامي على ما جرى معنا ، وههنا أعلمنا ان حافظ اسد قد أصدر بيانا مطولا يتحدث عن الاسلام ويعلن عن انه يطلب من مجلس الشعب ان يدخل مادة في الدستور تنص على ان دين رئيس الدولة الاسلام ، وكان الشامي يتكلم بصوت مرتفع ظننت أنه يسجله ليعرضه على بعض الجهات ليحمي نفسه وابلغنا الشامي انه يرى أن نكتفي بهذا الانتصار ، وتكلمت بصوت منخفض حول ضرورة اخراج البيان واتفقنا على ذلك ورجعت الى حماة ، وكان فيما جرى فيها سر البيان الذي أصدره حافظ اسد .

❋❋❋

لقد خرج طلاب حماة في مظاهرات عنيفة وهم يهتفون : لا دراسة ولا تدريس حتى يسلم الرئيس ، ومزقوا صور حافظ اسد ، وأهانوها بأبشع الاهانات ، كان ذلك يوم ثلاثاء ، وكان اخطر من ذلك ما جرى في حماة يوم الأربعاء ، لقد خرجت البلد عن بكرة ابيها ، هاجمت مركز الحزب واحرقت مركز شبيبة الثورة ، واحاطت بالاتحاد النسائي وسيطر الشعب على الشارع ، وحطم الخمارات والمقاهي التي تقدم الخمر وكان في المدينة مقهى يرتاده بعض الفجار على «المعاصي» اسمه مقهى الغزالة ،دمره الناس تدميرا وبقي الشعب آخذا حريته كاملة دون اي معارضة ، وكادت السلطة في دمشق نتيجة للبيان رقم (١) تظن ان قطعا عسكرية ستتحرك ، ولذلك لم تفعل شيئا ضد الشعب في حماة ، فتفرق الناس وهم فرحون بانتصارهم، نزل رذاذ نظيف لطيف على المدينة احس الناس به ان الله راض عنهم بما فعلوا .

خشي حافظ اسد ان يسري ما جرى في حماة الى بقية المحافظات فاصدر بيانه سريعا وعممه على القرى والمدن والمخافر وبدات أجهزة الدولة تطنطن بالبيان وتستدعي الناس من اجل الاطلاع عليه واخذ توقيعاتهم على تأييده .

ونتيجة لاضراب حماة واحتمالات متابعتها الاضراب خشيت ان تحاصر حماة فتنقطع عن بقية المحافظات فارسلت الى احد اشياخ حمص رسالة أعلمه بها بما حدث وان الاشتراكيين والناصريين فجروا الوضع في حماة ، وقد أصبح من المصلحة ان تصدر البيان فالرجاء ارسال أسماء العلماء الذين وقعوا عليه فارسل لي حوالي ثلاثة وعشرين اسما .

استدعيت احد الاخوان وكلفته ان يطبع لى البيان على ورقة حرير ويضع عليه توقيعات علماء حلب وحماة وحمص والشيخ حسن رحمه الله .

ولقد نسخنا هذا البيان على قطعة خشبية يصنعها الطلاب كنوع من انواع النشاط المدرسى ، ووزعنا البيان فى حماة وارسلنا منه نسخا الى حلب وحمص ودمشق ، استطاع طلابنا الجامعيون الحمويون فى دمشق ان يوزعوه ويعمموه فى دمشق اربع مرات خلال اربع وعشرين ساعة دون ان يعتقل واحد منهم ، لقد انشاوا جهاز عمل مصغر لكنه قوى وفعال استطاع ان يفعل الكثير .

قال احد اخواننا الدمشقيين لاحد هؤلاء : ان ما يجرى الآن لا يستطيعه الا المخابرات الأمريكية . وبقى الأخ صامتا .

***

تهيج الوضع فى دمشق ، خطب كثير من خطباء الجمعة ضد الدستور ، قرا الكثيرون البيان على المنابر ، سئل الشيخ حسن عما اذا كان توقيعه صحيحا على البيان ، كان الجواب غامضا لا تدينه به الدولة فشعر الناس ان له علاقة فى الأمر .

كانت رجل ابنتى فاطمة تحتاج الى علاج على اثر حادثة بسيطة ، اخذتها للعلاج الى دمشق .

وهناك فكرنا فى ان نجعل دمشق تضرب ، وخططنا لذلك ، ولكن علقنا هذا على حدث كبير كان يعتقل الشيخ حسن حبنكة مثلا .

كنت حريصا على الا انقطع عن مدرستى بلا عذر ، لاننى كنت اطمع ان تمر المسالة دون أضرار كبيرة طمعا فى ان استطيع الاستمرار فى العمل الجهرى وكان بالامكان ان يحدث هذا فعلا ، لكن سارت الأمور فى طريق آخر .

اعتقل من علماء سورية احدهم وكان اخوانيا لان اسمه كان فى البيان ، وكان واضحا انه اصبح بالامكان ان اوتى من اكثر من جهة ، قررت ان يكون ٥ آذار (مارس) ١٩٧٣ آخر يوم عندى فى التدريس فاصفى امورى فى الثانوية من اعطاء اوراق وعلامات وغير ذلك ثم اتوجه منها الى حلب ، لكن جاء امر اعتقالى وانا فى التدريس ومع ذلك كنت مطمئنا الى اننى استطيع الخروج من المأزق لان دورى فى الاحداث كان سهلا فى الظاهر والمآخذ على قليلة ، لكن الاعتقال جر الى اعتقال واخذت المسالة طابعا

آخر وكان حافظ اسد يريد ان يرهب الناس وهكذا دخلت محنة السجن الطويل الذى استمر حوالى خمسة سنوات كان ذلك من ٥ آذار (مارس) ١٩٧٣ الى نهاية كانون الثانى (يناير) سنة ١٩٧٨ .

***

(فصل) فى طريقتى فى العمل الدعوى

انى اومن انه لا بد من التفكير الاستراتيجى للعمل الاسلامى الذى يقتضى حركة يومية على ضوء تدبر النتائج ، فاذا توفرت النظرةالاستراتيجية فانى اومن أنه لا يصح للداعية ان تمر عليه دقيقة الا فى عمل دعوى ، والا يترك فرصة يخدم فيها دعوته الا ويفعل ، والا يترك فرصة تمر يستطيع فيها ان يوصل الاسلام الى مواقع متقدمة الا وعليه ان يستفيد منها ، وهذا الأسلوب المتحرك الذى اصبح جزءا من طبيعتى جعل الكثيرين من اخوانى يتهيبون من مواقفى ومن آرائى وهم معذورون ، فما اصاب الحركة الاسلامية يجعل القائمين عليها اقرب الى الاناة والحذر ، فاخوانى معذورون وارجو ان اكون معذورا ، واسال الله ان يتقبلنا جميعا .

***

الباب التاسع

من التاسعة والثلاثين الى الثالثة والاربعين
(١٩٧٣ ـ ١٩٧٨ م : السجن)

كان هناك اكثر من منفذ للسلطة على نستطيع من خلاله ان تعرف اننى متحرك ضد الدستور ، فاى عمل عام لا يخفى على سلطة حذرة ذات اجهزة مخابرات نامية ، لكن السلطة تظاهرت بانها مستعدة لسماع الراى فى الدستور ، وكانت تصرفاتى ضمن حدود واقوالى ضمن حدود والمطـالب التى اتفقنا مع الشيخ حسن رحمه الله عليها محدودة ، ووجيهة وقد حرصنا ان تكون ذات طابع دينى بحت ، كان البحث عنى من قبل السلطة مركزا مما يدل على انه قد بلغت السلطة معلومات عنى ، فاعتقلتنى مخابرات « ادلب » فى المعرة ثم نقلت الى ادلب ثم الى حلب ثم الى دمشق فى مبنى مخابرات الحلبونى فقضيت فيه ساعات تعرفت بهـا على بعض المعتقلين ثم نقلت الى سجن المزة العسكرى وبقيت فيه حتى خرجت منه .

لم تكن عندى تجربة سابقة بالتحقيق المخابراتى ، فى الوقت الذى اصبح فيه التحقيق المخابراتى يمتلك من التجارب والقدرات والوسـائل والامـكانات وطـرائق التعـذيب والارهـــاب والضغط النفسى والتاثير الفيزيولوجى على الاعصاب بالادوية والتحكم مما يجعل اسير المخابرات فى بلد لا يابه بدستور وقانون يدخل فى عذاب هائل .

ان مجموعة من الوحوش والافاعى والعقارب تهاجم انسانا لا تفعل الا بعض ما يفعله وحوش المخابرات الذين تتفتق اذهانهم عما هو اكثر الـمـا فى وضع لا حماية فيه للضحية لا من قانون ولا من دستور .

وكنموذج على عدم حماية الدستور للانسان فى بعض الانظمة ما حدث لى ، فحافظ اسد يعتقلنى لاننى طالبت بذكر بعض المواد فى دستور ينص على انه يمنع التعذيب الجسدى ، فها انا اعذب جسديا ، وقد تم التصويت على الدستور فى الايام الاولى للتحقيق وعرضوا على ان ادلى بصوتـى فرفضت ، وبعد ان تم التصويت على الدستور واصبح مقرا قلت للمحققين

فى احدى جلسات التحقيق : انكم تحاسبوننى على موقفى من الدستور ، وهذا يقتضى انكم مؤمنون بالدستور ايمانا مطلقا ، والدستور ينص على منع التعذيب الجسدى ، فالمفروض ان يتم التحقيق بلا تعذيب ، فما كان من بعضهم الا ان سب الدستور ، ثم زادوا الضغط على ليقنعونى أن الدستور لا يعطينى أى حماية .

لم تكن لى تجربة مع التحقيق لكن ثقافتنا كانت نامية فيه بسبب كثرة الاعتقالات فى صفوفنا . لذلك كنا متفقين سلفا مع اخواننا العاملين فى مركز حماة عماذا نتكلم لو حدث اعتقال بحيث يكون كلامنا متطابقا ونقتصر على الحد الأدنى من الكلام الذى لا يسبب ضررا للمعتقلين ولا يؤدى الى كشف التنظيم ، ومع ان مثل هذه القضايا اصبحت لا تفيد فى سورية لكنها بفضل الله وستره افادتنا يومذاك ومر اعتقالنا واعتقال اخواننا والضرر قليل وقد حفظ التنظيم الى حد كبير .

بقيت فى السجن خمس سنوات ، قضيت فيها فى الزنزانات الانفرادية حوالى سبعة أشهر ونيفا ، نصفها منفردا ، ونصفها الآخر مع ضابط دمشقى كان من مجموعة الضباط الأحرار الذين خططوا لأحد الانقلابات وكشف امرهم .

قضيت فترة ما بعد الزنزانة فى عدد من المهاجع :

مهجعين ضما اخوانا مسلمين وناصريين فى الغالب ، ومهجعا ضم اخوانا مسلمين وبعثيين قوميين وفيهم مجموعة ضباط كانت تخطط لعمل فكشف امرها .

والمهجع الأخير ضمنى مع مجموعة الشيخ مروان حديد رحمه الله وكان معنا آخرون .

والسنوات الخمس قضيتها فى سجن المزة العسكرى ، وقد كان مديره ابتداءا « رسمى العيد » وهو نصرانى ، ثم جاء بعده « بهجت الصالح » وهو نصيرى وقد خرجت من السجن فى عهده ، وكان سجن المزة العسكرى يتبع من الناحية الادارية شرطة الجيش ، وكان على راس شرطة الجيش الى امد طويل « العميد على مدنى » ثم اصبح مسئولا عن احد اجهزة المخابرات ، وهو حموى من حينا وجمعتنا مع بعض سنى الدراسة فى المرحلتين الاعدادية والثانوية ، لذلك فهو يعرف عن مرحلة صباى الكثير ويعرف حماسى للاخوان المسلمين وانا شاب .

❋ ❋ ❋

كانت محنة السجن من اعظم منح العناية الربانية ، فقد انجزت فيها من المؤلفات ما لم اكن لانجزه لولا السجن ، واغنت تجربتى ، وعمقت ايمانى ، واعطتنى دروسا كثيرة ، وطورت مفاهيمى السياسية كثيرا من خلال التماس والحوار مع كل شرائح العاملين فى الحقل السياسى فى سورية ، لكن كان هناك شيء واحد يقلقنى ، أن الضربة اتت صفنا فى وقت مبكر ، وان المراكز المتفقة كانت فى اول نشأتها فكنت قلقا على مصيرها ، ولكن الله تولاها ، فلما خرجت من السجن كانت من القوة بمكان ، وكانت اصعب مراحل السجن مرحلة التحقيق والزنزانة ، وهذا كلام مختصر عنها :

استمر التحقيق معى اكثر من اربعين يوما ، والتحقيق فى سجون الظلمة من اصعب ما يواجه الانسان فى حياته وخاصة اذا كانت علاقاته واسعة او مرتبطا بتنظيم ، فكل كلمة يمكن ان تجر كارثة على انسان او اسرة او مجموعة او جماعة على مستوى القطر كله وعلى مستوى الداخل والخارج ، ولقد اعتبر فقهاء الحنفية ان من الاكراه الملجىء سجون الظلمة فهى كالقتل او كقطع الأعضاء تبيح للانسان أن يقول ما لا يجوز .

كان همى فى الابتداء الا اعترف بشىء عن اى شيء مهما كلف الأمر ، وبقيت مصرا على موقفى حتى اتوا باحد الأشياخ من وراء الباب ووجهوا له اسئلة واجاب عليها فعرفت انه قد اسقط فى يدى وانه لا بد من الاعتراف بشىء حول التحرك ضد الدستور ، وصممت الا اتجاوز ذلك الى غيره وكان ذلك ، واستطعت ان ابقى فى هذه الدائرة بفضل الله لكنى تحملت مسئولية التحرك ضد الدستور كاملة بمفردى ولكن اعتقال احد الاخوان ـ من دير الزور وهو يسكن حماة ـ كشف عن بعض التنظيم الاخوانى فى حماة ، فكتب كما روى لى مرافقه فى الزنزانة حوالى اربعين صفحة ، وكانت حجته انى اعترفت عليه ولم يكن شيء من ذلك ، فلما فوجئت بذلك وفوجئت بذكر عدد من الأسماء الذين هم فى مركز المسئولية وانهم قد اعتقلوا وجدت ان الأمر اتسع واصبح يحتاج الى تصرف حكيم ، قررت ان اتحدث بالقدر الذى يحصر الدائرة فى حماة ولا يتجاوزها خارج حماة وقد كان ذلك .

لقد استطاع المعتقلون الحمويون أن يتحدثوا ضمن المتفق عليه وضمن ما توقعوه انه مكشوف فاحسنوا التصرف وتحملوا العذاب فلم يكشف من

تنظيمنا الحموى الا قليلا ، ولكن اثنين من الاخوة احدهما حموى والآخر غير حموى أوجدا خرقا على اخواننا خارج حماة فتوسعت الدائرة .

كانت السلطة قد اعتقلت قبلى احد الأشياخ ووضعته فى ظروف قاسية كما اخبرنى بعض من شاهدوا تعذيبه ، وكان الشيخ يعرف اسرار الجماعة تفصيلا ، وتحت التعذيب الشديد اعطاهم رؤوس خيوط سواء بالنسبة لقضية الدستور او بالنسبة للاخوان المسلمين ، وقد تحرك علماء سورية بسرعة لمناقشة حافظ اسد فى الدستور وللمطالبة بالشيخ المشار اليه . ولكن الجلسة استمرت ساعات دون طائل كان حافظ اسد هو المتكلم الوحيد تقريبا ، وكان جو الارهاب مسيطرا على الجميع لذلك لم يخرجوا بفائدة من اللقاء .

المهم ان راس الخيط كان بايديهم قبل اعتقالى ، ولقد كنت مصمما على الموت على ان يحدث خرق من قبلى ولكن عندما يحدث الخرق يجد الانسان نفسه مضطرا للتعامل معه بقدر لانه لا فائدة ترجى فى تلك الحالة من التصلب ولقد كانت سياستى اثناء الاعتقال انه اذا وجد خرق وكان باستطاعتى ان اخفف من آثاره او ان اوجهه وجهة تصرف النظر عن جهته فعلى ان افعل .

كان مركز حماة يرتبط به المئات من كل اصناف الناس فخرجوا نتيجة التحقيق اننا فى حماة لا شىء ، واننا مبتدئون بالعمل وانه لا علاقة لنا باحد فى خارج حماة ، فلما حدث الخرق خارج حماة تكلمت بما اشعرتهم فيه ان وضع الاخوان المسلمين اتفه من ان يفكر فيه وان تمزقاتهم تجعلهم لا يفكرون بشىء وانه لا شىء من الناحية التنظيمية الا بدايات لا تساوى شيئا وقد اعطى ذلك للمعتقلين فرصا وخفف من حدة التعذيب والعقوبة ، لذلك انتهت ازمة بعضهم بعد شهور فافرج عنهم وانتهت ازمتهم جميعا بعد سنتين ، والوحيد الذى بقى فى السجن بسبب احداث الدستور هو الفقير فقد قضيت كما ذكرت حوالى خمس سنين .

لقد تعاون على التحقيق معى ناجى جميل وحكمت الشهابى وعدنان الدباغ وعلى دوبا وعلى مدنى ورسمى العيد ومحمد الخولى وغيرهم ، وقد كان انطباعهم الأول اننى انسان متزمت غرر بى محمد الشامى واننى انسان عادى ، ثم تطور التصور فاحسوا انهم امام انسان قدراته الحركية واسعة ، ثم تطور التصور عندما بداوا فى دراسة كتبى وخاصة «جند الله» ، ثم تطور التصور عندما اعتقل بعض الاخـوان .

لقد كان استمرار التحقيق مع المعتقلين يعطى عنى تصورا متغيرا حتى وصل الأمر الى ان حافظ اسد صار يعتبر اعدامى بدهية ثم تنازل فقرر ابقائى فى السجن مدى الحياة ، ثم لظروف انتخابه لفترة رئاسته الثانية افرج عنى .

استطعت أنا واخوانى فى حماة ان نؤكد اننا لا نشكل خطرا ، واننا مبتدئون بالعمل التنظيمى داخل حماة وان اقصى ما يمكن ان يصل اليه عدد الاخوان المسلمين فى حماة حوالى خمسة وعشرين أخا ، بينما كان يرتبط بمركز حماة ما لا يقل عن ثلاثمائة اخ جامعى ، وكان يرتبط بالمركز مئات الطلاب الثانويين والاعداديين ، وكان يرتبط بالمركز اعداد جيدة من الخريجين والمعلمين والعمال ، وجاءت مصادفة كان لها تاثيرها على تفكير أجهزة أمن الدولة الى سنوات ، ولقد حاولت ان استغلها الى اقصى حد :

اعتقل اخ لبنانى متدين ومتحمس وكان يتردد على حماة كثيرا وله صلة بالاخوان وبالعلماء ، وقد جاءنى مرة يروى لى تصرفا قام به الشيخ مروان ومجموعة من الاخوان ، فقد ذهبوا الى مفتى حماة الشيخ بشير المراد وتحدثوا معه بشىء من الخشونة وكان رده طيبا ، فذكرت للشيخ المشار اليه أن مثل هذه التصرفات تؤثر على توجهاتنا ، وان مخططنا فى الحركة على حسب اجتهاد الأستاذ البنا غير ذلك ، فعندما اعتقل الشيخ ذكر هذه التفصيلات امام المحققين ففتحت على بابا صعبا من ناحية ونفعتنا من ناحية ، فقد استقر فى اذهان المحققين بسبب ذلك انه لا علاقة لى مع الشيخ مروان واولوها بان بيننا تنافسا على الزعامة ، ولكنهم بداوا يركزون ويسالون عن تفصيل مخططنا ، فاصررت على انه لا توجه عندنا الا نحو العلم والدعوة ، وان من يقول غير ذلك كذاب ، واجهونى بالشيخ المشار اليه فاصررت على ذلك واسمعته كلامى بدقة وبسرعة ، فهم منحى كلامى ، ويبدو انه بعد أن اخرجونى تكلم بنفس الروح التى تكلمت بها وانتهت الأزمة ، لكن خرجوا بانطباع ان الاخوان المسلمين ليسوا جميعا على نفس واحد فى المواجهة .

***

كشف الشيخ السورى الذى اعتقل قبلى اننى ارسلت له رسالة ثم ارسلت له البيان الذى فيه توقيعات العلماء ، وهذا افاد من ناحية واضر من ناحية اخرى ، كنت ذكرت له فى الرسالة ان الاشتراكيين والناصريين

هم الذين قاموا بالحركة فى حماة وكنت صادقا فى ذلك ، وهذا القـدر افاد كثيرا ، فانهم صدقوه لانه رسالة من شيخ الى شيخ قبل الاعتقال فلا مجال للتهمة ، ولكن من ناحية اخرى اثبت ان لى علاقة فى العمـل وفى البيان ، فلم يكن امامى الا ان اتحمل مسئولية البيان ، ولمـا عرفوا ان البيان نسخ بين خشبتين ادركوا ان الامر سهل وانه فى منتهى البساطة ، فلقد كانوا قبل ذلك يسالوننى عن التمويل والتسليح والاتصالات بـين القوى السياسية فى البلد ثم سكتوا عن هذا كله .

كانت زنزانتى الزنزانة رقم ٨ داخلية وهى مشرفة على مدخل السجن ، ولقد وضعونى بها فيما يبدو لاكون تحت الاشراف المباشر لادارة السجن فلا اتصل باحد ، لكن كنت استطيع من خلالها ان ارى القادمين الجدد الى سجن المزة ، وفى اليوم المخصص للحمام كنت استطيع ان ارى كل نزلاء السجن ولكن ادارة السجن كانت تراقبنى ولا تسمح لى بالوقوف حيث استطيع الرؤية .

من العادة فى السجون ان يعطوا السجين فرصة للتنفس خارج زنزانته او مهجعه ، بقيت حوالى شهرين دون ان اعطى هذا الحق ، وبعد ذلك صاروا يخرجوننى تحت المراقبة الشديدة وبعد اخـلاء منطقة التنفس حتى لا ارى احدا ولا يرانى احد ، وكانت المدة المخصصة لى دقائق معدودات .

من المعلوم ان السجن الانفرادى من اشق انواع السجون ولكن الله خففه على بالصلاة وتلاوة القرآن .

اذنوا لى بعد فترة من التحقيق ان آخذ مصحفى وقد اعطانى هـذا فرصة أن أعيد حفظى للقرآن بعد ان كدت انسى الكثير منه بسبب ظروف العمل ، وكانت هذه اكبر نعمة من نعم الله على فى السجن .

اتيحت لى فرصة التامل الواسع فى القرآن فتيقنت من نظريتى فى الوحدة القرآنية التى بنيت عليها تفسيرى فيما بعد .

قضيت اكثر ايامى فى الزنزانة صائما قائما وكنت لا ادخل على من الطعام الا اقله مما اعادنى الى حيويتى الاولى وشبابى وقد خف وزنى كثيرا بسبب ذلك وكاد مرض السكرى ان يتلاشى ولكن نقلنا الى المهاجع بعد ذلك اعادنا الى وضعنا الاول .

كان بعض قاطنى الزنزانات تطرا عليهم طوارىء فكنا نسمع اصواتهم فى بعض نوباتهم الجنونية ، ذلك كله كنت منه فى عافية بفضل الله .

لا اذكر الاهانات والتعذيب فذلك نحتسبه عند الله الا ان المشرف على هذا والذى كان يعتبر جلاد سجن المزة قد قتله الاخوان فيما بعد .

كنت أرى من زنزانتى حفلات السلخ والجلد والتعذيب للقادمين الجدد الى سجن المزة ، وكان اكبر فوج دخلها بعد فوجنا فوج الضباط الأحـرار الذى اعتبره أجرا تنظيم عسكرى سياسى وجد فى سورية .

وقد ادخلوا واحدا منهم على بعد حوالى أربعة اشهر من اعتقالى ، ومن خلاله عرفت أشياء كثيرة مما حدث فى سورية بعد دخولى السجن ، كنت فى الابتداء حذرا منه وكان حذرا منى ، فقد تعلمنا ان من اساليب المخابرات ان يضربوا احدهم ضربا مبرحا ثم يدخلوه على بعض المتهمين لينتزعوا بعض الأسرار ، وكانت خطتى التى التزمت بها مع اقرب المقربين وعممتها على الاخوان الا يتكلم الانسان مع احد الا فى الحدود التى تكلم بها مع المحققين ، ولقد خالف بعض الاخوة فندموا كثيرا عندما فتح تحقيق جديد .

وهكذا قضيت مع ذلك الضابط بقية ايام زنزانتى ، لم يكن يصلى او يصوم من قبل ، وكان كثير السكر قبل التزامه بتنظيم الضباط الأحرار الذى كان يحرم على اعضائه ان يسكروا كى لا يدلوا بمعلومات ، صلى وصام فترة وجودنا معا لكنه عاد الى وضعه الأول بعد ان افترقنا ، كان ابواه صالحين كما حدثنى .

كان يتضايق من كثرة صلاتى وقراءتى القرآن لأننى بذلك احرمـه المسامرة ولم يكن عندى قدرة على تعطيل برنامجى ، كنت اسهر الليل وهو نائم ، وأنام فى النهار وهو مستيقظ ، وكنت اعطيه الكثير من وقتى ولكن لا على حساب عبادتى وتلاوتى .

قامت حرب تشرين (اكتوبر) ونحن فى الزنزانة ،قصف سجن المزة لكن الصاروخ نزل قريبا منه بفضل الله ، اخرجونا من الزنزانات لأنهم احتاجوا اليها لوضع الأسرى اليهود فيها ، ولولا ذلك لبقينا فى الزنزانات سنين ، وهكذا نقلت الى مهجع فيه ناصريون سجنوا بسبب أحداث الدستور واحداث لحقتها ، كانوا يظنون أن سجن الاخوان المسلمين مع الناصريين مفيد فى تعميق الهوة بين الطرفين ، ولكن الواقع ان كلا من الطرفين كان نموذجيا فى حسن التعامل مع الآخر مدة السجن

تبين لى ان بعض الاخوة فى مهجعنا ثم فى المهجع الآخر كانوا يحملوننى اخطاءهم وضعفهم مستغلين غيابى فى الزنزانة ، فلما اجتمعت بالاخوان وعرفوا الحقيقة سخط بعضهم على هؤلاء واراد بعضهم ان يؤذيهم ولكنى صبرتهم ، وعرف الاخوان الحقيقية من اين اتوا ، لقد اتوا من خلال اثنين او ثلاثة ولكنهم جميعا معذورون ، وكنت اكرر عليهم قصة الغلام فى حادثة الاخدود ، لقد كان صديقا ولكنه اقر على الراهب تحت التعذيب حتى اعدموه ·

***

ولنتكلم قليلا عن تنظيم الضباط الأحرار ···

هذا التنظيم يقوم على افكار رئيسية ، وبعض افراده لهم صلة بليبيا ولبعضهم صلة بالعراق ، وافكارهم الرئيسية فى التنظيم انه يجب ان يكون لهم ضابط فى كل كتيبة ، فاذا وجد فى كل كتيبة ضابط وغطي ذلك قسما كبيرا من الجيش واصبح لكل ضابط من خلال فراسته من يمكن ان يتحركوا معه فى اللحظة الحاسمة عندئذ يعتقلون كل من ليس سنيا فى الجيش ، ثم يحركون العناصر السنية فى انقلاب يستلمون على اثره الحكم ، وكان عدد من هؤلاء الضباط حمويين ، ويبدو انه بسبب من احداث الدستور تصاعد عدد المنتسبين لهذا التنظيم ، ولولا ان تنظيمهم انكشف لأمكنهم خلال فترة محدودة ان يسيطروا على سورية فالجو مهيا والضباط على استعداد ·

***

ولنعد الى السياق ···

نقلت الى مهجع ضم الاخوان والناصريين ، والانتقال الى المهجع بعد الزنزانة عيد عند اصحابه ، لذلك ملأت البهجة نفسى ونفس اخوانى وكانت احاديث مطولة ·

عرفت ان الناصريين المعتقلين وكلهم من الساحل تقريبا اعتقلوا بعد احداث الدستور لتحركين :

تحرك انتخابى وتحرك مواجهة ، فقد حدث فى الحى الرئيسى لأهل السنة فى اللاذقية واسمه « حى الصليبة » نوع من المواجهة بين الشعب والسلطة ، وحدث اطلاق نار كثيف واعتقلت اعداد هائلة من اللاذقية وعذبوا تعذيبا شديدا واهينوا واهين الاسلام كثيرا ، وكان فى السجن بقية من هؤلاء المعتقلين ·

عرفت ان التحرك الكبير لأهل اللاذقية كان بمناسبة المولد النبوى وكان فى ذلك العام فى آذار (مارس) ، وكانت هذه الاعتقالات من آثاره ، كما علمت ان

تحركا كبيرا حدث فى حمص فى المناسبة نفسها فاطلقت السلطة النار على الناس فقتل اكثر من ثلاثين شخصا .

وجدت بعض الكتب الشرعية فى المهجع فابهجنى ذلك ، طلب منى بعض الاخوة أن انشىء دروسا ، فبدأت دروسا خاصة فى التفسير ودروسا فى الفقه ، وكانت دروس التفسير هى بداية اشتغالى فى التاليف فى التفسير ، اقترح بعضهم جلسة ثقافيـة لكل المهجـع وكان ذلك ، لكن الحساسيات كانت كثيرة ، فاذا ما طرق اى موضوع يمس العمل السياسى اثار حساسيات ، لذلك لم تنجح الجلسة ، كانت علاقاتى طيبة مع الأفراد جميعا ، لأن أدب السجين كما يفهم من قصة يوسف عليه السلام الاحسـان الى السجناء ، ولو كانوا كفارا ، فلقد قال صاحبا يوسف وهما وقتذاك كافران : « انا نراك من المحسنين »(١) وهـذا الأدب كنت دائم المطالبة فيه ، أطالب نفسى واخوانى به .

كانت وجهة نظرى فى الحياة داخل المهجع أن يقلل الانسان الخلطة ما امكن ، ففرضت على نفسى نوع عزلة الا فيما لا بد منه ، وهذا اعطانى فرصة للمطالعة والكتابة فكانت انجازاتى فى مرحلة السجن كثيرة وكبيرة بفضل الله .

ومن اجل العمل كنت اسهر الليل حيث الناس نائمون وانام فى النهار حيث الناس مستيقظون ، وقد الزمت نفسى ان اشارك بخدمات المهجع ، وكان اخوانى يحبون ذلك ، مع ان اهل المهجع جميعا متفقون على اعفـاء بعض النزلاء من الخدمة .

وقررت السلطة بعد عشرة اشهر من احداث الدستور ان تفرج عن بعض المعتقلين ، واوعزت الى بعض المعتقلين ان يكتب كتاب استعطاف واشعرت الجميع بأن الطريق مفتوح امامهم لذلك .

كان اخواننا يعيشون على تطلعات الاقتداء باخوان مصر فى ثباتهم ورفضهم الاستعطاف ، وكنت أرى ان وضعنا يختلف ، فاخواننا فى مصر حققوا القدوة اذ أخذوا بالعزيمة أما نحن فتسعنا الرخصة .

وكان وضعى هو الوضع الحـرج ، فالاخـوان يتطلعون الى موقف صلب منى ، وبعض الاخوان ممن ثقته فى ضعيفة كان يرى اننى اريد ان ادفع الاخوان الى الرخصة لأسجل لنفسى منفردا موقفا بطوليا ، مع اننى اكره لنفسى دائما ان آخذ مثل هذا الدور ، أمام هذا الوضع قلت ما يلى :

---

(١) يوسف : ٣٦ .

انا ارى ان يكتب الاخوان جميعا طلبات استعطاف ، اما انا فأضع امرى بين يدى اخوانى ، فما قرروه فاننى سأنفذه .

راى الاخوة أن نكتب بلا استثناء ، فكتبوا ، وكتب أحد الاخوة على لسانى بعض كليمات ، ورغم اننى قليل البكاء فقد بكيت لهـــذا الموقف .

كانت النتيجة أن افرج عن بعض الاخوة ، وعن بعض الناصريين ، وكان ذلك عيدا عندى ، فكلما خرج اخ كنت افرح ، لاننى اعتبرت نفسى المسئول عما حدث ، عرفت فيما بعد انه افرج عن بعض الناس فى المهجع الآخر الذى يضم امثالنا ، جمع الباقون من المهجعين فى مهجع واحد ، فاجتمعت البقية المتبقية من الاخوان والناصريين فى مهجع واحد ، ونقـل الى هذا المهجع خليل بريز صاحب كتاب « سقوط الجولان » فتمت بهجتنا ، وكنت اعرفه من قبل .

عكفت على كتابة التفسير بقوة فانجزته فى اقل من سنتين ، وانجزت خلال سجنى عددا من الكتب الا ان بعضها ضاع وبعضها حولته الى كتب اخرى او ادخلته فيها ، ومن تآليف السجن :

من اجل خطوة الى الأمام ، وجولات فى الفقهين الكبير والأكبر ، وتربيتنا الروحية ، وكتاب اسميته القواعد فى البناء ، ورسالة برسم التنفيذ ، ورسالة نظريتنا الأمنية ــ وهى رسالة مشتركة ــ ، ومع انه من الناحية الرسمية لا يسمح لأحد ان يخرج شيئا مكتوبا خارج سجن المزة فقد يسر الله ان يخرج معظم ما الفناه ونسأل الله ان نعم به الفائدة .

اصطدمت مع اكثر من انسان داخل السجن بسبب موقفه من الاسلام ، وكانت الأمور تحل بسلام ، غلب على مهجعنا الثانى العلم والعبادة .

كثرت مآخذ بعض الاخوة على بعض بسبب ضيق الصدر وكثرة الخلطة ، كان بعض الاخوة يرى ان على مسئولية أن افعل شيئا ما لانقاذهم فاتفقت مع أحد الأشياخ ان نكتب كتابين الى حافظ اسد ، تحملت فى رسالتى مسئولية احداث الدستور وتعجبت ان يوجد سجين غيرى من اجل هــذا ، وبطبيعة الحال كانت اللغة لينة لاقتضاء الحال ذلك ، فلقد كان الهـدف الافراج عن اخواننا ، وعلى راس السنتين تقريبا افرج عن اكثر الاخــوان ولم يبق الا افراد قلائل ثم فرج الله عن الجميع وبقيت وحدى .

اقبل بعض السجناء المحسوبين على الناصرية على حفظ القرآن وكنت اسمع لهم .

كانت المراسلة السرية بينى وبين اخوانى فى الخارج قائمة ، فكنت اتعرف على بعض مجريات الأمور وارسل لهم وجهة نظرى فى بعضها الآخر .

من عجيب الرؤى اننى قبل السجن رايت كان قائلا يقولى لى : « انت مع العشرة » ولم اعرف مضمون هذه الرؤية لكنى عندما كنت فى المهجع الثانى كنت اعد الحمويين المعتقلين فاجدنى عاشرهم .

كما ان من عجيب الرؤى انى رايت رؤيا فى الزنزانة فهمت منها ان مدة سجنى ستكون خمس سنين الا قليلا فكانت كذلك .

اعتقل بعد اكثر من سنتين مضتا على اعتقالى الشيخ مروان حديد رحمه الله واخوانه وتسرب الينا النبأ وافرج على اثر ذلك عن بعض كبار الناصريين فالسلطة كانت تحب ان توحد معاركها ، وكان تعذيبا رهيبا يسلط على لخواننا من مجموعة الشيخ مروان حديد ولم نكن نستطيع الا الدعـاء .

بعد خروج اخواننا والناصريين اصبحنا فى مهجع جديد يضمنى وخليل بريز وجمال الصوفى احد وزراء عبد الناصر فى عهد الوحدة وبعض البعثيين المحسوبين على العراق ، ومجموعة من الضباط اتهموا بالاعـداد لتمرد على راسه شاب اريحى التفكير .

كانت حياتنا روتينية ، وكان هناك شىء من حوار سياسى معقـول ، وكانت علاقاتنا مع الجميع حسنة لأنى كنت اتجنب اثارة العصبية الحزبية ، كنا واكثر السنيين على اختلاف مذاهبهم السياسية وكاننا قلب واحد ، وكان هذا يؤلم غير السنيين عندما يرون الاسلام اقوى من التربية الحزبية ، وكانت الدروس مستمرة لكن ادارة السجن اشعرت الجميع ان هذه الحلقات ليست لصالحهم فخففت منها .

كنت حريصا طوال مدة السجن الا اتهجم على احد وان اشعر الجميع انى لا اشكل خطرا على احد ، وكان هذا حتما يصل الى مسامع السلطة ، وكان هذا عاملا من عوامل الافراج عنى فيما بعد ، وكدت ان اخـرج من السجن فى نهاية السنتين والنصف ، وقصة ذلك فيما يلى :

فكرت السلطة ان تفرج عنى على اثر اعتقال الشيخ مروان حديـد كمحاولة لتخفيف حدة التوتر فى حماة وكنت اكره ان اخرج من السجن فى مثل هذه الظروف ، استدعتنى ادارة السجن وطلبت منى ان اكتب كتابا الى حافظ اسد استعطفه فيها للافراج عنى ، فكتبت كتابا طالبت فيه

بالافراج عنى وعن الشيخ مروان حديد واخوانه وكلفنى ذلك ان ابقى فى السجن سنتين وخمسة اشهر أخرى .

لم يكن يفوتنى ماذا تعنى كلمتى ، ولكنى لم أكن راغبا فى ان اخرج على جثث اخوانى ، كان التاليف شغلى الشاغل فى المهجع الجديد واستمر وجودنا فى هذا المهجع حتى وفاة الشيخ مروان حديد رحمه الله فى مستشفى السجن .

* * *

فى اليوم الذى توفى فيه الشيخ مروان حديد رحمه الله نقلت انا وخليل بريز وجمال الصوفى وآخرون الى مهجع آخر ولم نعرف السبب ، وكان المهجع فارغا عندما دخلناه ، وبعد قليل بدات تتوافد علينا العناصر التى اعتقلت مع الشيخ مروان رحمه الله ، وكلها كانت فى الزنزانة لأكثر من سنة ، كانت فرحة اللقاء عامرة غامرة ، وقدرنا السر فيما حدث بعد ذلك ، لقد كانوا يخشون من مغبة معرفة المجموعه بوفاة الشيخ مروان ، وكانوا يخافون من ردة فعل ، فجمعونا فى مكان واحد واتوا بنا لنقوم بدور مهدىء بحكم سننا وتجربتنا ، كانت مجموعة من الشباب اجتمع فيهم دين وقوة نفس والتفوا حول الشيخ مروان على الجهاد ، كانت أجسامهم قوية ونفوسهم قوية وعقولهم نظيفة وشعرت انه اذا ما اردنا أن نبقى لهم الفتهم فى جو السجن فلا بد من ملء الفراغ بما هو منتج ومفيد ، وبدات دروسا صباحية ومسائية ، وكنت اعالج اى مشكلة عامة فى الدرس الصباحى او المسائى ، ثم بدات بالدروس الخاصة ، وكان الشباب فى زنزاناتهم قد بداوا حفظ القرآن ، وهكذا بدا المهجع وكأنه مدرسة ، فهناك نحو وصرف وبلاغة وفقه وتفسير وحديث وفقه دعوة وقراءات وسلوك ، وبعض الاخوة بداوا يشتغلون فى التاليف .

واستقر الأمر على أن تكون هناك جلسات عامة لمناقشة امور المهجع ، فكنا نبقى الساعات لمناقشة الصغيرة والكبيرة واتخاذ قرار فى شان المهجع . ابعدنا انفسنا والاخوة عن اية مناقشات لها علاقة فى الخارج الا لماما وضمن الحدود التى لا تسىء الى وحدة المجموعة او الى امنها .

راى الاخوة ان يقيموا خطبة الجمعة ـ على عدم توافر الشروط لاقامة الجمعة ـ فكانوا يخطبون ونصلى الظهر جماعة . كان طعامنا جماعيا وهى سنة لم ينجح فيها مهجع لمدة طويلة وتركنا لكل اخ خصوصياته وحريته فى ان ياكل ما شاء ، واذا جاءت زيارة كان الأخ ياخذ ما يريد والبقية للمهجع

كان الجميع يواسون بعضهم وكانهم أسرة واحدة فليس هناك من اخ يشكو حاجة او تحيزا .

حتى الأمكنة فى المهجع كانت متنقلة كل شهرين بحيث لا يبقى احد فى مكان متميز ، وطبقت هذا على نفسى مع مرضى وخص من ذلك خليل بريز وزهير الشلق بعد أن انتقل الينا وجمال الصوفى وبعض الضيوف وكذلك المرضى ، وكان نجاح ذلك كله منوطا بأن اطبق هذا على نفسى . حدثت بعض المزعجات فكنا نطوقها بسرعة كان يختصم اثنان من الاخوة او ينفرد احد بوجهة نظر او يسىء اخ التصرف .

بذلت جهود كثيرة من اجل حسن التعامل مع اضياف المهجع ، لقد كان جميع اهل المهجع ومن يدخل اليهم يصلون ويصومون ، واتتنا مرة ادارة السجن بشيوعيين احدهما نصرانى والآخر نصيرى ، وكان واضحا أنها تريد ان تزعجنا بذلك ، لكن الرجلين ادركا الوضع بسرعة وشاركانا دون طلب فى صيامنا وصلاتنا ثم طلبا الانتقال فنقلا ، فتحنا معهما حوارا مطولا ، ادركا الكثير عن تصوراتنا ، وكانا من رابطة العمل الشيوعى .

كان شريكنا فى المهجع أحد الاخوة ، وكان عصبى المزاج جدا ، فاصطدم مع الاخوان كثيرا وكنت احاول أن الطف الأجواء ، وقد اصابنى الكثير من حدته لكنه ادرك فى النهاية ان اسلوبى هو الأسلوب الوحيد الممكن داخل السجن ، ثم فرج الله عنه بوساطات .

كانت حياتى مع هؤلاء الشباب متعة لكن ارتفاع الضغط وارتفاع السكرى ووضعى الخاص كل ذلك جعلنى اتطلع الى خروج من السجن ودعوت الله فى ذلك واستجاب الله الدعاء .

فقد كان حافظ أسد مقدما على تجديد رئاسته وكان بعض الشيوخ يلحون عليه فى شأنى ومنهم الشيخ حسن حبنكة رحمه الله ، وكان يريد ان يرضى المتدينين ، واطلاق سراح واحد فى اى لحظة يستطيع اعتقاله لا يضره ، وهكذا قرر الافراج عنى ، استدعيت وطلب منى ان اكتب كتابا استعطف فيه كالعادة ، كان اصعب شىء على ان اطالب بالانسحاب من الاخوان أو اعطى تعهدا وعهدا ، وكنت ادعو الله ان اخرج بلا عهد ولا عقد ، كتبت كتابا تخيرت فيه كلماته واطلعت عليه اخوين من مجموعة الشيخ مروان فلم يريا فيه شيئا ، لقد تجنبت فى الكتاب ما أريد أن اتجنبه ، كان قرارهم جازما فى الافراج عنى ، ابلغونى ذلك ، خرجت الى الاخوان

وابلغتهم ، ووزعت عليهم كتبى ، كانت ساعة فراق صعبة ، كنت لهم كالوالد والأخ والخادم ، لكنهم كانوا يعرفون أننى لن انساهم ، اخرجت من السجن وذهبوا به الى آمرية الطيران ، كان هناك ناجى جميل وعلى دوبا ورسمى العيد وعلى المدنى ، كان حديثى مطولا ، واردت من خلاله ان آخذ فرصة عمل دعوى ، حدثتهم عن تفكيرنا نحن الاخوان المسلمين فى سورية وادراكنا للأوضاع الدولية ، وحدثتهم عن وضعى الصحى ، واظهرت عجبى كيف يعتقل امثالى هذه السنين الطويلة .

ثم وضعوا تحت تصرفى سيارة لتصل بى الى حماة ، بل لتسلمنى هناك لأحد فروع المخابرات ، اخبرتهم اننى ارغب فى زيارة الشيخ حسن حبنكة فوافقوا ، قرعت باب الشيخ حسن فعلمت انه ذهب الى القصر الجمهورى ، كتبت اليه وريقة أعلمه بالافراج عنى واننى سازوره ، كان حافظ اسد قد استدعاه ساعة الافراج عنى ولم يبلغه بالافراج عنى ، لذلك طالبه الشيخ حسن بى بشدة ساله حافظ أسد : هل تكفله ، قال : لا احد يستطيع أن يكفل احدا ، خرج من المقابلة ولم يعلمه بما كان فعل .

كنت فى جلستى مع ناجى جميل وزملائه قد طالبت باوراقى فى السجن وطالبت بالافراج عن من لم تثبت فى حقه تهمة وحددت بعض الأسماء ، واعلنت عن استعدادى لكفالة الجميع اذا كان بالامكان الافراج عنهم ، وعدت بدراسة الأمر ، افرجوا بعد ذلك عن بعضهم وحاولوا اعتقاله مرة اخرى وبعضهم درسوا قضيته واجلوه ثم أفرجوا عنه .

عرفت بعد خروجى من السجن مباشرة أنهم عاملوا الاخوان معاملة قاسية وشتموهم ثم فتحوا التحقيق مع بعضهم مرة اخرى ، وقد اعدموا الكثير منهم .

❊❊❊

الذين يدخلون السجن يحلمون احلاما كثيرة وندر من يحاول تحقيق احلامه ، فمن احلام السجناء ان يتغير نظام السجون بحيث يكون اكثر انسانية للسجين واهله ، وان تكون العقوبة بالسجن ملاحظا بها كف شر السجين حيث لا يجدى غيره ، لقد كنت احلم فى السجن أن ياتى يوم تحترم فيه حقوق الانسان فى سورية ، لقد قضيت خمس سنوات فى السجن من اجل موقف لو حدث فى اى بلد يحترم حقوق الانسان لما ترتب على ذلك اى شىء يذكر ، الا ما اقسى ما يعامل الانسان حيث لا تحترم حقوق

الانسان ، الا ما اكثر الوقت المهدر وما اقسى عذاب الانسان فى بعض انظمة هذا العصر .

اننى لا احمل مسئولية هذه الاوضاع الانظمة الديكتاتورية وحدها بل احمل القوى الكبرى والصغرى هذه المسئولية ، فقد الفت هذه القوى ان تسكت عن مثل هذه الانظمة ما دامت تحقق لها مصالحها او تعتبرها خيرا من غيرها فى تحقيق هذه المصالح ، ان اى نظام يستطيع أن يقدم رشاوى لأصحاب المصالح فيستبد رغم طغيانه ولا يوجد فى هذه الحالة من يقول له شيئا ؟ ترى لو كان العالم حقا يحاسب على حقوق الانسان سواء فى ذلك الشعوب والحكومات والدول الكبرى والصغرى اكانت حقوق الانسان تهدر هذا الاهدار ؟ ! فلا يجد الانسان اى نوع من أنواع الحماية له اذا ما اراد ان يتصرف ضمن حقوقه الأساسية ! .

***

(فصل) فى ان العمل المسلح كان رد فعل

بدأ العمل المسلح الاسلامى ضد النظام فى سورية سنة ١٩٧٦ وكان رد فعل على اشياء ثلاثة بشكل مباشر ، اما الاسباب غير المباشرة فكثيرة .

السبب الأول : ان السلطة قتلت ثلاثة من الاخوان احدهم الأخ حسن عصفور رحمه الله الذى قتل تحت التعذيب ،واحمد زلف رحمه الله ،وغزوان علوانى رحمه الله .

السبب الثانى : الاعتقالات المتعسفة التى كانت مستمرة ، فكان من جملة المعتقلين الشيخ مروان حديد واخوانه .

السبب الثالث : الاهانة التى كانت توجه من بعض رجالات السلطة للاسلام والقرآن وكل المقدسات ، فكان رد الفعل الاول هو أن مجموعة من الشباب قتلت محمد غرة مدير المخابرات العسكرية فى حماة ، والذى بدأ بالقتل فى الحقيقة هى السلطة ، وبعد ما تكررت حوادث القتل ، رد بعض الشباب دون أوامر من قيادات الاخوان على ذلك ، ثم تتابعت الأحداث .

***

(فصل) بدأت الثورة المسلحة وأنا فى السجن

كان مقتل محمد غرة مدير المخابرات العسكرية أول عمل مسلح ضد النظام ، وكان ذلك سنة ١٩٧٦ أى قبل خروجى من السجن بسنتين وكنا نسمع ونحن داخل السجن بأنباء العمليات التى كانت توجه ضد رجال السلطة .

وكان بالامكان لو وجد تعقل أن يسيطر على الوضع ، ولكن وفاة الشيخ مروان حديد رحمه الله فى السجن واستمرار الاعتقالات والاهانات والتعذيب والمناخ الذى أوجدته الأسباب غير المباشرة ، جعل الأمور تتصاعد حتى أصبحت ثورة حقيقية ضد النظام .

＊＊＊

(فصل) فى الأسباب غير المباشرة التى أوجدت المناخ المواتى للعمل المسلح المضاد للسلطة فى سورية

ان الشعب السورى بطبيعته ينتقد أى حكومة تحكمه ، وهو شعب يحرص على الحرية السياسية ، وهو شعب مسيس بطبيعته ، وسورية بلد خيرات ، وشعبها معتاد على السعة ، ودين الانسان فى سورية غال عليه فى الحقيقة وان ظهر أنه ليس كذلك .

والشعب السورى أصبح يحس أن الدين والحرية والخبز قد انتقصت ، ومع هذا الانتقاص وجد عدم توازن فى السياسات والممارسات فزاد الطين بلة ، وكان بالامكان بشىء من التعقل أن ينال رضا الناس ، ولكن كل شىء كان يتصاعد على غير ما يرام ، فأوجد هذا مناخا مواتيا للمواجهة .

＊＊＊

الباب العاشر

من الثالثة والاربعين الى السابعة والاربعين

(من كانون الثانى (يناير) ١٩٧٨ الى أواخر نيسان (أبريل) ١٩٨٢)

عندما خرجت من السجن كانت الأجواء لعامة فى سورية رخية ، فحافظ أسد يريد أن تمر الانتخابات بشىء من الانفتاح على الشعب ، لذلك زارنى الناس بسبب خروجى من السجن بكثرة ، كان مدير المخابرات العسكرية فى حماة شاب متعقل وهو المسئول عن متابعة نشاطاتى فقد ارسلت اليه ابتداءا ، مما يدل انه هو المسئول عن متابعتى ومراقبتى ، فكان يزورنى اذا احس بوضع غير عادى فى البلد ليبقى اجواء البلد قارة .

جاءت بعد خروجى من السجن بقليل مناسبة المولد النبوى وبدا وكأن كل شىء هادىء ، واذا بالبلد فجأة تشتعل نارا فقد خرجت تجمعات للاحتفال بالمولد من ههنا وهناك وفجأة شكلت امواجا من البشر تهتف وتتحدى فاعتقلت السلطة بعض الأفراد ، فقررت ان اتحرك بسرعة قبل ان يجر التحقيق الى اشياء لا تحمد عقباها ، اتصلت بمدير المخابرات العسكرية وكلمته بضرورة عدم جرح البلد فوعدنى خيرا ، فقررت السفر الى دمشق فى الظاهر للمطالبة بأوراقى الموجودة فى السجن وفى الباطن من أجل اطلاق سراح المعتقلين الجدد والكلام فى المعتقلين القدامى .

وكانت جمعية العلماء قد اعلنت عن احتفال بمناسبة المولد وكلفتنى أن اكون أحد المتكلمين وكان الجو قد أصبح مشحونا فى البلد واهتمت السلطة لذلك ، وسرت شائعة أن الثورة ستعلن فى هذا الاحتفال واستقدمت الدولة قوى من خارج المحافظة ، وحاولت السلطة الغاء الاحتفال او الغاء كلمتى على الأقل ، وكنت أجد فى الاحتفال فرصة أن آخذ وضعا عاديا فى علاقتى مع الشعب أو العلماء ، وهذا يقتضى ان أتكلم فى الاحتفال كما هو مقرر ، لكن الموقف كان فى غاية الدقة فالشباب متحمسون ، وفى السلطة والحزب تياران : تيار يقول : ان حماة لا تعامل الا بالحسنى ، وكان على ان اقوى هذا التيار ، وتيار يقول : ان حماة لا تصلح معها الا الشدة ، والوضع متفجر ، ومكان الاحتفال محاط بقوى الأمن .

وجاءت كلمتى بفضل الله عز وجل ملطفة للأجواء ، قبلها المتحمسون وارتاح لها العلماء والعامة ، وفرحت بها اجهزة الأمن وهلل لها المعتدلون فى السلطة والحزب ، وكانت عاملا من عوامل الافراج عن المعتقلين الجدد ، دون ان يكون فيها كلمة ضعف او مجاملة .

تحدثت فى هذه الكلمة عن عمق الاسلام فى بلاد الشام ، وعن طبيعة حماة ، وان حماة تهزها المعاملة الطيبة والتصرف الأريحى وهذا هو مفتاح التعامل مع حماة ، وان الذى لا يتعامل مع حماة كذلك مخطىء ، ثم تحدثت عن الشغب الذى يرافق الاحتفال بالمولد وان ذلك خطأ فلا يصلح ان يصبح هناك ارتباط بين مناسبة المولد والشغب ، وشكرت المتعقلين من رجال السلطة الذين تعاملوا مع المتظاهرين بلطف ، وكان بعضاهل الفتنة قد رجموا بيت نصرانى بالحجارة اثناء الاحتفالات ، فذكرت كيف انه مع ايماننا بالاسلام ودعوتنا له وحرصنا على ان تكون البلاد اسلامية فنحن لا ننسى ان لنا جوارا ، هؤلاء الجوار عشنا معهم قرونا طويلة وعاشوا معنا فكانوا شركاءنا فى السراء والضراء هم المسيحيون ، ثم تحدثت بمناسبة المولد عن بعض المعانى الاسلامية ، وكانت عناصر كثيرة من الشرطة والجيش خارج المسجد تسمع الخطاب فارتاحت اعصابهم ، وارتاحت اعصاب الناس ، خرج الجميع مرتاحين ، واعتبر بعضهم هذه الخطبة من انجح الخطب السياسية وحققت هذه الخطبة مجموعة اغراض كنت اريدها .

سافرت بعد ذلك الى دمشق .

اتصلنا بالعميد على مدنى فرحب بنا وذكر انه مشغول فى ساعته تلك ، لذلك يرجو أن نزوره مساءا ، ورتب لى خلال ذلك ان اذهب الى سجن المزة لاستلام اوراقى التى كنت موعودا بها ، ذهبنا الى السجن وقابلنا مدير السجن ، وطلبت منه أن يدعو لى بعض الاخوة لاعرفهم على الأوراق التى اريدها ، وكان ذلك ، جاءتنى اوراقى الا قليلا .

وفى المساء تمت مقابلة العميد على مدنى وصار حديث مطول ، تحدثنا فيه عن المعتقلين القدماء فوعد خيرا ، وصار حديث عن المعتقلين الجدد فوعد خيرا وفعلا فقد افرج عنهم بعد قليل ، اما القدماء فلم يفرج الا عن ثلاثة تقريبا ثم اعتقل اثنان منهم فيما بعد وفر الثالث .

زرنا الشيخ حسن حبنكة وكانت جلسة طويلة مباركة تمت فيها احاديث شتى عن سجننا وعن جهوده التى بذلها من اجلنا ، وعدنا الى حماة .

وبعد ايام جاء الأستاذ عدنان سعد الدين الى حماة وكان قد انتخب مراقبا عاما للاخوان المسلمين اثناء وجودى فى السجن ، جلسنا سوية يوما تقريبا اطلعني فيه على مجريات الأمور اطلاعا تاما ، فهمت منه ان الاخوة فى الخارج يكادون يكونون مجمعين على خروجى من سورية ، اعلمته اننى لن اخــرج مهما كلف الأمر وعندما راى اصرارى على هذا الموضوع ، طلب منى ان اخرج للعمرة فانشط فى رحلتى هذه الاخوة فى الخارج ، وكــان مصرا على هذا القدر فوعدته ان افعل .

وفعلا بدات الاجراءات لأخذ تاشيرة خروج وصادف ذلك مجيء احـد الاخوة الذين يدرسون فى السعودية ومعه سيارته نساعد على استكمال الاجراءات .

ومن عجائب الرؤى انه فى يوم سفرى جاءنى اخى الشهيد محمود رحمه الله على اثر رؤيا رآها ، قال لي : رايت فى المنام اننا فى جلسة تضم عددا من الناس وان شيخا اتجه اليك وقال : عمان سهل لك ، او اسهب لك ، عجبت من هذه الرؤيا ولم افهمها وقتذاك ، ومن قبل ونحن فى السجن راى احد الاخوة ـ وهو اخ دمشقى صالح يحفظ كتاب الله ـ فى المنام اننى اتحدث من التليفزيون الاردنى وانا البس عمامتى وجبتى ، وكان قدر الله كما سنرى ان تكون عمان هى وطن الاقامة ، مع اننى كنت عازما على المكث فى سورية ابتداءا ثم العودة اليها ولكن لله قدرا .

وقبيل سفرى اتصل بى احد الاخوة الناشرين فاعطيته مسودة كتاب « من اجل خطوة الى الأمام على طريق الجهاد المبارك » ، وقلت له : ان يعرض الكتاب على الاخوة وهم مفوضون ان يحذفوا منه ما شاءوا ، فالكتاب لم يكتب فى صيغته المكتوب فيها للنشر ، وكان لنشر هذا الكتاب دخل فى بقائى خارج سورية كما سنرى ، خرجت من سورية بعد شهرين من خروجى من السجن تقريبا كان ذلك فى ٣٠ آذار (مارس) سنة ١٩٧٨ وكان خروجى من السجن فى أواخر كانون الثانى (يناير) .

استمرت رحلتى حوالى شهرين ونصف ، خرجت من الأردن فى ٣١ اذار (مارس) وعدت اليها فى ١٤ حزيران (يونيه) وجاء اهلى الى من سورية فى ١٨ حزيران (يونيه) ، ومن يومها حتى كتابة هذه السطور وطن الاقامة عمان .

زرت فى جولتى هذه السعودية والامارات وقطر ، وتعطل سفرى الى الكويت فى آخر لحظة ، وقد القيت عددا من المحاضرات فى جولتى هذه ، كانت لها آثارها الطيبة ، ألقيت أكثر من محاضرة فى المدينة المنورة وكذلك فى مكة وألقيت محاضرة فى كلية الشريعة فى الرياض وزرت الاخوة فى الطائف ، وأما فى الامارات فقد ألقيت خطبة جمعة ، واجتمعت بالاخوة أكثر من اجتماع ورأيت بعضهم على انفراد ، وألقيت فى قطر أكثر من محاضرة منها محاضرة فى المسجد ومحاضرة فى مركز ثقافى .

وقد حاولت أن أقطع رحلتى أكثر من مرة للعودة السريعة الى سورية فكان الاخوة يمنعوننى من ذلك ، وكان أدبنا يفرض علينا أن نبقى تصرفاتنا ضمن حدود ، كان الجميع يلحون على البقاء فى الخارج ، وأرسل لى الوالد يطلب منى ذلك ، وكانت رغبتى أن أدخل سورية مهما حدث ، وبعد مناقشات طويلة مع الأخ عدنان سعد الدين اتفقنا على النزول ، وأخيرا علقنا الدخول على استشارة اخوة الداخل ، وكان اخوة الداخل مجمعين على دخولى ولكن ظهور كتابى « من أجل خطوة الى الأمام ... » ، جعل الجميع يجمعون على عدم الدخول فقد كان فى الكتاب عبارات ، كما أن فى الكتاب شدة على كل التوجهات السياسية غير الاسلامية ، وعرضا لبعض وجهات النظر الاسلامية سياسيا لم يكن على حجة فيما حدث لأننى أذنت للاخوان أن يحذفوا ما شاءوا ، ولما سئل الأخ المراجع كيف أجاز هذه الأشياء قال : وجدت أن ما يحتاج الى الحذف كثير وقرأت قول المؤلف : ورؤوسنا يارب فوق أكفنا .. فأجزته وهكذا اتخذ قرار البقاء خارج سورية .

عكفت بعد اقامتى فى عمان على التأليف وتنقيح بعض المؤلفات وارسالها للطبع ، أرسلت فى هذه المرحلة للطبع « تربيتنا الروحية » و « المدخل الى دعوة الاخوان المسلمين » وعكفت على تبييض التفسير الذى ألفته فى السجن واستغرق معى تبييضه حوالى سنتين .

كانت علاقتى مع اخوان الأردن ضعيفة جدا وقد حرصت أن تكون رسمية .

دعتنى رابطة الطلاب العرب فى أمريكا لالقاء محاضرة هناك ، فذهبت وكانت فرصة طيبة أن أتعرف على النشاط الاسلامى فى أمريكا كما كانت فرصة أتعرف بها على الاسلاميين ، وكانت أجواء الحوار طيبة ، وفى عودتى من أمريكا كان للطائرة وقفة فى مطار دمشق ولم أكتشف ذلك الا فى مطار

لندن ساعة الاقلاع . ولكن الله سلم ، دعيت لالقاء محاضرات فى لبنـان فوافقت وسافرت ، وكنت مريضا جدا ، ومع ذلك تحاملت على نفسى ،وزاد مرضى فكنت ابقى فى الفراش حتى ساعة المحاضرة لالقيها ثم اعود الى راحتى وقد عدت الى عمان وانا فى غاية التعب واستمر المرض حتى اضطررت ان افطر فى رمضان على غير عادتى فى المرض او فى السفر .

جاءت القيادة السورية الى عمان ، اجتمعت بها ، وصار هناك نقاش ودى غير رسمى ، عرضوا على ان يدفعوا لى راتبا ، كنت آمل ان اسدد نفقاتى من خلال التاليف ، وعدتهم اننى اذا احتجت سآخذ .

كان هناك مؤتمر شعبى اسلامى فى اوروبا ، وكانت هناك بعض لقاءات للتنظيم العالمى وكان ينبغى أن يحضرها اثنان من سورية ، وكان هناك احتمال ان يغيب ابو عامر ، فذهبت بصحبة على البيانونى ، شاركنا فى محاضرات المؤتمر ، وقد غلب على الجو الحب والمودة ، وكان فى الاجتماعات عدد من كرام الاخوان وكانت حرارة المودة بيننا وبينهم عالية ولقد اشتركنا فى الجلسات الهامة ، وكانت هناك اسئلة واجوبة عمقت الخط الاخوانى عامة وخط حسن البنا خاصة ، وبالجملة كان هذا المؤتمر ناجحا .

حضر الأخ ابو عامر الى مكان الاجتماع فى اوروبا فاصبح هو كمراقب عام وعلى البيانونى كنائب مراقب عام هما الاحق فى حضور جلسـات التنظيم العالمى ، وقد أصررت على عدم الحضور كممثل عن سورية ، وحضر الاثنان دونى ، لكن المجتمعين اتخذوا قرارا بحضورى .

تقدمت بمشروع مكتوب يقضى بأن تحدد الأجهزة التى تحتاجهـا الجماعة وأن ينقسم المجتمعون الى مجموعـات ، كل مجموعـة تضـع اقتراحاتها فى شان جهاز من الأجهزة ثم يلتقى الجميع لمناقشة المشاريع واقرارها والانطلاق على ضوئها . وقد تم ذلك كله وخرج المجتمعون بانجاز ضخم ارتاحوا له جميعا ، ومن قبل كان المراقبون العامون للاقطـار يجتمعون مع من يحضر من مكتب الارشاد ، وكانوا قد وضعوا اطارا للحركة لمدة خمس سنوات فى آخر اجتماع لهم ، وقد كلفت لجنة لوضع هـــذا الاطار موضع التنفيذ ، وقد اخترت لأن اكون واحدا من اعضاء هذه اللجنة ، واجتمعنا ، ولم تكن آراؤنا موحدة حول ما ينبغى فعله واخيرا اتفقنا على ان اكتب مقدمة الخطة ويكتب احدهم فى الأهداف والآخر فى وسائل التنفيذ ،

وان نلتقى فيما بعد لمدارسة انتاجنا ، ولم اسافر من المكان الذى انا فيه الا وقد انهيت مهمتى فوضعت كراسة فى اكثر من سبعين صفحة وقد طبعت فيما بعد ووزعت على بعض الأقطار ٠

ثم بعد ذلك عدنا الى الاردن ، وكان قد وصلنا ونحن فى سفرنا نبأ اعتقال بعض الاخوة القياديين فى سورية ، وهذا يفيد اننا على ابواب محنة شاملة فى سورية ٠ وتطورت الأحداث بعد ذلك تطورا سريعا ٠

وفى هذه المرحلة سافرت الى السعودية ، والقيت فى هذه الرحلة محاضرة فى جامعة البترول فى المنطقة الشرقية من السعودية ٠

وفى هذه المرحلة اتفقنا مع اصحاب القرار 'ن تنتقل قيادة العمل فى سورية الى الخارج ٠

وطلب منى الأخ ابو عامر ان إشارك فى اعمال القيادة ، ولم تكن المرحلة تبيح الاعتذار ، وكان مجلس شورى سورية قد أعطى ابا عامر ونائبه تفويضا ان يستكملا القيادة اذا حدث شىء ، وكان الأخ ابو انس قد حصر فى اوروبا بسبب ضياع محفظته التى فيها جوازه ، وكان هناك اثنان من اعضاء القيادة قد اعتقلا ، وخرج ثلاثة منهم اديب الجاجة ومحمد الحسناوى وقد طلب ابو عامر من الجميع ان يلتحقوا بمقر القيادة الجديد ، واعيد تشكيل القيادة ٠ وكانت مهمة القيادة شاقة ، فالخيوط مقطعة ، والضربة صاعقة ، والاخوة فى الخارج فى ازمة نفسية ولا مال ولا اعلام ولا اتفاقات مع احد ، وكانت علاقات النظام فى سورية قوية مع البلدان العربية ، وكانت مهماتنا المباشرة :

اولا : اعادة ربط الخيوط فى الداخل ٠

ثانيا : ترميم التنظيم ٠

ثالثا : تقوية علاقاتنا مع اخواننا فى الحارج واحكام الصلة مع التنظيمات الاخوانية ٠

رابعا : مساعدة المعتقلين والمطلوبين ورعاية أسرهم ٠

خامسا : تامين المال اللازم لكل هذه العمليات ٠

لقد كانت الضربة التى وجهها النظام فى سورية للتنظيم ضربة قاتلة ٠

وكان بالامكان ان تنهينا الضربة فعلا ولكن بدلا من ذلك حدث ما لا يخطر بالبال ، والذين لا يعرفون الحقائق ، يهاجمون قيادة المرحلة بالسنة حداد ، ولكن لو قارن كل انسان انجازات تلك القيادة التى كنت شريكا فيها بانجازات أى قيادة لاحقة ، لراى الفارق .

اقسم عدنان دباغ وهو يحقق معى انه سيصفى الاخوان المسلمين من العالم العربى وقد أصبح فيما بعد وزيرا للداخلية وهو الذى اعلن من راديو دمشق انه سيصفى الاخوان المسلمين .

هم بدأوا ونحن رددنا ...

تحرك ابو عامر حركة قوية لتامين المال اللازم ثم انهال علينا المال من كل جانب ، حدد ابو عامر تصوراته عن المرحلة القادمة وارسلها لنا وكانت خلاصة رايه ان ردنا على السلطة ينبغى ان يكون التعبئة والمواجهه .

راسلنا اخواننا فى الداخل فتجاوب معنا عدد منهم ، استطعنا من خلالهم اعادة ربط الخيوط ، وفى هذه الأجواء ونحن فى العمل حدثت حادثة المدفعية التى اوجدت اجواءا جديدة وقلبت الاستراتيجيات راسا على عقب ، واعطت السلطة مبررات لتصرفاتها المقبلة ، وقد اصدرنا بيانا نعلن فيه انه لا علاقة لنا بهذا الموضوع .

***

وزرنا باكستان فى هذه المرحلة اكثر من مرة .

كانت زيارتنا الأولى لباكستان فرصة طيبة فقد زرنا الأستاذ المودودى وكانت الزيارة الثانية لباكستان زيارة تشييع لجنازته رحمه الله ، وكانت جلستنا معه جلسة مباركة فان القلة من الناس هم الذين اذا اجتمعت اليهم تشعر انك اخذت مع العلم عقلا ، كان حديثا شاملا عن الدعوة الى الله فى العالم العربى ، عن وجهة نظره فى التعامل مع الخارجين على الصف وأن افضل شىء عدم الرد عليهم ، ولقد داعبنا فى الجلسة وآنسنا رحمه الله ، ومن لاهور انطلقنا الى بشاور وهناك اجتمعنا ببعض قادة الثورة الأفغانية ، استمعنا للجميع وتقدمنا بعد ذلك بمشروع مشترك نحن والجماعة الاسلامية بعد أن عدنا للاهور .

كان المشروع ينص على ايجاد قيادة عليا لحركة الجهاد الأفغانى فما اتفقوا عليه ينفذ وما اختلفوا فيه يحكمون فيه الجماعة الاسلامية والاخوان

المسلمين ، وقد قبلت الجهات كلها هذا المشروع ولكن كان علينا ان نكون بجانبهم بشكل دائم ، ولقد وعدهم بعضنا ان نرجع خلال شهر ولكن لم يحدث ذلك مما اوقف المشروع ، ولقد عاتبونا على ذلك يوم زرناهم مرة اخرى بمناسبة وفاة الأستاذ المودودى رحمه الله .

ومن باكستان انطلقنا الى ايران وكان ذلك فى اواخر آيار (مايو) سنة ١٩٧٩ ، كنا على صلة دائمة مع احد اخواننا وكان هو صلة الوصل ، وكان قد ابلغهم عن قدومنا ، لذلك وجد من استقبنا فى المطار وسهل لنا الدخول ثم الخروج ، وقد رغبنا ان ننزل على حسابنا وكان ذلك فدفعنا نفقات النزول فى الفندق ، مع انهم عرضوا علينا أن ننزل ضيوفا وان نعامل معاملة رسمية . رتبوا لنا زيارتين رئيسيتين احداهما للخمينى والأخرى لابراهيم يازدى وزير الخارجية وقتذاك ، وكان الذى يتولى شأن الترتيب وكيل وزارة الاعلام .

كانت احاديثنا مع ابراهيم يازدى مطولة فهو على صلة وثيقة من بعض الاخوان عندما كان يدرس فى امريكا فهو يعرف الاخوان من قرب ويستطيع أن يفهمهم ويفهم تطلعاتهم .

كان من حديثه أن هناك سنين محمديين وشيعة علويين ، فهؤلاء وهؤلاء لا يختلفون ، كان هناك حديث مطول عن العلاقات الخارجية الايرانية ، كما كانت هناك مصارحة فى ما نريده من الثورة الايرانية ولها .

وفى زيارتنا للخمينى وجدنا انفسنا امام طوفان من البشر كل يريد ان يقابل الخمينى واخبرنا منظمو برنامجه فى « قم » ان الموعد المحدد لنا قد فات بسبب تاخرنا ورغبوا الينا ان نصبر لعلهم يجدون لنا مدخلا ، وقد ادخلونا على الخمينى مع وفد لتتاح لنا فرصة الجلوس معه مرتين ، مرة مع هذا الوفد ومرة بعد خروج الوفد .

حدثنا الخمينى عن معرفته بما يجرى فى سوريا ، وانه سيتكلم مع حافظ اسد ، وحدثنا ان الثورة الايرانية قامت بالايمان وباليد الخالية ، وان الطريق الوحيد لانقاذ المسلمين هو توعيتهم ، فمتى وعى الشعب لا يستطيع أن يحكمه احد .

وكنا نامل الا تتورط الثورة الايرانية فيما يجعلها لا تتلاقى مع الفكر الاسلامى الصحيح ، ولكنها تورطت .

***

شاركت فى اعمال القيادة ثلاث سنين الا قليلا ، سنتان منها قبل ما سمى بالوفاق وسنة تقريبا بعد الوفاق .

كان الخط البيانى للثورة خلال هذه السنوات فى تصاعد حتى نهاية آذار (مارس) سنة ١٩٨٠ فقد استقطبت الثورة الجماهير كلها ،وكان من آثار ذلك تحرك النقابات العلمية حركتها الشهيرة ، ثم بدا مد الثورة يتقلص ، كان الشعور بذبول الثورة احد العوامل التى دفعت نحو الوفاق بين فصائل الاخوان المسلمين على امل تقوية الثورة ووضعها فى طريق النجاح ، ولقد قام الوفاق بعد تعثرات ، وتنازلنا الى اقصى حدود التنازل ، وبدات قيادة الوفاق تتحرك على ارض من الألغام ومن خلال تناقضات كبيرة .

كانت تناقضات قيادة الوفاق كبيرة ، وتمخضت خلافات القيادة عن خروج بعضهم من الوفاق ، ولقد اعتزلت قبل احداث حماة اكثر من شهر ، ثم عدت الى القيادة ، وفى هذا الجو جاءت احداث حماة ، فقررنا الحركة واعلنا النفير .

وانتهت احداث حماة ولم نفعل شيئا ، واعلنا فك النفير فى جو متازم ، وكانت النفوس فى غليان وتوجهت كل الألسنة لتضع اللوم على القيادة فى تقصيرها وامام هذا الجو العاصف ، قررنا اجراء انتخابات لمجلس الشورى وتمت الانتخابات ، وحضرنا تحضيرا جيدا لمجلس الشورى، هيأنا مسودة نظام داخلى ، وتقدمت القيادة بتقرير عام ، وتقدمت اجهزة الجماعة بتقاريرها وكنت مسئولا عن هذه التحضيرات كلها بغياب ابى عامر، اجتمع مجلس الشورى وسمع التقارير ، واثر ذلك فى الروح العامة ، وبدات المناقشات ، وظهر بعض الاخوة فى انقيادة وكأنهم لا علاقة لهم فى المرحلة كلها وتبنيت الدفاع عن كثير من النقاط ، وكنت مقررا من قبل ان استقيل ، وفى اليوم الثالث للاجتماعات طلبت الكلام واصررت عليه وكان الاخوان يظنون اننى ساهاجم بعض الاخوة ولم يكونوا مرتاحين لذلك ، فغضبوا لاصرارى وانسحب ثلاثة من الاخوة من مجلس الشورى ، وواحد من القيادة ، وكانت مفاجاة للجميع ان اتحدث بلغة اخرى ، اذ اعلنت اننى اتحمل مسئولية المرحلة ، واخطاءها واننى قررت الانسحاب من العمل القيادى وتركت الجلسة وانسحبت .

وهذه المرحلة تحتاج الى تاريخ مستقل ، وليس من المناسب ان اخوض فى تفصيلاتها الآن .

* * *

(فصل) فى مدرسة اعداد الموجهين

المسلم المعاصر بحاجة الى تعليم دينى،والى تكوين،والى توجيه٠وقد لحظنا أن هناك نقصا فى واحدة من هذه الثلاثة بين كثير من الاخوة الذين هاجروا من سورية ، فانشانا مدرسة اعداد موجهين ، وكانت مدرسة تجمع بين العلم والعمل والحياة الاسلامية المشتركة ، كانت المدرسة تقوم على فكرة دورة كل اربعين يوما ، كنا نقبل فى المدرسة لكل دورة ما بين العشرة الى خمسة عشر أخا ، استأجرنا شقتين متجاورتين ، شقة لمدير المدرسة،وشقة لروادها،كانت الاقامة مدة الالتحاق فى الدورة فى المدرسة ليلا ونهارا ، كنا نعطى المتزوج اجازة فى ان يبيت عند أهله مرتين فى الاسبوع ، حشدنا للمدرسة أقدر الاخوة على التدريس والتربية والتوجيه ، كانت مواد الدراسة متعددة لكنها مختصرة ، تلاوة ، علوم القرآن ، علوم الحديث ، العقائد ، الفقه ، الاصول الثلاثة ، أصول التدريس ، كيف تدار الأسرة ، علوم اللغة العربية ، قراءة فى كتاب لتصحيح النطق ، السيرة والتاريخ الاسلامى ، وحاضر العالم الاسلامى ٠

كان البرنامج اليومى : الاستيقاظ قبل الفجر لقيام الليل ، صلاة الفجر ، قراءة المأثورات ، درس التلاوة ، ثم صلاة ركعتى الضحى ، ثم الرياضة ، فالافطار ، ثم الدروس والمحاضرات ، ثم صلاة الظهر ، فوجبة الغداء ، فاستراحة ، فصلاة العصر ، ثم مطالعة مشتركة ، فصلاة المغرب وقراءة المأثورات فتلاوة قرآن ، فصلاة العشاء ، فمطالعة حرة موجهة ، فقيام ليل ، فنوم ٠

وكان الاخوة يصومون صياما مشتركا يومى الاثنين والخميس ، وكانوا مع خدمتهم لأنفسهم قد هيأنا لهم من يقوم على رعايتهم فى المطعم والخدمة ٠

تخرجت من المدرسة دورات متلاحقة كان الاخوة يرون الفارق الكبير بين الأخ حين دخوله الى المدرسة ، وبين خروجه منها ، حتى أسموا المدرسة مدرسة تخريج الأولياء ، ولم تزل فكرة مدرسة لاعداد الموجهين فكرة هادية لتصرفاتنا،فكنا نقيم مدرسة لاعداد الموجهين بالقدر المتاح والممكن،فأحيانا نقيمها بلا مبيت ، وأحيانا نقيمها بساعات محددة فى وقت يسع الاخوة ٠

واحيانا ندخل فى برامج المدرسة بعض الساعات للتوجيه الاعلامى والسياسى وغير ذلك . وأصبح مالوفا فى بعض المراكز ان الاخ ينبغى ان يمر على دورة عامة ، ثم على دورات تخصصية ، وبعض المراكز حاولت ان تجعل مجموع الدورات التى يلتحق بها الأخ حوالى خمس عشرة دورة ما بين عامة وتخصصية .

فالدورة العامة تخصص للمطلوبات العينية ، والدورات التخصصية تشمل مواد الثقافة الاسلامية العشر وتشمل النشاطات الدعوية من اعلام الى سياسة الى تدريب جهادى الى امن الى دورة على الأنظمة والخطط .

****

(فصل) فى ان المواجهة السياسية غيرت كثيرا من مفاهيمنا

الاخوان المسلمون حذرون جدا من كل اتصال مع الآخرين عامة ، ومع بعض الدوائر والجهات خاصة ، وبعضهم اشد حساسية من بعض لكنا بعد خروجنا من سورية وهجرتنا منها اضطررنا من اجل حماية اخواننا ورعايتهم (وخاصة بعد صدور المرسوم ٤٩ الذى يقضى باعدام كل منتسب للاخوان المسلمين فى سورية) الى كثير من الاتصالات والتحالفات ، وقد هضم الاخوة السوريون الوضع الجديد بسرعة ، لأنهم يرون الحاجة اليه ، واصبحت الاتصالات التى تاذن بها قيادة ما وتعرفها هى الفاصل بين الاتصالات المسموح بها وبين الاتصالات غير المسموح بها . وكثيرا ما يجد بعض الاخوة انفسهم فى ظروف اضطرارية كانوا يتعاملون معها والقيادة تقدر ظروفهم .

وقد اصبح جزءا من واجبات القيادة تنظيم الاتصالات بالآخرين والبحث عن القواسم المشتركة ، والحركة السياسية على ضوء ذلك ، وهذا موضوع واسع قد اتعرض لبعض من جوانبه فى كتاب آخر عن الذكريات التى لا يسعها هذا الكتاب .

فهذه التجربة جديرة لأن تكون محل دراسة وتامل لاستكشاف الخطأ من الصواب ، واستكشاف الجائز من غير الجائز ، ولا شك ان التحرك الذى يحقق مصلحة اسلامية ولا يسبب ضررا لمسلم او ضررا للاسلام الأصل فيه ان يكون مباحا .

****

الباب الحادى عشر

من السابعة والاربعين الى التاسعة والاربعين

(سنة ١٩٨٢ ـ ١٩٨٤ م)

بعد خروجى من القيادة عدت الى العكوف على التاليف ، وكان للتنظيم العالمى قيادة مؤقتة لها حكم مكتب الارشاد ، وكانت هذه تعد لاجتماع مجلس شورى التنظيم العالمى ، وكان هذا المجلس على ابواب تشكيل جديد ، اذ طولبت الأقطار ان تقدم ممثليها له ، وكانت لائحة هذا المجلس تنص على أن لمكتب الارشاد ان يرشح ثلاثة يوافق عليهم مجلس الشورى ، فيكونوا اعضاء فيه ، وقد وقع الترشيح فى جملة من وقع على وعرض اسمى على مجلس الشورى فقبله ، فاصبحت بذلك عضوا فى مجلس الشورى العام ، وصادف ذلك اللقاء الاول لمجلس الشورى العام ، فدعيت اليه ،وكان ذلك فى نيسان (ابريل) الشهر الذى خرجت فيه من قيادة الاخوان المسلمين فى سورية ، كان الاجتماع مباركا ، وكان المفروض ان تبحث فيه امور ذات بال ، فلم يسع الوقت ، فاتفق على لقاء استثنائى ، ولكن لم استطع الحضور ، واختارنى مجلس الشورى العام لعضوية مكتب الارشاد فى غيابى ودون استشارتى .

اجتمع مكتب الارشاد اجتماعه الاول ودعيت اليه فقدمت اعتذارى عن العمل وذكرت جملة اسباب :

١ ـ ان هذا الثوب فضفاض على فلست مؤهلا للباسه وسنى لا يصلح لهـذا المقـام .

٢ ـ أن لى خصوماتى الكثيرة وهذا المقام لا يصلح له من كان كذلك .

٣ ـ ان طبيعتى واخلاقى وتركيبى النفسى لا تجعلنى مؤهلا لهـذا العمـل .

٤ ـ واخيرا فان تجربتى فى العمل فى القيادة السورية اوصلتنى الى ان المجموعة العاملة اذا لم تكن متفاهمة متلاحمة فالعمل يتعرض فى كل لحظة للانكسار .

لم يقبل اعتذارى وشاركت فى الاجتماع الاول .

كانت انجازات اجتماع المكتب جيدة واتفق على لقاء لاحق ، وكان الاجتماع ايجابيا ، وتم اجتماع ثالث لمكتب الارشاد قبل شباط (فبراير) موعد اجتماع مجلس الشورى العام ، وفى هذه الاجتماعات الثلاثة توضحت معالم السياسة للمرحلة المقبلة الى حد كبير ، وتوضحت معالم البناء الذى على مكتب الارشاد ان يقيمه . وأهم شيء فى السياسات الاخوانية الجديدة موقف الاخوان من الحكومات ، فالمناصحة هى الوسيلة التى ينبغى ان تعتمد مع كثير من الحكومات .

* * *

الذين يعملون فى العمل الحزبى السياسى مضطرون لمسايرة كثير من الأمور التى لا يرتاحون اليها ، وقد يضطرون للصمت على اخطاء احزابهم والدفاع عنها لأن هذا جزء مما يفرضه الانضباط الحزبى ، ثم هم يضطرون لمسايرة اهواء الرؤساء والمرؤوسين واصحاب القرار واصحاب الأصوات الانتخابية للاحتفاظ بمواقعهم . ولم اكن اهتم لذلك . وكنت أرى أن وضع الاخوان المسلمين كتجربة رائدة فى العمل الاسلامى لا يصلحه ذلك لأنه اذا اصبح العضو فى الاخوان المسلمين اسير ذلك فان الجماعة معرضة للجمود والانغلاق ثم الموت ، ولكن لا بد من صيغة اجمع فيها بين كل ما اعتبره مصلحة للاخوان المسلمين وبين انضباطى الحزبى داخل الجماعة .

كنت ارى ان الحل فى نقطتين ، واحدة فى الجماعة وواحدة فى نفسى ، اما الجانب الذى له علاقة فى الجماعة فهى أن تكون الجماعة فى مؤسساتها واشخاصها ونظرياتها التنظيمية ومراتب العضوية فيها وخططها العملية على المستوى المطلوب .

واما الجانب الذى له علاقة بى هو أن ابتعد عن المنافسات الادارية وان اقول بحرية كل ما أرى ان للجماعة مصلحة فيه مهما كلفنى ذلك ، وقدحاولت بالنسبة للجماعة الكثير من أجل تطويرها ان فى مناهجها الدراسية التربوية أو فى محاولة تطوير نظرياتها التنظيمية او انظمتها او مؤسساتها ، فمثلا حاولنا كثيرا أن نربط بين درجات العضوية والثقافة والالتزام والخصائص والتخصص . اما اعتزال الاداريات ـ والاداريات هى التى تسبب المماحكات والحساسيات والتخوفات والمنافسات ـ فكثيرا ما وجدتنى فى وضع لا مفر لى منه من ان أشارك ، واذا شاركت فلا بد أن أعطى المقام حقه .

كانت السنتان اللتان اعقبت احداث حماة حاسمتين فى مستقبل سورية الاسلامى ·

وكان ادبى فى هذه المرحلة النصيحة ، لكننى اضطررت لموقفين لم يكن لى منهما بد :

الموقف الأول : ان المفاوضة للمصالحة مع حافظ أسد تجاوزت حد المصلحة .

الموقف الثانى : عندما قررت القيادة السورية قطع المساعدات عن بعض من قذفت بهم ظروف المعركة الى خارج سورية فلم استطع السكوت ، وكانت محصلة هذين الموقفين تازم الوضع بينى وبين القيادة السورية ، وتجاوزنا هذه الأزمة بصعوبة .

كنت فى هذه السنة عاكفا على التاليف مع شىء من الرعاية للاخوة الحمويين خاصة .

قبلت استقالتى فى سنة ١٩٨٤ - من مكتب الارشاد - من مجلس الشورى للتنظيم العالمى ، وكانت معلقة .

* * *

(فصل) فى مجالس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الأصل عند الاخوان المسلمين أن يلتقوا على قراءة الوظيفة الكبرى أو الصغرى صباحا ومساء ، فان فاتهم ذلك ، فانهم يلتقون صباحا أو مساءا ، فان فاتهم ذلك ، فانهم يلتقون اسبوعيا أو شهريا على جلسة ذكر أو تلاوة قرآن ، وقد حرصنا ولا زلنا نحرص على جلسة اسبوعية يقرا كل من الحاضرين فيها جزءا من اجزاء القرآن بشكل سرى وعلى انفراد ، ثم يقرا احدهم الآيات القرآنية المذكورة فى الوظيفة والآخرون يستمعون ، ثم يقرا الجميع الوظيفة فيذكرون الله بما ورد فيها ، ثم تكون قراءة فى كتاب مذكر ، ثم تكون مذاكرة صالحة ، ولو أن الاخوان المسلمين اعطوا حرية لكانت هذه الجلسات هى الأصل فى اجتماعهم على الذكر ، اما وقد فقدوا الحرية فى بعض الأقطار فصار ما يدل عليهم يعتبر جريمة ، فقد صرنا نعتمد صيغا اخرى فى الاجتماع على الذكر · ونحن نرى اهمية كبرى لاجتماع المسلمين على الذكر اسبوعيا أو اكثر لما فى ذلك من آثار كثيرة ذكرتها النصوص ، وذكرناها فى كثير من كتبنا ·

وكان قد انشئت فى سورية مجالس للذكر تلقاها العلماء والخاصة والعامة بالقبول وسميت مجالس الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى تقوم على فكرة أن يخصص وقت فى مسجد يجتمع الناس فيه فيصلى كل من حضر على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرا حوالى الف مرة بصيغة مختصرة : « اللهم صل على محمد وآله وسلم » . ثم يكون شيء من انشاد وشيء من الذكر بصيغة « لا اله الا الله » . ثم يكون دعاء وختم للمجلس فيخرج الناس وقد حصلوا بركة الاجتماع على الذكر .

والاجتماع على الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد رجح ابن حجر العسقلانى رحمه الله فى كتاب « منح البارى » جوازه وانا أرى ان الاجتماع على الذكر ـ ايا كان ـ مندوب اليه بل هو جزء من معالجة أمراض العصر .

وقد جاءنى بعض الاخوة فى المهجر ، فاشرت عليهم باقامة مجلس صلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلعل الله يرفع به البلاء واوصيتهم ان يتخيروا من الانشاد ما لا ينكره الفقيه ، وان يقراوا فى نهاية المجلس شيئا من رياض الصالحين ، فلقى هذا النوع من المجالس قبولا ، فعممناه فكان نوع علاج ، ثم ضاقت علينا الأمور فاهملنا فكرة الاجتماعات الدورية كلها خوفا على اخواننا .

***

(فصل) فى حركة احياء الربانية التى أسىء فهمها

كنا نرى أن الاجازة فى العلم او فى التربية يجب أن نعممها وذلك احياء لسنة من سنن العلماء ، وكنا ولا زلنا نرى ان الاجازة الكاملة هى الاجازة التى تكون أثرا عن نضج علمى وروحى بآن واحد ، وهذا لا يتحقق فى الاجازات الرسمية عادة ، ولا يتحقق فى اجازات المشايخ الا لماما ، وكنا ولا زلنا نرى ان انشاء مدرسة فى كل مسجد تعطى هذه الاجازات باسم المسجد على ضوء برامج علمية وعملية وباشراف وامتحان وذلك احياء وتعميم للفكرة التى أوجدت جامع الأزهر وجامع الزيتونة ، ليكون ذلك بداية الاحياء للاسلام فى عصرنا فى القلوب والعقول على مستوى العالم .

كنت حريصا على ان توجد حركة رائدة فى هذا السبيل تعطى مناهج علمية وتربوية وتعطى اجازة فيها ، ولم تكن الظروف تسمح باعطاء اجازات باسم الاخوان المسلمين لما يثيره ذلك من حساسيات ، ويسببه من مخاطر فاقترحت ان تنشأ حركة لاحياء الربانية تعطى الاجازة باسمها ، واعتبرت هذا العمل مكملا لاى عمل اسلامى وليست بديلا عنه .

فتعميم الثقافة الاسلامية والتربية عليها لا يصلح فى عصرنا أن يكون مرتبطا بحزب سياسى يتخوف الناس منه ، لكن هذه الفكرة قد اسىء فهمها ، وحاولت بعض الجهات أن تشوش عليها وانا لا ازال مقتنعا بها وداعيا اليها . فان شاءوا حركة رائدة لتعميم الثقافة الانموذج ، والتربية الانموذج ، وان شاءوا مدرسة فى كل مسجد تعمم الثقافة والتربية والاجازة ضرورة معاصرة .

وقد يكون فى عصرنا سبيلا وحيدا للارتقاء بكل مسلم ومسلمة على مستوى العالم ، ولا زلت أطمع أن توجد الحركة الرائدة وان يوجد المسجد الانموذج الذى يعج بالحركة العلمية والروحية للصغار والكبار والعامة والخاصة ، الرجال والنساء ، والطلاب كل بما يناسبه وأن يكون هذا العمل تطوعيا ما أمكن حتى يبقى فيه سر الاخلاص .

***

(فصل) فى استقالتى من مكتب الارشاد ومجلس الشورى العام

عندما يصبح الانسان انفعاليا كثير الغضب فانه يفقد صلاحيته للعمل العام والخدمة العامة . وقد لاحظت انى اصبحت كثير الانفعال منذ سنة ١٩٨٠ ، ولا أدرى هل كان ذلك بسبب الأمراض او بسبب ضغط العمل ، أو هو ابتلاء ربانى ، ليرجع الانسان الى ربه مستشعرا فقره - (اللهم انا فقراء اليك) - .

المهم اننى أصبحت أرى أننى لم أعد اصلح للخدمة العامة وكان هذا احد الأسباب التى استقلت فيها من القيادة السورية ، وحاولت ان اعتذر عن قبولى العمل فى مكتب الارشاد فلم يقبل اعتذارى ، ثم جاءت ظروف مساعدة ، قدمت فيها استقالتى ، وقد تعامل مكتب الارشاد مع هذه الاستقالة بحكمة ، وأخيرا قبلت استقالتى من مؤسسات الجماعة كلها .

وأرجو ان يكون فى ذلك الخير . فالجماعة من فضل الله مليئة بأصحاب الكفاءات .

***

الباب الثانى عشر

من التاسعة والاربعين الى الخمسين

(اهم أحداث سنة ١٩٨٥)

١ ـ انتخابى لرئاسة اللجنة الاستشارية لمركز حماة .

٢ ـ المشاركة فى المؤتمر الشعبى لعلماء المسلمين الذى انعقد فى بغداد للبحث فى الحرب العراقية الايرانية .

١ ـ انتخابى لرئاسة اللجنة الاستشارية لمركز حماة

كان الاخوان فى سورية قد احدثوا شيئا اسمه اللجنة الاستشارية وجعلوا لكل محافظة لجنة وهذه اللجان مسئولة عن عدد من المهمات منها تعميق الاخاء بين ابناء المحافظة الواحدة ، والسبب الذى الجاهم الى ذلك هو انه بعد خروج الاخوان من سورية بسبب الظروف الصعبة التى واجهوها لم يعد هناك جهة تمثل المحافظات وهذا المعنى الجأ القيادة ان تتخذ قرارا ، هذا القرار يقضى باحداث اللجان الاستشارية للمراكز ليبقى لكل محافظة كيان ما ، هذا الكيان يعمل ضمن حدود ضيقة جدا وهو اشبه بالرمزى ، وكانت اللائحة الداخلية للجان الاستشارية تنص على أن ابناء اللجان الاستشارية يختارون من بينهم رئيسا ونائبا له وامينا للسر ، وكانت الجلسة الأولى للجنة الاستشارية رسميا بحضور ممثلين عن الجهة المختصة فى اجهزة الاخوان المسلمين ، وقد جرى فى هذه الجلسة انتخاب لرئيس اللجنة الاستشارية لحماة ، ووقع الاختيار على لأن أكون رئيسا لهذه اللجنة ، وانتخب احد الاخوان نائبا للرئيس وانتخب احد الاخوة امينا للسر ، وهكذا بدات اللجنة الاستشارية فى حماة سيرها الرسمى ، وهذا السير بحد ذاته لا يعدو أن يكون سيرا رمزيا الا انه مهم من الناحية المعنوية ، ولعل هذا الموضوع يقتضى منى ان اتحدث عن حماة والحمويين .

ان التركيب النفسى لمحافظة حماة تركيب اثرت فيه عوامل متعددة ، ويغلب على البلد فى تركيبها النفسى طابع العزة والانفة والكرامة والاريحية ، فتجد الواحد من أبنائها تحفزه الكلمة حتي ليكاد من خلال الكلمة الحماسية

ان يندفع ولو كلفه ذلك حياته كما ان كلمة واحدة كافية لأن يفعل الشيء الكثير .

المهم ان لحماة تركيبا خاصا من آثاره ان ابناء البلد كثيرو الاندفاع كثيرو التضحيات لا يتحملون ظلما يقع عليهم او على غيرهم ، ولذلك فانك تجدهم فى تاريخ سورية الحديث هم مؤشر المستقبل السياسى لسورية بحكم تركيبهم النفسى الذى يجعلهم دائما فى المقدمة والذى يجعلهم دائما يقدمون على التضحيات بانفس مرتاحة . ولذلك كله كانت ادارة الحمويين ورعايتهم وسياستهم تحتاج الى خبرة واستشراف ، فانهم بهذا التركيب النفسى ان وجدت لهم رعاية خاصة يستطيعون ان ينتجوا وان ينجزوا وان يحققوا الاهداف العظام ، ومن المعروف أن الجيش الخاص لصلاح الدين كان فيه الف من الحمويين يختارهم له خاله شهاب الدين الحارمى حاكم حماة فى حينه ، واذا لم توجد لهم الرعاية الكافية والتوجيه المناسب فقد يستجرون لمواقع يخسرون بها بعض معاركهم ، ولذلك قبلت ان اتحمل مسئولية اللجنة الاستشارية لمحافظة حماة لعلمى بالمخاطر التى تحف بهم . كل ذلك جعلنى اقبل هذا العمل على ما فيه من احتمالات صعبة بالنسبة لى .

وكان الهم الاكبر لى داخل اللجنة الاستشارية هو ان تستمر الخدمات والمساعدات للاخوة الذين اضطرتهم ظروف البلد للهجرة .

❊ ❊ ❊

٢ - المشاركة فى المؤتمر الشعبى لعلماء المسلمين الذى انعقد فى بغداد للبحث فى الحرب العراقية الايرانية :

سافرت فى عام ١٩٨٥ الى السعودية لاقامة مناسك العمرة وللاجتماع مع الاخوة الحمويين بوصفى رئيسا للجنة الاستشارية لمحافظة حماة ، وبينما انا فى السعودية جاء هاتف يطلب منى الحضور فورا للمشاركة فى المؤتمر الشعبى لعلماء المسلمين الذى سيعقد فى بغداد .

عدت الى عمان ومنها الى بغداد ، حضرت والمؤتمر منعقد . تعرفت صباحا على وزير الأوقاف العراقى ، وكان يمتلك شخصية مهذبة محببة نشيطة .

كانت احاديث الخطباء واكثرهم من اثقل علماء العصر ، ودعاته فى غاية الصراحة والموضوعية ، حضر الرئيس صدام حسين والقيت بين يديه كلمات قوية اسالت دموعه ، وطالبه احد الخطباء بان يحيى معالم الحق

التى بعث بها محمد ﷺ ، وكان اكثر الخطباء يتكلمون عن القضية الايرانية العراقية ، ويشيرون الى مثل هذه المعانى ، خرجت قرارات المؤتمر فى غاية القوة ، كان المؤتمر تظاهرة اسلامية حقيقية ضد الحرب ، وادان ايران وطالب الأمة الاسلامية أن تقف وقفة واحدة ضد البغى الايرانى ، وسجل ذلك كله تفصيلا ، قابلنا بعد ذلك انا وعدد من الاخوان منهم ابو الطاهر وابو عامر نائب الرئيس لرئاسة الوزراء طه ياسين رمضان قال ابو عامر : ان الأمة الاسلامية حيتكم وعليكم ان تردوا التحية بخطوات اسلامية عملية .

تركزت كلمتى فى المؤتمر على النقاط التالية .

اولا : أن الصراع الصفوى العثمانى تاريخيا أضعف الأمة الاسلامية لصالح اعدائها لذلك فان التوجه الاسلامى الحديث كان يرى انه لا يصح ان ينتقل الحوار الفكرى بين شيعة وسنة الى صراع سياسى او عسكرى ، وان ما فعله الخمينى لا نرى له نهايات منظورة ، فهو سائر فى طريق لا نهاية له الا ذبح السنة والشيعة ، فيجب على العقلاء من السنة والشيعة ان يوقفوا هذا التوجه الخطير .

ثانيا : ان ما يحدث على الأرض الاسلامية هائل من تصفية للاسلام فى امكنة كثيرة توجب حركة ، ولكنا نجد ان شعوب الأمة الاسلامية وحكوماتها وابناء هذه الأمة مثبتون فى مواقعهم لا يأتون حراكا .

ثالثا : كنا نطمع ان تكون الثورة الايرانية لكل المسلمين واذا بها تظهر اغرب انواع التعصب المذهبى فلا مسجد للسنة فى طهران ، ولا وزير من السنة فى ايران مع ان ثلث سكان ايران من السنة ، والدستور وغيره وكل شىء اصبح مذهبيا متعصبا .

رابعا : ان الوضع العالمى فى غاية التعقيد ، والحرب العراقية الايرانية لا زالت مستمرة ، لهذا كله فاننى اقترح :

اولا : ان يصبح هذا المؤتمر مؤتمرا دائما يأخذ على عاتقه تعبئة الطاقات الاسلامية فى العالم لتقف الأمة الاسلامية مواقف موحدة أمام قضاياها المصيرية ، ومن اول ما ينبغى فعله أن يوجد الجيش الاسلامى الحاجز الذى تشارك فيه كل شعوب الأمة الاسلامية وحكوماتها بين العراق وايران حتى اذا اعتدت ايران على هذا الجيش اعلن العالم الاسلامى كله الحرب عليها .

ثانيا : ان على الحكومات الاسلامية ان تضع برنامجا لاعمار العراق وايران وان تعوض على اسر القتلى من الجانبين .

ثالثا : ان يفتح حوار مع المعارضة الايرانية لوضع ميثاق يحكم العلاقة بين ايران وبقية الدول الاسلامية فى المستقبل .

رابعا : أن يخرج هذا المؤتمر بكتاب مفتوح للشعوب الايرانية يناقش كل ادعاءات الايرانيين .

كانت هذه اهم بنود كلمتى ، وكان الحديث الصريح عن السنة والشيعة صعبا ، لان المؤتمر يحضره شيعة وسنة ، ولذلك علق بعض اخواننا على كلمتى فقال : لقد دخلت مدخلا صعبا ولكن استطعت ان تخرج منه ، والفضل لله وحده .

بمناسبة زيارتى هذه لبغداد زرت معسكر الاخوان هناك والقيت فيهم خطبة الجمعة كما اجتمعت بالاخوة الحمويين اجتماعا قصيرا باعتبارى رئيسا للجنة الاستشارية ، وحثثتهم فيه : على المحافظة على النظام وحسن الترتيب كما اوصيتهم فيه باللطف مع انفسهم ومع الجميع وان عليهم فى هذه المرحلة ان يؤدوا الواجب دون ان يطالبوا بالحقوق .

نسأل الله ان يتقبل .

❋ ❋ ❋

(فصل) فى ظهور كتابنا فى التفسير هذا العام

ظهر كتابنا «الأساس فى التفسير» هذا العام مع أننى قدمته للنشر منذ سنين طويلة ، ولكن عصفت به الأحداث وانتقل من ناشر الى ناشر ، وجزى الله الجميع خيرا .

من التقويمات التى نشرت عن هذا التفسير ما نشرته جريدة المدينة المنورة فى السعودية فى عددها (٧٢٩١) فى ١١ شعبان سنة ١٤٠٧ هـ ، وهو تقويم أعتز به وهذا نص المقال :

الأساس فى التفسير ٠٠ كتاب يحتاجه الربانيون

انا قارىء مسلم عثرت على كتاب اسمه الأساس فى التفسير للأستاذ سعيد حوى قرات فيه فلم اتمالك الا ان اكتب هذا المقال :

اذا جاز لنا ان نعتبر كتاب فى ظلال القرآن كتاب القرن الرابع عشر الهجرى فى المكتبة القرآنية فانى بعد ان اطلعت على كتاب الأساس فى التفسير اخذت به وادهشت فقلت بحق انه :

كتاب القرن الخامس عشر الهجرى فى المكتبة القرآنية ـ ذلك القرن الذى يامل فيه الكثيرون ان يكون قرن اعادة الخلافة الاسلامية ٠ وهذا التفسير اللبنة الأولى فى طريق الخلافة ولا عجب فان مؤلف هذا التفسير الأستاذ العلامة سعيد حوى صاحب الكتب المميزة المتسمة بطرح القضايا الكلية والنظريات المتينة المتكاملة لتكون قاعدة الانطلاق والبناء ٠ الف هذا التفسير وهو سجين فكان سجنه خطوة على طريق القدوة وكان من ثمراته كتاب الأساس فى التفسير كما كانت مؤلفاته لبنات ترصع البناء الاسلامى وتسد ثغرات فيه ٠

اقول هذا قبل الخوض فى ذكر دوافع تاليف هذا الكتاب ومميزاته وخصائصه وثمراته المرجوة ، ان هذا الكتاب جزء من سلسلة الأساس فى المنهج التى تتالف من أقسام ثلاثة :

الأساس فى التفسير ، والأساس فى السنة ، والأساس فى قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص ، فالحديث عن دوافعه يندرج ضمن الحديث عن دوافع تاليف السلسلة جميعها التى هى :

١ ـ انه فى عصر الامتحان لكل شىء والسيطرة المادية على العالم وتصدير الأفكار المختلفة وصياغتها بالقالب الذى يريده الماديون مع وجود طاقات هائلة مسخرة لهذا وعمل دؤوب مخطط من قبل القوى المادية فى العالم لتغير كل المسلمات القديمة ، امام هذا لا بد من استعراض شامل للنصوص الاسلامية التى هى بالدليل والبرهان تشكل مسلمات صحيحة فى هذا العالم ٠

٢ ـ وفى هذا العصر طرحت كثير من الأمور نفسها بشكل حاد فاصبح

لا بد من اجابة شافية ،واختلط الأمر واختلطت الاجابات ،فكان لا بد من عملية تمييز كاملة متكاملة للاجابة الصحيحة ولا بد أن نفهم النصوص فى اطارها الصحيح ، وان كل تساؤل لا يحتمل فى عصرنا تأخير الاجابة عليه ، والاجابة الصحيحة الشاملة لا تتم الا من خلال عرض شامل للنصوص .

٣ ـ ومن واقع عصرنا ان ما يخدم قضية الحق ابعد لصالح الهوى وما يخدم قضية اليقين ابعد لصالح الظنون تحت غطاء العلمية والموضوعية وعندما يصل البعض الى حقائق تخدم قضية الايمان تجده يرفضها ليوصل الى تخريب او ضلال فى العقل والوجدان والسلوك فآن الأوان للمسلم ان يقول كلمته الحاسمة وبداية ذلك العرض الشامل لنصوص الاسلام واقامة الحجة فى شانها على انها الحق الخالص .

٤ ـ القرآن حجة الله على خلقه وحجة الله أن محمدا عبده ورسوله فلا بد من ابراز كمال الحجية فيه وما أكثر الحجج ولا بد من الاجابة على شبهات الخلق فى شانه ومن أعجب هذه الشبه ما تنشره بعض دوائر الكفر حول الوحدة القرآنية والصلة بين سور القرآن بعضها ببعض وكذا آيات القرآن فكان هذا الكتاب ابرازا لمظهر من مظاهر الاعجاز فى القرآن من خلال هذه القضية .

٥ ـ ان هذه السلسلة محاولة للفهم الصحيح لكلمة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فى عصر اصبحت فيه كثير من النصوص تفهم فهما خاطئا ويبنى على هذا الفهم الخاطىء احكام خاطئة فقد وجدت عقليات حرفية لا تراعى طرائق العرب فى الخطاب والفهم وعقليات تأويليةتنطلق بالتأويل دون ضوابط وعقليات تفهم الأصل على ضوء الفرع او تنسى الأصل وتستيقظ على الفرع وكل ذلك لا يسع المسلم .

هذه النقاط الخمس تشكل الدوافع الأقوى لاصدار هذه السلسلة التى منها التفسير كما ذكر المؤلف فى المقدمة .. وبعد فما هى خصائص ومميزات هذا التفسير ؟

نذكرها بايجاز فنقول :

١ ـ انه قدم لأول مرة نظرية جديدة متكاملة فى موضوع الوحدة القرآنية تبين هذه النظرية قضية الربط والمناسبة بين الآيات فى السورة الواحدة وبين سور القرآن بعضها مع بعض على ضوء نظرية شاملة مستوعبة لآيات القرآن وسوره وهذه التغطية تروى من ظما الباحثين عن دقائق

اسرار هذا القرآن كما انها تضع لبنة فى صرح الحديث عن اعجاز القـرآن ومعجزاته وتجيب على تساؤلات كثيرة من جملتها موضوع فواتح السـور الى ما هنالك من قضايا واسرار تترتب على هذه النظرية عددها المؤلف .

٢ ـ ومن ميزاته الاستفادة من أوثق ما توافر من المراجع من كتـب دينية قديمة والنقل عنها مباشرة والعزو اليها مع نقد ما ينبغى نقده مع تبيان نقاط الضعف فيها والاستفادة من علوم عصرنا وتخصصاته وما انتجه ذلك من قضايا تبرز معجزات فى القرآن تتاكد بها الحجـة القائمة على الخلق .

٣ ـ من ميزاته ان لا حشو فيه وليس فيه الا ما له علاقة بصلب التفسير مع استبعاد كل قضية لا تعتبر علمية عملية .

٤ ـ حاول التبسيط والتقريب مع الاحتفاظ الى حد كبير بعبارات المفسرين او بدقة طرائقهم فى الأداء وهذا امر لا يدرك صعوبته الا من عاناه فان كثيرا من العبارات لم تستقر على ما هى عليه الا بعد عمليات تنقيح اجريت عليها خلال العصور .

٥ ـ حاول ربط المسلم بقرآنه وتبصيره بواقعه واذا كان للمسلم الحـق فى عصرنا معارك متعددة لا بد ان يخوضها على اساس القرآن فلا يحسن بكتاب معاصر فى التفسير ان يغمض مؤلفه عينه عن هذه المعارك وهـذا يقتضى تربية مكافئة لهذه الامور كلها على ضوء القرآن ومن ثم فقد راعى المؤلف هذه الناحية بشكل بارز .

٦ ـ محاولة بيان من هم أهل السنة والجماعة وما هى مدارسـهم الاعتقادية والفقهية والروحية والسلوكية والأصولية ومن يقرب من ذلك ومن يبعد .

٧ ـ حاول ان يبين ان القرآن اعطى الجواب على كل شىء اما بشكل مباشر أو بما احال عليه من السنة أو بما حال القرآن والسنة على طرائق ووسائل يعرف بها حكم الله .

٨ ـ انه كتاب علم ودعوة وتربية وجهاد بآن واحد .

٩ ـ ان من مزايا هذا التفسير انه عمل على ان يكون اداة لرفع درجات اليقين والارتقاء به مع تصحيح التصورات وزيادة العلم وخدمة قضية زيـادة الايمان واصلاح الاعتقاد والعمل .

١٠ ـ من مزايا هذا التفسير انه استفاد من اهم كتب التفسير وقد نقل من الظلال ما يعتبر زبدته وارقى ما فيه وانتقى ازاهيره مع الابتعاد عما يمكن أن يكون فيه ملحظ لعالم راسخ وبالتالى فان قارىء هذا التفسير يكون قد أخذ من الظلال أرقى ما فيه ·

والمؤلف ـ كما يقول عن نفسه ـ لا يكلف نفسه عناء صياغة شيء يحتاجه الكتاب اذا كان غيره قد صاغه الصياغة التى يرضاها او التى تقصر عنها عبارته اصلا حيث ان الهدف وجه الله ليس الا ·

ومن ملاحظاتى على هذا الكتاب : ان القارىء فيه لا يمل بل يجد نفسه مسترسلا مأسورا مأخوذا لا يريد تركه وكأن روح الاخلاص فيه تشد القارىء اليه والتأثير فى القارىء نتيجة ذلك أمر بدهى وهذا التأثير له جوانب متعددة قلبية وسلوكية وفكرية وعلمية ·

ويولد هذا التفسير روح العمل للاسلام والاخلاص فى ذلك ومعرفة ما يجب على المسلم وكيف يسلك الطريق الصحيح للوصول الى الهدف الصحيح ·

ومن آثاره المرجوة بناء الشخصية الاسلامية العالمية العلمية الجهادية الربانية كما انه يولد عند القارىء روح الدقة فى التعبير والحساسية اللازمة تجاه اى شذوذ عقدى او فقهى ·

والتفسير بعد ذلك ذخيرة علمية وعملية ذات صبغة ايجابية وتربية روحية راقية ·

وبعد ، فان الاطراء ليس هدفنا ولكن الاعجاب بالكتاب والتقدير له جعلنا نكتب هذه الكلمات ·١٠هـ ·

❊ ❊ ❊

الباب الثالث عشر

من الخمسين الى الواحدة والخمسين

(أهم احداث سنة ١٩٨٦)

١ - الرحلة الى باكستان والأفغان :

زارنا بعض الاخوة من المهتمين فى القضية الأفغانية ، وحدثونا عن ان الرعيل الأول من ابناء الحركة الاسلامية الأفغانية ، كاد يستشهد كله وأنه يجب ان تعطى عناية للتعليم الاسلامى فى صفوف المهاجرين الأفغان فلعل ذلك يعوض ، واخبرونا انه قد انشئت عدة معاهد لهذا الغرض ، وطالبوا بعض الاخوة ان يذهبوا لدراسة هذا الموضوع ، كما طالبوا أن نرسل بعثة تعليمية من المهاجرين السوريين لهذا الغرض ، وتطوعت للذهاب فى هذه الرحلة التى ضمتنى مع الأخ أبى الطاهر فقط اذ اعتذر احد المشايخ عن الذهاب فى آخر الموعد ، تمت الترتيبات وذهبنا الى باكستان ، وكانت رحلة متعددة الأهداف ، فكانت حركة نحو اتحاد طلبة المسلمين والقينا عندهم عدة محاضرات ، واتجهنا نحو المعاهد التعليمية فالقينا فيها عدة محاضرات ، واتجهنا نحو مكتب الخدمات العرب ، فكانت مذاكرات ومحاضرات ،واتجهنا نحو قادة الجهاد الأفغانى فقابلناهم جميعا ، وركزنا على نقطتين : ان عليهم ان ينضجوا أحزابهم وان يوجدوا صيغة يستطيعون فيها ان يتعاملوا مع بعضهم وان يفكروا فى المستقبل ، ولم يكن عندنا وقت كاف لنضع انفسنا تحت تصرف كل حزب على حدة ، فخصصنا حزب ربانى وحزب حكمت يار ، وحزب سياف ، بأن خصصنا لكل حزب يومين القينا فيهما عدة محاضرات على اعضاء كل حزب من هذه الثلاثة ، وقابلنا شخصيات متعددة ، وزرنا الهيئة التدريسية للجامعة الاسلامية فى اسلام آباد ، وكانت مذكرات طيبة معهم ، وخرجنا من هذه الجولة الميدانية بانطباع عما ينبغى فعله ، وكان من آثار هذه الرحلة ان كتبنا دراسة تحت عنوان « القضية الأفغانية والتحرك المكافىء المطلوب » وارسلناها بواسطة الأستاذ برهان الدين ربانى الى قادة الأحزاب الأفغانية جميعا .

❋❋❋

٢ ـ الرحلة الى مصر :

سافرنا مع الأخ ابى عامر وآخرين الى مصر بتاريخ ١٩٨٦/١٢/٦ وكان الهدف من هذه الرحلة متعددا :

أولا : اظهار موقفنا من الخمينية التى اصبحت تشكل خطرا فكريا وحركيا .

ثانيا : مقابلة المرشد العام الجديد للاخوان المسلمين وتحيته واعلامه أننا لا زلنا اصدقاء واحباب ، وقد حققت الرحلة مقصديها .

قابلنا جهات كثيرة فى مصر وشرحنا لهم وجهة نظرنا فى الخمينية ، وكان التجاوب كاملا .

وقابلنا فضيلة المرشد العام وكانت مقابلة لطيفة كما قابلنا عددا من الاخوان وخرجنا بما كنا نامله ، اذ اكدنا انه اذا فاتتنا العلاقات التنظيمية ، فلا تفوتنا العلاقات الأخوية .

* * *

(فصل) فى الانقسام الثالث الخطير الذى حدث بين الاخوان المسلمين فى ســـورية

لعل اخطر انقسام واجهته جماعة الاخوان المسلمين فى سورية هو الانقســـام الذى حدث فى سنة ١٩٨٦ .

والأمل معقود بفضيلة المرشد العام الجديد ـ بعد الله تعالى ـ فى تدارك هذا الأمر ، ولكن قد يكون من المفيد ان نشير الى بعض الأسباب التى ادت الى هذا الانقســام :

ان الأسباب الجوهرية التى ادت الى هذا الانقسام تكمن فى ثلاثـة امور :

اولا : خرق الأنظمة المعتمدة .

ثانيا : تعطيل مؤسسات .

ثالثا : الاختلاف فى التوجه السياسى .

وقد حسم هذا الموضوع أخيرا وذلك يساعد على العلاج .

وتوضعت حول الأسباب الجوهرية اسباب ثانوية:كنمو الروح الاقليمية والمماحكات الشخصية ، والآراء السلبية لبعض الاخوان ببعض ، وفهم بعض الأمور فهما مغلوطا ، وعدم الوضوح فى النظرية التنظيمية الصالحة لحزب اسلامى معاصر .

❋ ❋ ❋

الباب الرابع عشر

من الواحد والخمسين الى الثانية والخمسين
(أهم أحداث سنة ١٩٨٧)

١ ـ الرحلة الى السعودية ·   ٢ ـ العزلة الاضطرارية ·

١ ـ الرحلة الى السعودية :

كانت اسباب الرحلة الى السعودية متعددة منها مرض العيون الذى اصبت به ، فقد قيل لنا ان فى الرياض مستشفى تخصصيا للعيون ·

ومن اسباب هذه الرحلة الرغبة فى لقاء بعض المهتمين فى الشئون الاسلامية ·

كان مرضنا مستعصيا فلم نستفد شيئا ، لكنا قابلنا اعدادا كبيرة من الأحباب وجددنا الصلة بهم ،وحضرنا اجتماعات متعددة ،ذكرنا او ذكرنا(١) ، او قدمنا خلاصة ارائنا فيما اقترح امامنا ، وعدنا الى مقرنا واوضاعنا الصحية ليست على ما يرام ·

***

٢ ـ العزلة الاضطرارية :

تعددت امراضنا من قبل ، وكنا نصابر ونكابر حتى اصبنا بشىء من اعراض الشلل ، ابتدأ ذلك بتاريخ ١٩٨٧/٣/١٤ · فدخلنا المستشفى ثم خرجنا منه ، وقد نصحنا بعض الأطباء بان علينا ان نعتزل اعتزالا كاملا كل شيء ، فلم يعد أمامنا مفر الا ان ننظم حياتنا على أساس من هذه العزلة ·

فمرض السكرى ومرض الضغط ومرض العيون ، ومرض القلب وتصلب الشرايين وتورم الأقدام ، ومرض الكلى وظاهرة الشلل الجزئى ، كل ذلك لم يعد بالامكان معه ان نشارك بالعمل العام ولا ان نتحمل مسئوليات ، وأصبح واضحا انه لم يعد امامنا الا الاستمرار فى نوعين من العمل :

---

(١) ذكرنا أو ذكرنا : الأولى بفتح الذال وتشديد الكاف مع فتحها ، والثانية بضم الذال وكسر الكاف مع التشديد ·

أولا : النصيحة لمن جاء زائرا .

والثانية : متابعة التاليف ونسال الله ان يقبل ، وبهذه العـــزلة الاجبارية نختم مذكراتنا ، واذا جد جديد يستأهل ان نذكره لأخذ فائدة او للعبرة ، فسنسجله ان شاء الله تعالى تحت عنوان : يوميات الغروب .

والحمد لله رب العالمين . .

* * *

(فصل) مؤلفاتنا حتى عام (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م)

اصدرت كتبى كلها تحت عنوان دراسات منهجية هادفة لأننى كتبت كل ما اعتقدت أنه ينبغى ان يدخل فى دراسة لمنهج واصدرت حتى الآن عدة سلاسل .

اولا : سلسلة الأصول الثلاثة وتتألف من ثلاثة كتب :

(أ) الله جل جلاله .

(ب) الرسول صلى الله عليه وسلم .

(جـ) الاســـلام .

ثانيا : سلسلة الأساس فى المنهج وتتألف من ثلاثة كتب :

(ا) الأساس فى التفسير .

(ب) الأساس فى السنة وفقهها .

(جـ) الأساس فى قواعد المعرفة وضوابط الفهم للنصوص .

ثالثا : سلسلة الفقهان الكبير والأكبر وقد صدر منه اربعة كتب :

(أ) جولات فى الفقهين الكبير والأكبر .

(ب) تربيتنا الروحية .

(جـ) المستخلص فى تزكية الأنفس .

(د) مذكرات فى منازل الصديقين والربانيين .

رابعا : سلسلة فى البناء وقد صدر منها :

(ا) جند الله ثقافة واخلاقا .

(ب) من اجل خطوة الى الامام على طريق الجهاد المبارك .

(جـ) مدخل الى دعوة حسن البنا رحمه الله .

(د) دروس فى العمل الاسلامى .

(هـ) فصول فى الامرة والأمير .

(و) فى آفاق التعاليم .

(ز) هذه تجربتى .. وهذه شهادتى .

(ح) رسائل «كى لا نمضى بعيدا عن احتياجات العصر» وقد صدر منها احدى عشرة رسالة :

١ ـ منطلقات اسلامية جديدة لحضارة عالمية جديدة .

٢ ـ اخلاقيات وسلوكيات تتأكد فى القرن الخامس عشر الهجرى

٣ ـ فلنتذكر فى عصرنا ثلاثا .

٤ ـ احياء الربانية .

٥ ـ الاجابات .

٦ ـ عقد القرن الخامس عشر الهجرى .

٧ ـ السيرة بلغة الحب والشعر .

٨ ـ الخمينية شذوذ فى العقائد وشذوذ فى المواقف .

٩ ـ اجازة تخصص الدعاة .

١٠ ـ قوانين البيت المسلم .

١١ ـ غذاء العبودية .

ونسال الله ان يتقبل ..

* * *

خاتمة

انهى هـــذه المذكرات التى ســجلت فيهـــا جـــزءا من ذكرياتى وانا فى سن الثانية والخمسين ، وقد اخذ منى المرض كل مأخذ ، لقد ولدت فى ٢٧ ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٣٥ ،وها أنا انهى هذا الكتاب فى اوائل عام ١٩٨٧ ، وهناك قسم فى التجارب والذكريات التى لها علاقة فى موضوعات تخص الصف الاخوانى ولهـا علاقة فى الحركة الاضطرارية للمواجهـة السياسية لم اسجلها فى هـذا الكتاب ، وانما اخرت نشرها لتكون أكثر موضوعية ان شـاء الله تعالى ، ولعـل القارىء يلمح من خلال هـذه المذكرات رغبتنا الأصيلة فى الوصول الى نظام يرتاح فيه الجميع فى سورية ، وان اخشى ما نخشاه الا نستطيع السيطرة على المستقبل بسبب من أحداث المـاضى والحاضر ، وهـذا يجعلنى اتوجه فى ختام هـذه المذكرات الى جميع ابنـاء الشعب الســورى ان يفكروا فى المسـتقبل ، فلن يدوم سلطان لأحد ، والله تعالى يقول : « **وتلك الأيام نداولها بين الناس** »(١) فلا ينبغى ان يغتر ذو سلطان بسلطانه اليوم ، ولا ينبغى ان يغتر ذو سلطان بسلطانه غداً ، والله تعالى سيحاسب الجميع .

وقد انتهت الكتابة فى هذه المذكرات يوم الخميس ١٧ شعبان سنة ١٤٠٧ هـ ــ ١٦ ابريل سنة ١٩٨٧ م .

وآخر دعوانا « أن الحمد لله رب العالمين » .

* * *

---

(١) آل عمران : ١٤٠ .